

موسوعة تاريخ

الأدب والنقد والحكمة العربية

موسوعة تاريخ الأدب والنقد والحكمة العربية في العصر الراشدي

المجلد الرابع

حسين علي الهنداوي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الفهرس

- مقدمة المجلد الرابع ٩
- الباب الأول: الحياة العامة في العصر الراشدي ١١
- الباب الأول: الفصل الأول: الحياة السياسية في العصر الراشدي - الخلافة - ١٣
- الباب الأول: الفصل الثاني: الحياة الاجتماعية في العصر الراشدي ١٥
- الباب الأول: الفصل الثالث: الحياة الاقتصادية والتنظيم المالي في العصر الراشدي ١٧
- الباب الأول: الفصل الرابع: الحياة العسكرية في العصر الراشدي ٢٦
- الباب الأول: الفصل الخامس: الحياة الفكرية في العصر الراشدي ٢٩
- الباب الأول: الفصل السادس: الحياة الفنية في العصر الراشدي ٣١
- الباب الثاني: الخلفاء الراشدون ٣٣
- الباب الثاني: الفصل الأول: خلافة أبي بكر الصديق ١١ - ١٣ هـ / ٦٣٢ - ٦٣٤ م ٣٥
- الباب الثاني: الفصل الثاني: خلافة عمر بن الخطاب ١٣ - ٢٣ هـ / ٦٣٤ - ٦٤٤ م ٤١
- الباب الثاني: الفصل الثالث: خلافة عثمان بن عفان ٢٤ - ٣٥ هـ / ٦٤٤ - ٦٥٦ م ٤٦
- الباب الثاني: الفصل الرابع: خلافة علي بن أبي طالب ٣٥ - ٤٠ هـ / ٦٥٦ - ٦٦١ م ٥١
- الباب الثالث: جمع القرآن الكريم ٥٥
- الباب الثالث: الفصل الأول: كتّاب الخلفاء ٥٨
- الباب الثالث: الفصل الثاني: جمع القرآن الكريم ٥٩
- الباب الرابع: كتابة الحديث النبوي ٧١
- الباب الخامس: الفنون الأدبية الثرية في العهد الراشدي ٧٥
- الباب الخامس: الفصل الأول: الخطابة في العهد الراشدي ٧٨
- الباب الخامس: الفصل الثاني: الرسائل في العهد الراشدي ٨٣
- الباب الخامس: الفصل الثالث: الوصايا في العهد الراشدي ٩٤
- الباب الخامس: الفصل الرابع: القصص في العهد الراشدي ١٠٥

١١٣	الباب الخامس: الفصل الخامس: الموعدة التقوية في العهد الراشدي
١٣٣	الباب الخامس: الفصل السادس: المناظرات في العهد الراشدي
١٣٥	الباب الخامس: الفصل السابع: التوقيعات في العهد الراشدي
١٣٩	الباب الخامس: الفصل الثامن: فن العهود
١٥٠	الباب الخامس: الفصل التاسع: السيرة الدينية في العصر الراشدي
١٥٤	الباب الخامس: الفصل العاشر: الدعاء في العهد الراشدي
١٦٣	الباب السادس: الشعر في العصر الراشدي
١٦٥	الباب السادس: الفصل الأول: حركة الشعر في هذا العصر
١٦٧	الباب السادس: الفصل الثاني: شعر الفتوح الإسلامية
١٦٩	الباب السادس: الفصل الثالث: أعلام الشعر في هذا العصر الراشدي
٢٤٣	الباب السابع: النقد في عصر الخلفاء الراشدين
٢٤٥	الباب السابع: الفصل الأول: الحركة النقدية في عصر الخلفاء الراشدين
٢٤٨	الباب السابع: الفصل الثاني: نقد الخلفاء الراشدين
٢٥٥	الباب الثامن: الحكمة العربية والإسلامية في العهد الراشدي

مقدمة

المجلد الرابع

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحابه أجمعين... وبعد:

العهد الراشدي الذي امتد من عام (١٠ - ١١ هـ) حتى عام (٤٠ - ٤١ هـ)، والذي سلك منهج رسول الله ﷺ حرفياً يعد امتداداً طبيعياً لعهد صدر الإسلام سواء كان ذلك دينياً أو أدبياً، فهو عهد عرف معنى الأدب بشكل عام، والشعر بشكل خاص، وظهرت فيه فنون أدبية جديدة، وأكد على دور الأدب في حمل الرسالة السماوية الجديدة - خاصة - الدعوة والجهاد بمفهومه المتمثل بنشر كلمة التوحيد (لا إله إلا الله)، وأسلمة الحياة الإنسانية بما فيها الأدب، وإن كان قد صرف نظر العرب عن الأدب قليلاً إلى نشر الدعوة الإسلامية؛ وإذا كان الأدب قد دخل دخولاً كبيراً في حياة العرب قبل الإسلام، فإنه قد تراجع قليلاً أمام القرآن الكريم ذي التوجه الجديد في عصر صدر الإسلام، وبقي هذا التراجع في تنازل حيث لم يعد للشعر في هذا العصر - عصر الراشدين - منزلة كبيرة، بل تحول إلى الدرجة الثالثة بعد علوم القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة، والخطابة؛ وانشغل الناس بفتح البلدان المجاورة للجزيرة العربية، ونشر الدين الجديد؛ وقد نشط فن الوعظ والإرشاد، والقصص الديني الذي أخذ يرتدي ثوب الأدب على الرغم من أنّ الخلفاء الأربعة كانوا ممن يبيجون الشعر المتناسب مع المفاهيم الإسلامية، وأن لجميعهم مواقف نقدية من الشعر والشعراء مبثوثة في ثنايا كتب الأدب، وأنهم قد أعطوا حرية الحركة للشعراء ضمن دائرة القيم الإيجابية؛ وإذا كان الخليفة الراشدي عمر بن الخطاب رضي الله عنه قد ملأ دائرة النقد الأدبي حول شعر الجاهلية، فإن الخليفة علي بن أبي طالب رضي الله عنه شغل دائرة الشعر والنقد والحكمة والوعظ والإرشاد معاً، لاسيما أنه من أكبر الشعراء، والحكماء في ذلك العصر؛ إضافة إلى كونه أعظم خطيب بعد الرسول ﷺ، وقد ترك لنا مجموعة من الأشعار، والخطب، والمواعظ ارتقت إلى مستوى الريادة.

إذن: نحن نتحدث عن عصر ذي عمر زمني قصير، ولكنه ذو خير أدبي وفير؛ لأنه استطاع أن يضع الأدب الموضوع الصحيح له، وجعل وظيفة الأدب وظيفه قيمية غايتها الارتقاء بالإنسان قيماً وإنسانياً وجمالياً، فلم يعد الشعراء يتكسبون بالشعر؛ لأن الدولة الجديدة قد أجزت لهم عطاءً مستديماً، ولم يعد للهجاء المقذع مكانة، ولم تعد المرأة -جسداً - نقطة استقطاب لأصحاب الشهوات، والهوى والمطامع الرخيصة؛ وتحول الشعر إلى متنفس لروح الشعراء يسكبون فيه شوقهم، وحنينهم، وطموحاتهم، وتطلعاتهم نحو الحياة والكون والإنسان.

أمّا النثر: فقد نشط نشاطاً واسعاً، حيث صارت الخطابة الأكثر أهمية، وارتقت منزلة الخطيب على حساب منزلة الشاعر؛ وانتشر الوعظ، والتقوى بشكل واسع؛ وصار للقصص الديني، والوعظ، والتقوى مكانة عظيمة في حياة الناس في العهد الراشدي الميمون؛ كما وأن فنّ الوصايا قد أخذ بعداً جديداً من خلال وصايا الخلفاء الراشدين الأربعة - رضوان الله عليهم - لولاتهم، وقضاتهم، وجيوشهم حتى لا يخرجوا عن حدود القيم، ويطبقوا الإسلام بحذافيره. ونشط كذلك فنّ الرسائل بين الخلفاء، وولاتهم بشكل خاص، وظهر فنّ (العهود)، وبرزت (العهدية العمرية)، ولهج الناس بفنّ جديد مرتبط بحاجاتهم، ودينهم (الدعاء)؛ وكل ذلك ضمن نصوص أدبية تأتي دون تصنع، أو تزويق، أو عناية؛ بل تأتي عفواً الخاطر.

وقد قُسم العهد الراشدي إلى أبواب، وفصول تتضمن: الحديث عن الحياة العامة لهذا العصر، وجمع القرآن الكريم في عهد الخليفة الراشدي أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وتوحيده بمصحف واحد في عهد الخليفة الراشدي عثمان رضي الله عنه، والفنون الأدبية بما فيها (الشعر والنقد الأدبي، والحكمة العربية والإسلامية)، مع نماذج من النثر (الخطابة - الوصايا - المواعظ - المناظرات - الحكم - الدعاء -)، والشعر العربي والإسلامي..... وغيره.

الباب الأول
الحياة العامة في
العصر الراشدي

الباب الأول

الفصل الأول

الحياة السياسية في العصر الراشدي

- الخلافة -

١ - الخلافة:

اصطلاح ديني أطلق على خليفة رسول الله ﷺ الذي يتولى أمور الدولة، وشؤون المسلمين من النواحي الدينية والدنيوية. وقد أضيف لقب أمير المؤمنين للخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، واعتمدت الخلافة نظام الشورى، قال تعالى: (وأمرهم شورى بينهم)، واعتمد الخلفاء في حكمهم على أحكام القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة، وتميزت حياتهم بالبساطة والحرص على المصلحة العامة والتوجه لنشر كلمة التوحيد (لا إله إلا الله).

٢ - الولايات:

بعد اتساع رقعة الدولة العربية الإسلامية، قسم الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه الدولة إلى عدة ولايات ليسهل عليه إدارة أمورها، والإشراف عليها؛ وكان على رأس كل ولاية والٍ أطلق عليه تسمية (عامل). وقد أحدثت ولايات جديدة في عهدي الخليفة عثمان بن عفان والخليفة علي بن أبي طالب رضي الله عنهما.

٣ - الدواوين:

الديوان:

كلمة أصلها فارسي، وتعني السجل؛ والديوان مكان تحفظ فيه السجلات، وقد أحدثت الدواوين بدءاً من عهد الخليفة عمر بن الخطاب. وقد تطورت الدواوين، وأدخلت عليها تحسينات، لكنها كانت تُكتب باللغات المحلية السائدة، ففي العراق بالفارسية، وفي بلاد الشام باليونانية، وفي مصر باللغة القبطية.

٤ - القضاء:

ويعني تعيين قضاة يفصلون بين الناس في المنازعات، وقد كان الخلفاء الراشدون - رضي الله تعالى عنهم - يباشرون هذا العمل بأنفسهم، ثم قاموا بتعيين قضاة في الولايات.

٥ - البريد:

قام الخلفاء بتنظيم أمور البريد، وأوجدوا نظام العسس (الشَّرِطَة) والحسبة (مراقبة الناس في الأسواق).

٦ - المساجد:

كانت المساجد مكاناً للعبادة والتعليم، ومقراً عاماً لعقد الاجتماعات، واستنفاً للناس للجهاد.

٧ - الخاتم:

اتخذ الخلفاء خاتماً من فضة، وختموا به الكتب التي ترسل للولاة والعمال.

(قراءة تاريخية)

إن رسول الله ﷺ لما رجع من (الحديبية) في ذي الحجة سنة ست، أرسل الرسل إلى الملوك يدعوهم إلى الإسلام، وكتب إليهم كتباً، فقبل: يا رسول الله! إن الملوك لا يقرؤون كتاباً إلا محتوماً. فاتخذ رسول الله ﷺ يومئذٍ (خاتماً) من فضة، وختم به الكتب.

الباب الأول

الفصل الثاني

الحياة الاجتماعية في العصر الراشدي

اهتمَّ الإسلام بالحياة الاجتماعية اهتماماً بالغاً، وقلب المفاهيم الجاهلية، وحارب السلبيَّ منها، واهتمَّ بمؤسسة الأسرة، وتمسك بالمثل، والقيم الأخلاقية الحسنة في بناء الشخصية، وحارب القيم السلبية، كالثأر، والتكبر، والعصبية القبلية، وعزَّز القيم الإيجابية كالصدق، والتعاون، والكرم، وأوجد قيماً جديدة كالإيمان بالله وحده، والمساواة بين الناس، والعدالة الاجتماعية؛ وأعطى المرأة دورها في بناء المجتمع الإسلامي، وأنقذها من عبوديتها، ومنع وأدها، وأعطاهما حق العلم، والميراث، واختيار الزوج، وشريك الحياة، وكلفها ما كلف الرجال من أمور العبادة والدين.

١ - ومن مظاهر تكريم المرأة في الإسلام اعترافه بأهليتها في الحقوق المدنية، والمالية؛ واعتبر النساء صنو الرجال - (إنما النساء شقائق الرجال) - كما قال ﷺ، ومنح المرأة حق الحياة، والمساواة مع الرجل في الإنسانية، والكرامة؛ كما منحها حق إبداء الرأي - خاصة - في اختيار الزوج، كما منحت حق فصم عقد الزواج إذا خدعت، أو أكرهت عليه، ومنع ولي أمرها من إجبارها على الزواج ممن لا ترغب به، كما منحها حق التعليم، واعتبره فريضة عليها - (طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة) -، كما منحها حق التملك، والتملك، وإجراء جميع العقود من البيع، والشراء، والرهن، والوكالة؛ وأعطاهما حق العمل برضا زوجها، وطالب الزوج بحسن معاملة الزوجة، والتلطف في رعايتها، والمودة والرحمة معها انطلاقاً من قاعدة - (إمسك بمعروف أو تسريح بإحسان) -؛ ولقد حض الإسلام على الزواج الباكر حتى يلد الأولاد في شباب أبويهم، وأوصى كذلك بالبر بالوالدين، وقرن الإحسان إليهما بعبادة الله، قال تعالى: (وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه، وبالوالدين إحساناً) الإسراء / ٢٣ .

ونبغت المرأة في هذا العصر في العلوم الشرعية، والأدب، والرواية للعلم، والطب؛ وعرفت النساء الشاعرات، والأديبات، والسياسيات، كما شاركت المرأة في الجهاد بتطبيب الجرحى، مثلما صنعت (نسيبة بنت كعب المازنية) رضي الله عنها مع زوجها (زيد بن عاصم) رضي الله عنه، وابنيهما في غزوة (أحد)؛ وقد قال رسول الله ﷺ: (ما التفتُ يمينا، ولا شمالاً يوم - أحد - إلا ورأيتها تقاتل دوني)؛ وقد جُرحت يومها اثني عشر جرحاً بين طعنة رمح، أو ضربة سيف؛ كذلك كانت (رفيدة الأسلمية الأنصارية) رضي الله تعالى عنها تداوي الجرحى في غزوة -الخنديق -، وأحبطت (صفية بنت عبد المطلب) رضي الله تعالى عنها تطويقاً مخططاً له عندما قتلت الجاسوس المرسل من بني قريظة لاستطلاع الآطام التي حلت بها النساء المسلمات وأولادهن؛ وشاركت (خولة بنت الأزور) في معركة اليرموك.

٢ - وفي مجال تربية الطفل، فقد نقض رسول الله ﷺ عادة رفض العرب لمداعبة أطفالهم حيث كان يداعب الولائد من بناته، وأبناء بناته، وأبناء أصحابه؛ وعمل الإسلام في تربية الأطفال التربية العلمية الفكرية حيث جعل العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة؛ وقوله ﷺ (ليس مني إلا عالم أو متعلم)، وقضى الإسلام على الأمية منذ بدايته حين جعل فداء الأسير من المشركين تعليم عشرة من غلمان المسلمين في موقعة بدر؛ وكذلك عمل على تربية الأطفال التربية الجسدية السليمة، فقال ﷺ: (حق الولد على الوالد أن يعلمه الكتابة، والسباحة، والرماية، وركوب الخيل).

الباب الأول

الفصل الثالث

الحياة الاقتصادية والتنظيم المالي في العصر الراشدي

أولاً - المظهر الاقتصادي:

١- الزراعة:

شجع الرسول صلى الله عليه، وسلم الزراعة؛ ومنح الأراضي غير المزروعة لمن يتعهدا بالاستثمار، كما اهتم الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه بأرض السواد - وهي أرض تمتد ما بين البصرة والكوفة - في جنوب العراق، وسميت بذلك بسبب كثرة الزرع، والأشجار الموجودة فيها. وقد أبقي الخليفة عمر رضي الله عنه هذه الأرض بيد أهلها مقابل دفع الخراج عنها.

٢- الصناعة:

برع العرب المسلمون في الصناعات الأولية التي احتاجوها للحياة اليومية. وقد حض الرسول ﷺ على إتقان العمل بقوله: (إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه). وقد ازدهرت في العصر الراشدي صناعة السفن، وأدوات الحصار والقتال.

٣- التجارة:

كانت التجارة مزدهرة في منطقة الحجاز قبيل الإسلام، وكان سادات قريش يتزعمون الأعمال التجارية، ولقد تعززت طرق التجارة بعد تحرير بلاد الشام والعراق والقيام بالفتوحات. وقد حارب الإسلام الاستغلال واستثمار جهد الآخرين.

٤- النقد:

استخدم المسلمون في معاملاتهم التجارية الدينار الذهبي، والبيزنطي، والدرهم الفضي الفارسي. وفي عهد الخليفة عمر بن الخطاب تم سك نقود عربية، وحملت العبارات التالية: (لا إله إلا الله محمد رسول الله).

ثانياً: التنظيم المالي:

بدأ النظام المالي يأخذ شكلاً منظماً في عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وذلك عن طريق إنشاء ديوان الخراج لتدوين واردات بيت المال ونفقاته.

ثالثاً - واردات بيت المال:

١- الزكاة:

وهي فريضة تدفع عن أموال المسلمين وفق نظام دقيق حددته الشريعة الإسلامية.

٢- الجزية: وهي فريضة يدفعها رعايا الدولة من غير المسلمين، وتسقط بالإسلام لتحل محلها الزكاة.

٣- الغنيمية: ما يغنمه العرب المسلمون عن طريق الحرب.

٤- الفية: ما يغنمه العرب المسلمون بعد صلح من غير قتال.

٥- الخراج: مقدار معين من المال، أو الحاصلات يفرض على الأرض التي فتحها المسلمون.

٦ - العشور: وهي ضريبة تؤخذ من التجار غير المسلمين عن السلع التي يتاجرون بها في ديار المسلمين.

رابعاً - نفقات بيت المال:

ينفق المال الذي يرد إلى بيت مال المسلمين وفق ما نصت عليه الشريعة الإسلامية:

١ - رواتب القضاة، والولاة، والعمال، والموظفين، والجنود.

٢ - مصالح الدولة، ومشاريعها المختلفة: مثل استصلاح الأراضي، وصيانة المنشآت العامة.

٣ - تحرير العبيد، وكفالة الفقراء، والمساكين.

خامساً - الأسواق في العهد الراشدي:

١ - مقدمة:

عمل الرسول ﷺ على إنشاء سوق خاص بالمسلمين في المدينة المنورة، وأعفى التجار فيه من ضريبة الخراج؛ وكان هذا أول سوق تجاري يُقام في مطلع الدعوة في شبه الجزيرة العربية.

ويُنقل عن الرسول ﷺ قوله حول هذا السوق الجديد: (إن سوقكم هذا لا يؤخذ منه خراج، ولا علة)، (كما ذكر البلاذري في مؤلفيه أنساب، وفتوح).

وهذا ما شجّع التجار الأنباط في بلاد الشام على ارتياده لبيع بضائعهم، وشراء التمر منه. وفي أيام الخلفاء الراشدين نشطت الحركة التجارية في هذا السوق. ولما تولى عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه الخلافة أقطع الحارث بن الحكم، فقام هذا الأخير بالإشراف عليه، والتحكم به، وبمقاعده، وبأسعاره. ويذكر الواقدي في كتابه المغازي: أن عثمان ولّى الحارث السوق، فكان يشتري الجلب بحكمة، ويبيعه بسؤمه، ويجبي مقاعد المتسوّقين، ويصنع صنيعاً منكرأ. ويذكر المدائني أن الحارث كان يجبي عشوره إليه.

٢ - أسواق العرب:

اتخذ العرب المسلمون لقضاء حوائجهم أسواقاً متعددة، عامة وخاصة

أ - الأسواق الخاصة:

اتسعت الأسواق، وتنوعت بضائعها بعد انتشار العرب، واستقرار الأعداد الكبيرة منهم في البلدان المفتوحة؛ وظهرت الأسواق الخاصة سواء للخلفاء، أو للولاة، أو لأقاربهم، وأصدقائهم.

ومن هذه الأسواق الجديدة:

١ - سوق البصرة: الذي اشتراه واليها من التاجر عبد الله بن عامر بن كريز من ماله، ووهبه إلى أهله.

٢ - سوق الوردان: في الفسطاط بمصر (القاهرة القديمة) الذي كان يملكه وردان الرومي، مولى عمرو بن العاص. أما في دمشق، حيث مركز الخلافة الأموية، فكثرت الأسواق الخاصة وكان من بينها:

٣ - سوق الصياقلة.

٤ - سوق الخالدين.

ونشأت في فترة لاحقة أسواق أخرى مثل:

٥ - سوق الغنم.

٦ - سوق الصرف.

٧ - سوق الغزل وسواها من الأسواق. وأقيمت الأسواق الخاصة في مراكز الولايات، مثل:

٨ - سوق يوسف بالحيرة.

٩ - سوق أسد بالكوفة.

ب - الأسواق العامة؛

انتشرت الأسواق العامة، إضافة إلى الأسواق الخاصة، في كافة الأقطار. وكان من بينها:

١ - سوق حزورة.

٢ - سوق الأبواء في مكة المكرمة.

٣ - سوق الخزامين.

٤ - سوق الرقيق.

٥ - سوق الخيل.

٦ - سوق مهزور في المدينة المنورة.

وفي العراق توزعت الأسواق العامة بين الكوفة، والبصرة؛ وكان من أشهرها:

٨ - سوق المراضيع.

٩ - سوق الكرابيس.

١٠ - سوق السلاح.

١١ - سوق الكلاء.

١٢ - سوق الثلاثاء.

١٣ - سوق الرقيق.

واشتهرت في الموصل:

١٤ - سوق القنابين.

١٥ - سوق الحشيش.

١٦ - سوق الأربعاء.

وفي اليمن اشتهرت:

١٧ - سوق الذئاب.

١٨ - سوق عدن، وعُدَّ هذا الأخير أقدم أسواق العرب.

وفي تهامة:

١٩ - سوق حباشة، وهو أكبر أسواقها. وكان الرسول ﷺ يحضره لبيع البز.

وفي البحرين:

٢٠ - سوق دارين الذي يصدر العطر إلى مكة المكرمة، وأنحاء أخرى.

وفي الأهواز:

٢١ - سوق الأهواز.

٢٢ - سوق الأربعاء.

وقد قيل: إنَّ معاوية بن أبي سفيان عندما فتح -قيسارية - في فلسطين وجد فيها ثلاثمئة سوق قائمة (البلاذري).

وفي مصر كانت هناك أعداد كبيرة من الأسواق منها:

٢٣ - سوق بربر.

٢٤ - سوق الحمام.

٢٥ - سوق النحاسين.

وكذلك كانت أسواق المغرب كثيرة أشهرها:

٢٦ - سوق أكرسيف الذي كان يقام كل يوم خميس. وعدت أسواق تونس المدينة

وقيروان من أحسن الأسواق.

واشتهرت في جزيرة صقلية:

٢٧ - أسواق الزيادين.

٢٨ - أسواق القمح.

٢٩ - أسواق الصيارفة.

وكانت بعض الأسواق في كل هذه المناطق تتخصص بصنف واحد وبسلعة واحدة. وهذا ما أدى إلى ظهور التجمعات المهنية، وسهل توارد الناس إليها وإشراف المحتسب عليها.

وكانت الأسواق، بشكل عام، مفتوحة أمام الجميع، من مسلمين، وغير مسلمين في الدولة. وعندما حاول الخليفة الراشدي عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه حماية التجارة الإسلامية من سيطرة غير المسلمين في الحجاز، وأصدر أمراً بمنع الأعاجم من التفرد بالتجارة في أسواق المسلمين في الحجاز، التجأ أحد كبار تجار البز الأعاجم إلى عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه طالباً منه السماح له باستخدام اسمه أثناء تجارته بالبز مقابل نسبة معينة من الأرباح، ووافق عثمان رضي الله تعالى عنه على ذلك.

وقد اختلف الأمر في مجال التجارة خارج الحجاز.

ويذكر في هذا المجال أن عامل عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه على بلاد الشام، معاوية بن أبي سفيان، طلب من أبي هريرة أن يحث قاضي فلسطين عبادة بن الصامت بأن لا يتدخل في تجارة أهل الذمة. وقال له: ألا تمسك عنا أخاك عبادة. أما في الغدوات فيغدو إلى السوق فيفسد على أهل الذمة أسواقهم (ابن عساکر: تاريخ؛ الذهبي: سير). أما علماء المسلمين، فدعوا إلى فرض بعض الشروط المخالفة للشريعة في هذا السوق. فيقول أبو يوسف في كتاب الخراج: "يترك أهل الذمة يتاجرون في الأسواق شرط عدم بيع الخمر والخنزير". أما مالك بن أنس (المدونة) فكره التعامل مع الصيارفة النصارى في الأسواق.

ج - أدوار متعددة للأسواق:

تميزت الأسواق في مطلع الدعوة، وصدر الإسلام بكونها مراكز إعلام إلى جانب كونها مؤسسات اقتصادية كبيرة. ويذكر الجاحظ في مؤلفه الحيوان أن التجار من كافة الأديان والأجناس سُمح لها أن تشترك في هذه الأسواق. وتقول مصادر عديدة: إن دور السوق في خلال هذه الفترة لم يقتصر على البيع والشراء، بل تحول أيضاً إلى مراكز ثقافية، ومجامع للعلماء. ويذكر في هذا المجال أن الرسول ﷺ كان يطوف في أسواق (عكاظ - ومجنة - وذى مجاز) في

مكة المكرمة ناشراً دعوته بين القبائل المختلفة، ورواد الأسواق (ابن عساكر: تاريخ). كما أنه اختار سوق بني قينقاع في المدينة المنورة مكاناً للاجتماع مع اليهود لموادعتهم (ابن الأثير).

وشكلت الأسواق مركزاً لتجمع الجواسيس. ويذكر ياقوت في كتابه معجم البلدان، وابن الأثير، وابن الجوزي أن هذه الأسواق شكلت مراكز مهمة للتجسس لفترة طويلة. وقيل: إن التاجر سفيان بن سعيد الثوري قال لأحدهم: «إذا قدمت الرقة فاجلس في سوق الأحد، واذكر فضائل علي رضي الله تعالى عنه، فإن الإباضية فيها كثير». كما أن الأسواق أضحت في وقت من الأوقات من أنسب الأماكن لتنفيذ الاغتيالات السياسية. ونقل عن أبي سفيان بن حرب «ألا أحد يغتال محمداً، فإنه يمشي في الأسواق» (ابن سعد).

كذلك شهدت الأسواق عمليات تنفيذ العقوبات القصوى. فقد خندق الرسول ﷺ في سوق المدينة، وضرب أعناق اليهود فيه (الطبري). وتشير بعض المصادر إلى أن الأسواق تحولت أحياناً إلى معسكرات أيام الحروب. ويقال: إن الرسول ﷺ خرج في ذي القعدة في سنة (٣٠) هجرية إلى بدر الصغرى لملاقاة أبي سفيان فيها. وقد كانت هذه السوق تجتمع فيها العرب في الأيام الثمانية الأولى من ذي القعدة (الواقدي واليعقوبي).

وأقام أهل المدن للجنود أثناء سيرهم للقتال العديد من الأسواق مقابل تأمين السكان. فعندما سار محمد بن الحنفية إلى مدينة مدين أغلق عاملها باب المدينة، فبادره أصحاب محمد «يا أهل مدين لا تخافوا فإنكم آمنون، إنما نريد منكم أن تقيموا لنا السوق حتى نتسوق منه ما نريد. نحن أصحاب محمد بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه لسنا نرزأ أحداً شيئاً ولا نأكل شيئاً إلا بثمن». ففتح أهل مدين باب مدينتهم، وأخرجوا لهم الأنزال.

وتولت الدولة في صدر الإسلام الإشراف على الأسواق. ويذكر أن الرسول ﷺ سار مرة في الأسواق، وتفقد التجار، وبيعهم في سوق المدينة محدراً من الغش، وعين من أشرف على أمر السوق. وكان أن عين سعيد بن العاص على سوق مكة المكرمة للإشراف عليها. وتابع عمر بن الخطاب رضي الله عنه مراقبة الأسواق، فكان يطوف في أسواق المدينة لينظمها بنفسه و«بيده الدرّة يضرب بها التجار إذا اجتمعوا على الطعام بالسوق» (ابن الأثير). كذلك قام بهدم الحوانيت التي كانت تستخدم من دون علمه؛ ويحذر من الحلف، والأيمان الكاذبة؛

وينهى عن الاحتكار. كما أنه استعمل على سوق المدينة عمالاً لمراقبتها مثل السائب بن سعيد بن ثمامة، وسليمان بن أبي خيثمة، وعبد الله بن عتبة، والشفاء بنت عبد الله بن عبد شمس (ابن عساكر). ويذكر ابن الجوزي في مؤلفه المنتظم: أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه كان يسير في الأسواق ويده الدرّة، ويقول: «أوفوا الكيل والميزان». وأيضاً «لا تنفخوا اللحم». وحذر من الأيمان الكاذبة.

وهكذا تابع الخلفاء الراشدون سياسة مراقبة الأسواق والإشراف عليها عن طريق ولاة على الأسواق كان يتم تعيينهم لمراقبة حسن العمل فيها. وشغل هذا الاهتمام بأمور الأسواق، وتنظيمها الدولة من رأس هرمها حتى العمال مهما صغرت وظائفهم. وهذا الاهتمام عرّفه الشرع بالحسبة، وهي كما عرّفها ابن خلدون «وظيفة دينية من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر».

د - تجارة المدن والأقاليم:

انتشرت المدن التجارية في كل أنحاء الأقاليم الواقعة تحت سيطرة الخلافة الإسلامية. ففي شبه الجزيرة، اشتهرت مدينة جدة الساحلية القريبة من مكة المكرمة. وكان أهلها معظمهم من التجار والأغنياء. وهي تقع إلى جوار مدينة -سواكن - التي كان يسكنها تجار فارس وقوم من ربيعة (اليعقوبي)، كذلك قرية الجار المحاذية للمدينة التي تأتي بعد مكة شهرةً بالمال والتجارة. وكانت جدة مرفأً سفن الصين، والهند، ومصر، والحبشة، والبحرين. وفي الجوار أيضاً قامت قرية - قراف - التي كانت مسكناً للتجار (ابن حوقل). أما الطائف، القريبة من مكة المكرمة، فاشتهرت بالفاكهة وصنع الأدم. وكانت قریش تتاجر معها بالزيت. وكانت البحرين، حيث تجارة اللؤلؤ والمرجان، مقصد التجار الذين يتعاملون بهذه الأحجار الكريمة. كما تاجرت البحرين بالعطر، والمسك المستوردين من اليمن، والهند.

ومن أشهر مدنها آنذاك: مدينة -الخط - التي تميزت برماحها الخطية، ومدينة -الخرصان - التي كانت تباع الرماح. أما مدينة - صحار -، وهي أقدم مدن عُمان وأعمارها، وأكثرها مالاً، فكان يقصدها تجار الهند، والصين، واليمن، ومقاطعات إفريقيا الشرقية للتزود بكل أصناف البضائع، والتجارات. كذلك اشتهرت مدينة - مرباط - الواقعة بين عُمان وحضرموت.

وكانت - صنعاء - أكبر وأقدم مدن اليمن، كبيرة العمارة والتجارة. مثلها كانت - عدن - التي شهدت قيام أقدم أسواق العرب، واشتهرت بكونها مرفأ سفن تجارة الهند، والسند، والصين، والحجاز، والحبشة (اليعقوبي). أما مدينة -بيلمان - فقد اشتهرت بسيوفها البيلمانية. وشهدت الكوفة والبصرة في العراق ازدهاراً كبيراً في خلال هذه الحقبة. فالبصرة كانت مقصد التجار القادمين إليها برأ من الري، والأهواز، ومسقط، وشبه الجزيرة، والقادمين إليها بحرأ من فارس، والهند، والسند. وقيل عنها: «البصرة مدينة الدنيا، ومعدن تجارتها، وأموالها» (اليعقوبي). وإلى جانب البصرة كان لمدينة - الأبله - دورها في هذه التجارة المزدهرة. وقد وصفها عتبة بن غزوان عند فتحها بأنها «شاطئ دجلة البصرة العظمى ومرفأ سفن عُمان، والبحرين، وفارس، والهند، والصين» (البلاذري). وقال عنها التاجر خالد بن صفوان: «ما رأينا أرضاً مثل الأبله أقرب مسافة، وأعذب نطفة، ولا أربح لتاجر» (ابن قتيبة: عيون).

ووصفت الموصل بأنها باب العراق، ومفتاح خرسان. وقال عنها ياقوت في مؤلفه معجم البلدان: «إن بلاد الدنيا ثلاثة: نيسابور لأنها بلاد الشرق، ودمشق لأنها بلاد الغرب، والموصل لأنها القاصد إلى الجهتين قلماً يمر فيها». وإلى جانب الموصل كانت مدينة الأنبار مدينة تجارية مزدهرة، وهي تربط ما بين الشام، وبغداد. وكانت الأهواز مقصد التجار المتهورين لصعوبة مسالكها (ابن قتيبة). وتميزت بلاد الشام قبل الإسلام بكونها «متجر العرب ومبرتهم» (ياقوت)، خاصة مدينة - غزة - الواقعة في جنوبها، ومدينة -الجفار - التي قامت بين فلسطين ومصر وضمت - رفح - والقس -والعريش، وكانت جميعها عامرة ويسكنها السوق، وفيها دكاكين، وفنادق (ابن حبيب).

أما مدينة -أبله - الواقعة على البحر الأحمر فكانت تعتبر الميناء الجنوبي لبلاد الشام. وكان أهلها خليط من الناس، والأجناس. وكانت منزلاً لكثير من موالي بني أمية، خاصة موالي عثمان بن عفان رضي الله عنه. ومثلها كانت مدينة - بصرى - في وسط بلاد الشام ملتقى تجار العالم (الواقدي: فتوح). وقامت على الجانب الإفريقي الشرقي والشمالى - خاصة سواحله - مراكز تجارية مهمة مثل - الإسكندرية - و- دمياط - بمصر، و - القيروان - بالمغرب، و - سوسة - في تونس، وأيضاً مدينة - سجلماسة - التونسية التي سكنها تجار من البصرة والكوفة.

الباب الأول

الفصل الرابع

الحياة العسكرية في العصر الراشدي

أولاً: الجيش في عهد الرسول ﷺ:

مع قيام الدولة العربية الإسلامية في المدينة المنورة، اتحد جميع المسلمين تحت لواء الدين لمحاربة أعدائهم، ونصرة عقيدتهم، ونشرها؛ وكان الرسول ﷺ يقود المسلمين أثناء الغزوات ضارباً بذلك المثل الحي لجنوده بالشجاعة، والإقدام؛ ثم تبعه الصحابة الكرام في قيادة الجيش.

وقُسمت الحروب أيام الرسول إلى قسمين:

١ - الغزوات: وهي المعارك التي كان يقودها الرسول ﷺ نفسه.

٢ - السرايا: وهي المعارك، والمواجهات التي لم يكن الرسول ﷺ قائد جيش المسلمين

فيها، كما أنه لم يشارك فيها.

ثانياً: الجيش في عهد الخلفاء الراشدين:

في عهد الخليفة أبي بكر انشغل المسلمون بحروب الردة، ثم بدأت حروب التحرير، وقد

كان الجنود المسلمون يتألفون من فئتين هما:

أ - النظاميون: الذين اتخذوا الجندي مهنة لهم.

ب - المتطوعون: الذين يلتحقون بالجيش وقت الحرب.

١ - أسلحة الجيش:

كانت هذه الأسلحة متنوعة إذ كان هناك:

أ - أسلحة دفاعية: مثل الدرع، والخوذة، والترس.

ب - أسلحة فردية: مثل السيف، والرمح، والخنجر، والقوس.

ج - أسلحة جماعية: مثل المنجنقات، والدبابات.

٢ - طرق القتال:

تعددت طرق القتال في العهد الراشدي، فكانت على أنظمة متعددة:

أ - نظام الصفوف المتراسة.

ب - نظام الكراديس الذي تم بموجبه تقسيم الجيش إلى خمسة أقسام.

٣ - فرق الجيش:

قسم الجيش الإسلامي إلى أنواع من الفرق:

أ - المشاة، أو الرجالة.

ب - الخيالة، أو الفرسان.

ج - رماة السهام.

د - الكشافة (لاستطلاع العدو).

هـ - مستخدمي الدبابات، والمتجنقات.

٤ - رتب الجيش:

كانت على النحو التالي:

١ - عريف

٢ - نقيب

٣ - قائد

٤ - أمير

٥ - اللواء والراية:

أ - اللواء:

هو شعار المسلمين الذي كان يرفع على رأس رمح يرفعه قائد المعركة.

ب - الراية:

شعار أصغر من اللواء، ويحملها قادة الفرق الصغيرة.

٦ - دور المرأة في القتال:

سمح الرسول ﷺ؛ وكذلك الخلفاء الراشدون للنساء بالخروج إلى الجهاد، لإثارة حماسة المقاتلين، وخدمة الجند (تقديم الطعام، والماء)، وجمع السلاح، والاعتناء بالمرضى، وإسعافهم؛ كما شاركن في القتال في معركتي القادسية، واليرموك. ومن أبرز النساء المجاهدات (خولة بنت الأزور) التي تعدُّ من أشهر النساء العرييات.

ثالثاً: الأسطول في عهد الخلفاء الراشدين:

استأذن معاوية بن أبي سفيان (والي الشام) الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه بركوب البحر، فرفض ذلك لعدم وجود خبرة عند العرب المسلمين في هذا المجال. وسمح الخليفة لمعاوية بغزو جزيرتي (قبرص ورودرس). وقد تمَّ بناء السفن في كلِّ من مصر، وبلاد الشام. وتمكَّن الأسطول العربي الإسلامي من تحقيق أول انتصار بحري على الروم البيزنطيين في معركة (ذات الصواري ٣٤ هـ / ٦٥٤ م).

الباب الأول

الفصل الخامس

الحياة الفكرية في العصر الراشدي

أولاً: الحياة الفكرية في عصر الخلفاء الراشدين:

١ - تعريفها:

الحياة الفكرية تعني ما أنتجه العرب في عصر الخلفاء الراشدين في مجال الكتابة والآداب والعلوم.

٢ - خصائصها:

- انتشار المعرفة بين جميع الناس، وكانت شاملة لكل العلوم الدينية، والدنيوية.
- تعدد مراكزها الفكرية، والمدن الإسلامية.
- كانت المساجد مراكز لتعليم المسلمين القرآن الكريم، والأحاديث النبوية، وأمور الفقه، والعلوم الأخرى.

٣ - عوامل ازدهار الحركة الفكرية:

أ - العامل الديني: حيث أكد الإسلام على أهمية العلم، وضرورته.
ب - العامل العربي: الاهتمام باللغة العربية؛ لأنها لغة القرآن الكريم؛ وكذلك الاهتمام بالثقافة العربية، والاعتزاز بها، وتشجيع التبادل، والتفاعل مع الثقافات الأخرى.

٤ - أهم المراكز الفكرية:

أ - المدينة المنورة: التي كانت مركزاً لعلوم القرآن، والحديث النبوي الشريف.
ب - مكة المكرمة: التي كان لها دورها الثقافي الكبير - خاصة - في موسم الحج.
ج - الكوفة: التي كانت مركزاً مهماً للعلوم، والآداب المختلفة - خاصة - في عهد الخليفة علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

د - البصرة: التي كانت من أهم مراكز العلوم، والآداب؛ وكانت البصرة تنافس الكوفة في العلم والثقافة.

ه - مدينة الفسطاط: التي بناها عمرو بن العاص، وهي جزء من مدينة القاهرة حالياً.

ثانياً: الخط العربي:

تمت كتابة القرآن الكريم باللغة العربية بعد نزوله بها واختيار الله تعالى لهذه اللغة وعاءاً لكلامه، وقد وضعت النقاط فوق الحروف للتعبير عن الأصوات، ونسب هذا العمل إلى أبي الأسود الدؤلي بتوجيه من الخليفة علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه.

ثالثاً: العلوم التي اهتم بها المسلمون في العصر الراشدي:

١ - العلوم الدينية: مثل علوم القرآن الكريم (أسباب النزول، والتفسير)؛ وعلم الحديث، والفقه.

٢ - العلوم الإنسانية: بدأ الاهتمام بالتاريخ لمعرفة سيرة الرسول ﷺ كما بدأ الاهتمام بالجغرافيا لمعرفة الطرق والمسالك، ولكن الاهتمام بهذين العلمين كان بسيطاً للغاية.

٣ - العلوم الطبية: حض الإسلام على المعالجة الطبية بعيداً عن السحر، والشعوذة؛ وعرف ذلك باسم (الطب النبوي).

الباب الأول

الفصل السادس

الحياة الفنية في العصر الراشدي

- مميزات الفن الإسلامي

ارتبط الفن عند العرب بتعاليم الدين الجديد، وانعكس ذلك في بناء المساجد، والمدن، واعتماد الرسوم، والزخارف النباتية، والهندسية (بعيداً عن الرسوم البشرية، والحيوانية).

أولاً: بناء المسجد:

تطور فن بناء المساجد بشكل عام، وذلك بعد تعرّف العرب على الحضارات الشعوب الأخرى. وكانت المساجد بسيطة، وتشبه مسجد الرسول ﷺ في المدينة المنورة. ثم أدخلت عليها بعض التعديلات، وأبرزها بناء المآذن، والمحراب، واعتمدت الرسوم النباتية، والهندسية في زخرفها انسجماً مع تعاليم الإسلام.

ومن أهم المساجد:

١ - مسجد قباء:

وهو أول مسجد بني في الإسلام يقع في واحة المدينة حيث وضع رسول الله ﷺ رحاله عند هجرته إلى يثرب، وأقام في هذا المكان أربعة أيام.

٢ - مسجد الرسول ﷺ في المدينة المنورة:

- ويعد النموذج الأساسي للمساجد الإسلامية، بناه الرسول ﷺ بعد هجرته إلى يثرب (المدينة المنورة).

- حمل طابع البساطة في بنائه، وهو شكل مربع (طول ضلعه ١٠٠ ذراع) أساساته من الحجارة، وجدرانه من الطين المحفف، وأعمدته من جذوع النخيل. وقد انتشرت المساجد في جميع أرجاء الدولة الإسلامية، وترافق ازدياد أعدادها مع انتشار الدعوة الإسلامية.

ثانياً: بناء المدن:

- كانت الغاية من إنشاء المدن إقامة تجمعات سكنية للجنود، لكن المدن ازدادت جمالاً، وتوسعاً.

- اشتملت على المسجد، ودار الإمارة في الوسط، وحوها المساكن، ثم الأسوار.

- ومن أهم المدن التي بنيت في العصر الراشدي:

١ - مدينة البصرة: بناها العرب سنة - ١٥ هـ - بأمر من الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه، واتخذت معسكراً للمقاتلين، وعائلاتهم الذين بنوا بيوتهم من القصب؛ وبمرور الوقت بُنيت المنازل باللبن، والطين، وتوسيع العمران فيها، وأصبحت البصرة واحدةً من أهم المدن العربية، ومركزاً حضارياً كبيراً، حيث تخرج منها عدد كبير من العلماء والأدباء.

٢ - مدينة الكوفة: اختطها سعد بن أبي وقاص سنة - ١٧ هـ - بأمر من الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وقد اتخذت مركزاً للجيش العربية الإسلامية، ثم استوطنتها أعدادٌ كبيرةٌ من القبائل العربية المشاركة في الفتوحات العربية الإسلامية. وزادت أهمية هذه المدينة عندما اتخذها الخليفة علي بن أبي طالب رضي الله عنه عاصمة له.

٣ - مدينة الفسطاط: بعد تحرير مصر بنى عمرو بن العاص مدينة الفسطاط، واتخذ منها مقراً لإدارة شؤون الحكم، ثم اختط فيها المسجد، ودار الإمارة؛ وقد أقام جنود المسلمين فيها، وكان ذلك سنة - ٢١ هـ -.

وقد سميت مدينة البصرة بهذا الاسم بسبب كثرة الحصى، والحجارة في أرضها.

وسميت الكوفة بهذا الاسم بسبب استدارتها، وتجمع الناس فيها.

وسميت الفسطاط بهذا الاسم بسبب تجمع الأبنية فيها، ومناعة موقعها.

الباب الثاني

الخلفاء الراشدون

الباب الثاني

الفصل الأول

خلافة أبي بكر الصديق

١١ - ١٣ هـ / ٦٣٢ - ٦٣٤ م

- نشأته، ومبايعته بالخلافة

أ - معنى الخلافة:

لقد كانت القبيلة العربية تُحکم من قبل شيخ القبيلة، حيث تختار كل قبيلة شيخها من بين أكثر بطون القبيلة عدداً، ويشترط فيه أن يتصف بالشجاعة، والمروءة، والكرم.

وبعد ظهور الإسلام أصبح الرسول ﷺ رئيساً دينياً للمسلمين في مكة المكرمة. وفيما بعد أصبح رئيساً دينياً، ودنياً للمسلمين في المدينة المنورة، يعلم الناس أمور دينهم، ويحكم بينهم في خلافاتهم. ويقودهم في معاركهم ضد المشركين.

وبعد وفاة الرسول ﷺ عام ١١ هجري / ٦٣٢ م أطلق على من خلفه لقب (خليفة رسول الله). وبذلك يكون الخليفة: هو الشخص الذي خلف رسول الله ﷺ في حكم المسلمين.

ب - أبو بكر الصديق رضي الله عنه:

١ - شخصيته: هو عبد الله بن عثمان بن أبي قحافة من بني تيم أحد بطون قريش. يكنى بأبي بكر، لقب بالصدّيق؛ لأنه بادر إلى تصديق الرسول ﷺ في موضوع الإسراء، والمعراج.

ولد في مكة عام - ٥٧٣ م -، وكان معروفاً بحسن خلقه، وحب للخير، ومساعدة الضعفاء، والمحتاجين. كان غنياً، إذ كان يعمل بالتجارة، وقد سخر ماله في سبيل نشر الدعوة الإسلامية.

٢ - إسلامه: كان صديقاً للرسول ﷺ قبل نزول الوحي عليه؛ وهو أول من بادر إلى الاستجابة للدعوة من الرجال، كما أسلم على يديه العديد من المسلمين.

٣ - مبايعته بالخلافة: بعد وفاة الرسول ﷺ اجتمع كبار الصحابة في مكان يدعى (سقيفة بني ساعدة) لاختيار خليفة للمسلمين، وبايعوا أبا بكر ليخلف رسول الله في حكم المسلمين. وقد سميت هذه البيعة بالبيعة الخاصة، وبعد ذلك انتقل أبو بكر إلى المسجد حيث بايعه عامة الناس بالبيعة العامة.

و قد بويع أبو بكر بالخلافة للأسباب التالية:

أ - سبقه في الإسلام.

ب - جهاده في سبيل الله.

ج - صحبته لرسول الله أثناء هجرته من مكة إلى يثرب.

د - إمامته للصلاة بالمسلمين أثناء مرض رسول الله الأخير ﷺ؛ وعند توليه الخلافة ألقى خطبته في الحكم.

دامت خلافة أبي بكر سنتين، قضاها في تدعيم أسس العقيدة الإسلامية، وجمع كلمة المسلمين حولها.

خطبة أبي بكر بعد مبايعته بالخلافة

(أيها الناس! إني قد وليت عليكم، ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوموني.

الصدق أمانة، والكذب خيانة، والضعيف فيكم قوي عندي حتى آخذ الحق له إن شاء الله، والقوي منكم ضعيف عندي حتى آخذ الحق منه إن شاء الله، لا يدع الجهاد في سبيل الله إلا قوم ضربهم الله بالذل، ولا تشيع الفاحشة في قوم قط، إلا عمهم البلاء. أطيعوني ما أطعت الله ورسوله فإذا عصيت الله، ورسوله؛ فلا طاعة لي عليكم. قوموا إلى الصلاة يرحمكم الله).

٤ - أعماله:

كان الرسول ﷺ قد أمر بتجهيز جيش يقوده أسامة بن زيد لقتال الروم على حدود بلاد الشام الجنوبية، لكن وفاته حالت دون ذلك.

بعد مبايعة أبي بكر رضي الله عنه بالخلافة عرض على الصحابة إرسال جيش أسامة لمحاربة الروم، ولكن بعضهم اعترض على ذلك، واقترحوا عزل أسامة بسبب صغر سنه (١٧ عاماً) فأبى أبو بكر ذلك وقال: (لا أعزله وقد ولاه الرسول ﷺ).

وحرص أبو بكر على تزويد أسامة بن زيد بتوجيهات أخلاقية سامية تعدد من أهم الوثائق القتالية الإنسانية.

أ - محاربة المرتدين (حروب الردة):

استغلت بعض القبائل وفاة الرسول ﷺ، وبدأت بالارتداد عن الإسلام؛ لأنها اعتقدت أن الإسلام انتهى بوفاة.

ب - أسباب حركة الردة:

- ١ - امتناع بعض القبائل عن تأدية الزكاة لاعتقادهم بأنها خضوع لقريش.
- ٢ - رغبة بعض القبائل بالعودة إلى العصبية القبلية.
- ٣ - وجود بعض الأشخاص الذين ادَّعوا النبوة.
- ٤ - حداثة عهد بعض القبائل خارج منطقة الحجاز بالإسلام، ولذلك لم يتمكنوا من فهمه بشكل صحيح.

ج - موقف أبي بكر رضي الله عنه من المرتدين:

وقف أبو بكر رضي الله عنه موقفاً حازماً من المرتدين، وسير عدة جيوش لقتالهم، وقد خاضت هذه الجيوش عدة حروب مع المرتدين سُميت حروب الردة، ودامت حوالي ستة أشهر.

و من أشهر المرتدين مسيلمة الكذاب الذي ادَّعى النبوة. ومن أشهر القادة المسلمين الذين حاربوا المرتدين خالد بن الوليد، وعمرو بن العاص.

ومن أشهر معارك الردة معركة حديقة الموت التي قتل فيها مسيلمة الكذاب على يد خالد بن الوليد.

د - نتائج حروب الردة:

- ١ - إعادة توحيد شبه جزيرة العرب تحت لواء الإسلام.
- ٢ - تركيز فكرة الدولة القائمة على أساس وحدة العقيدة، وترك العصبية القبلية.
- ٣ - اكتساب بعض القادة العسكريين شهرة واسعة مثل: خالد بن الوليد.
- ٤ - اكتساب الجيوش الإسلامية خبرة في القتال.
- ٥ - نتيجة للاستقرار السياسي بدأت حروب التحرير في العراق، وبلاد الشام.
- ٦ - استشهاد عدد كبير من الصحابة من حفظة القرآن الكريم، مما دفع الخليفة أبا بكر إلى الأمر بجمع آيات القرآن في مصحف واحد، وخوفاً عليها من الضياع متابعة لما عمله الرسول ﷺ.

هـ - حروب التحرير في عهد الخليفة أبي بكر:

بعد انتهاء حروب الردة، واستقرار الأمور في شبه جزيرة العرب وجد الخليفة أبو بكر رضي الله عنه أن الفرصة أصبحت مواتية لنشر الإسلام خارج شبه جزيرة العرب، فبدأت حروب التحرير في كل من بلاد الشام لمحاربة الروم، والعراق لمحاربة الفرس.

١ - أسباب حروب التحرير:

أ - السبب الديني:

رغبة العرب المسلمين في نشر عقيدتهم خارج شبه جزيرة العرب.

ب - السبب السياسي:

دفع خطر الروم، والفرس عن الدولة العربية الإسلامية.

ج - السبب العروبي:

تحرير العرب من سيطرة الفرس، والروم البيزنطيين.

د - السبب الاقتصادي:

تحقيق التكامل الاقتصادي بين المناطق العربية.

أولاً: حروب التحرير في بلاد الشام:

بدأت المناوشات بين المسلمين، والروم منذ عهد الرسول ﷺ، وذلك من خلال غزوتي

مؤتة و تبوك.

وقد جهّز الخليفة أبو بكر رضي الله عنه أربعة جيوش لفتح بلاد الشام، وكانت موزعة كما يلي:

١ - يزيد بن أبي سفيان، ووجهته دمشق.

٢ - شرحبيل بن حسنة، ووجهته الأردن.

٣ - أبو عبيدة بن الجراح، ووجهته حمص.

٤ - عمرو بن العاص، ووجهته فلسطين.

على أن يكون أبو عبيدة قائداً عاماً لهذه الجيوش إذا اجتمعت مع بعضها.

وقد اتجهت هذه الجيوش نحو بلاد الشام، وعندما لاحظ قادتها أن الروم يجهزون جيوشاً ضخمة لمحاربة المسلمين، والقضاء عليهم. استنجد قادة الجيش بالخليفة أبي بكر رضي الله عنه، فأرسل لهم بعض الإمدادات، ثم طلب من خالد بن الوليد أن يترك العراق، ويتجه نحو بلاد الشام لكي تتوحد جميع الجيوش تحت قيادته، وقد حصل ذلك، وكان جيش المسلمين متجمعاً حول بصرى و اليرموك و الجولان.

١ - معركة أجنادين ١٣ هـ / ٦٣٤ م؛

عندما وجد الروم أن المسلمين يعدون أنفسهم لمعركة فاصلة حاولوا الالتفاف على جيش المسلمين من خلف عن طريق فلسطين التي كان يقود جيش المسلمين فيها عمرو بن العاص، ولكن خالد بن الوليد منعهم من محاصرة جيش المسلمين حيث نشبت معركة حامية في أجنادين قرب مدينة الخليل كانت نتیجتها هزيمة الروم وسقوط قائدهم قتيلاً في المعركة، كما أيبّد قسم كبير من جنودهم وهرب الباقون.

٢ - معركة اليرموك ١٣ هـ / ٦٣٤ م؛

بعد هزيمة الروم في معركة أجنادين بدؤوا يعدون أنفسهم لخوض المعركة الفاصلة. كان قائد جيش المسلمين خالد بن الوليد، وقد ابتكر طريقة الكراديس التي تعني تقسيم الجيش إلى خمس مجموعات هي: (المقدمة - القلب - الميمنة - الميسرة - المؤخرة)، وقد دارت معركة رهيبة عند نهر اليرموك كانت نتیجتها هزيمة الروم، وسيطرة المسلمين على بلاد الشام.

تمكّن جيش المسلمين قبل معركة اليرموك، وبعدها من فتح المدن الرئيسية في بلاد الشام، وبذلك تحررت بلاد الشام، وعادت جزءاً رئيساً من الوطن العربي، والأمة العربية.

ثانياً: حروب التحرير في العراق:

١ - معركة ذات السلاسل ١٢ هـ / ٦٣٣ م:

طلب الخليفة أبو بكر الصديق رضي الله عنه من خالد بن الوليد أن يتجه نحو بلاد العراق لتحريرها من الفرس؛ وقد خاض خالد، وجنوده عدة معارك ناجحة من أشهرها معركة ذات السلاسل التي كانت نتيجتها هزيمة الفرس. وبعد ذلك ترك خالد العراق، واتجه إلى بلاد الشام؛ لأن الخليفة أبا بكر رضي الله عنه طلب منه أن يتولى قيادة جيش المسلمين في بلاد الشام.

- وفاة الخليفة أبي بكر ١٣ هـ / ٦٣٤ م:

توفي أبو بكر رضي الله عنه، ودفن إلى جوار الرسول ﷺ. وقد دامت خلافته سنتين قام خلالها بأعمال جليلة لخدمة الإسلام، والمسلمين، من أهمها:

١ - محاربة المرتدين.

٢ - إرسال الجيوش لتحرير بلاد الشام، والعراق.

من آداب الجهاد

- وصية أبي بكر الصديق لجيش أسامة بن زيد:

((يا أيها الناس، قفوا أوصيكم بعشرة، فاحفظوها عني: لا تخونوا، ولا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تملوا؛ ولا تقتلوا طفلاً صغيراً، ولا شيخاً كبيراً؛ ولا امرأة، ولا تعقروا نخلاً، ولا تحرقوه، ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيراً إلا للمأكلة؛ وسوف ترون بأقوام قد فرغوا أنفسهم في الصوامع، فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له؛ وسوف تقدمون على قوم يأتونكم بآنية فيها ألوان الطعام، فإذا أكلتم منها شيئاً، فاذكروا اسم الله عليها، وتلقون أقواماً قد فحصوا أوساط رؤوسهم، وتركوا حولها مثل العصائب، فاخفقوهم بالسيف خفقاً. اندفعوا باسم الله)).

الباب الثاني

الفصل الثاني

خلافة عمر بن الخطاب

١٣ - ٢٣ هـ / ٦٣٤ - ٦٤٤ م

(١) - مبايعته بالخلافة وأعماله الإدارية

أ - نشأته، وصفاته:

هو عمر بن الخطاب من بني عدي، أحد بطون قريش. ولد في مكة المكرمة بعد ولادة الرسول صلى الله عليه، وسلم بثلاث عشرة سنة؛ عمل في الرعي، والتجارة، وكان من أبطال قريش وأحد أشرافها، وبإسلامه أعز الله تعالى المسلمين.

وقد تميز بشخصيته القوية، وجرأته في قول الحق، وحرصه الشديد على تطبيق العدالة.

ب - مبايعته بالخلافة:

شارك عمر بن الخطاب رضي الله عنه منذ إسلامه في جميع الأحداث المهمة من أجل نشر الدعوة الإسلامية، والدفاع عنها.

وصحب الرسول صلى الله عليه، وسلم في غزواته؛ وكان يستشير في كثير من القضايا؛ كما جعله الخليفة أبو بكر رضي الله عنه مستشاره، وأوكل إليه قضايا مختلفة في الدولة.

استشار الخليفة أبو بكر رضي الله عنه قبيل وفاته كبار الصحابة لتولية عمر بن الخطاب خليفة للمسلمين حرصاً على وحدة الأمة، فلقي ذلك قبولاً منهم، وبويع في المسجد ببيعة عامة سنة ١٣ - هجرة -

ولثلاً يُقال: (خليفة خليفة رسول الله ﷺ) لُقّب: بأمر المؤمنين، كما أن الرسول لقبه - بالفاروق - لأنه عندما أسلم أصبح الإسلام قوياً، واستطاع أن يفرق بين الحق، والباطل.

ج - أعماله الإدارية:

- ١ - قسم ابن الخطاب رضي الله عنه الدولة العربية الإسلامية إلى عدة ولايات.
- ٢ - عيّن لكل ولاية منها والياً، اختاره من أهل الكفاءة، والمقدرة.
- ٣ - عيّن إلى جانب كل والٍ قاضياً يقضي بين الناس بالعدل.
- ٤ - اعتمد هجرة الرسول من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة بدايةً للتاريخ الهجري.
- ٥ - نظّم البريد في البلاد الإسلامية، ليقف على أحوال المسلمين فيها.
- ٦ - أوجد نظام العسس (حراس الليل) لتفقد أحوال الرعية ليلاً.
- ٧ - وضع نظام الحسبة، حيث يقوم المحتسب بمراقبة الباعة لمنع الغش.
- ٨ - يعود الفضل للخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه في إنشاء الدواوين.

د - أنشأ عمر الدواوين التالية:

- ١ - ديوان العطاء: رتب فيه الأرزاق للمسلمين من بيت المال.
- ٢ - ديوان الجند: رتب فيه أسماء الجنود، ومرتبّاتهم.
- ٣ - ديوان الخراج: وهو ينظم الواردات، والنفقات الخاصة ببيت المال.
- ٤ - تأسيس المدن في البلاد المفتوحة، لتكون معسكرات خاصة بالجند. ومثال ذلك مدينة الفسطاط في مصر، ومدينتا الكوفة والبصرة في العراق.
- ٥ - إحياء الأرض الموات (غير المزروعة): عملاً بالحديث الشريف (من أحيا أرضاً ميتة، فهي له)، وتركها بيد المزارعين مقابل دفع خراج عنها.

(٢) - حروب التحرير

حرب التحرير في عهد الخليفة عمر بن الخطاب

أولاً: تحرير العراق:

بدأت حروب التحرير في العراق في عهد الخليفة أبي بكر رضي الله عنه، حيث أرسل خالد بن الوليد إلى العراق لمساعدة المثنى بن الحارثة الذي أعدّ الفرس جيشاً ضخماً لمحاربتة. وقد

تولى خالد قيادة جيش المسلمين، واشتبك مع الفرس في عدة معارك كان النصر فيها للمسلمين، ومن أشهرها معركة ذات السلاسل.

وعندما تولى الخلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه تابع المسلمون تحرير العراق، وحصلت معارك مهمة بين المسلمين والفرس من أهمها:

١ - معركة الجسر ١٣ هـ / ٦٣٤ م

حصلت هذه المعركة عام - ١٣ هـ / ٦٣٤ م - وكان قائد المسلمين فيها أبا عبيد بن مسعود الثقفي. وقد كانت المعركة قاسية، وحامية؛ حيث اجتاز جيش المسلمين نهر الفرات، وعبروا إلى ضفته الشرقية، وحصلت معارك عنيفة استخدم فيها الفرس الفيلة.

وعندما بدأ المسلمون بالتراجع قام أحدهم بقطع الجسر لئلا يهرب جنود المسلمين، ولكن ذلك أدى إلى خسارة المسلمين للمعركة، و غرق قسم منهم في نهر الفرات، وقتل قائد المسلمين.

٢ - معركة القادسية ١٥ هـ / ٦٣٦ م

وهي من المعارك المهمة، والفاصلة في التاريخ الإسلامي. وقد جرت على الجانب الغربي من نهر الفرات، وكان عدد الفرس يفوق كثيراً عدد المسلمين، ولكن النصر كان حليف المسلمين بعد أن استمرت المعركة أربعة أيام. حصلت هذه المعركة عام - ١٥ هـ / ٦٣٦ م -، وكان قائد جيش المسلمين فيها سعد بن أبي وقاص. ومن نتائج هذه المعركة أن أبواب العراق انفتحت أمام المسلمين، كما أنهم فتحوا - المدائن - عاصمة الفرس. وقد تمكن المسلمون من قتل - رستم - قائد الفرس في هذه المعركة.

٣ - معركة نهاوند: ٢١ هـ / ٦٤٢ م؛

وهي من المعارك الفاصلة أيضاً في التاريخ الإسلامي. كان قائد جيش المسلمين في هذه المعركة (النعمان بن المقرن)، وقد حصلت في بلاد فارس قرب مدينة نهاوند، وكانت معركة قاسية جداً، ولكن النصر كان حليف المسلمين، حيث انهزم الفرس، وانفتحت أبواب بلاد فارس أمام المسلمين. ونظراً لأهمية هذه المعركة فقد سميت: (فتح الفتوح).

ثانياً: تحرير بلاد الشام:

- لم تحصل في بلاد الشام معارك مهمة بعد هزيمة الروم في معركة اليرموك التي حصلت في أواخر عهد الخليفة أبي بكر رضي الله عنه.

- تولّى قيادة جيش المسلمين في عهد عمر أبو عبيدة بن الجراح بدلاً من خالد بن الوليد، ولكن خالداً استمر في الجهاد حتى نهاية حياته، وفي عهد الخليفة عمر رضي الله عنه تمكن المسلمون من استكمال تحرير سائر المدن المهمة في بلاد الشام فأصبحت دمشق وحمص وحلب، وجميع المدن الأخرى جزءاً من الدولة العربية الإسلامية ما عدا مدينة القدس التي اشترط أهلها حضور الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه بنفسه لتسليمه المدينة. وقد حضر الخليفة عمر، وكتب لأهل القدس عام - ١٥ هـ / ٦٣٦ م - عهداً بممارسة حريتهم الدينية، والمدينة (العهد العُمري)؛ مما يجعله ميثاقاً مشرقاً في تاريخ الإنسانية، لما يحمله من قيم التسامح، والحرية والسلام.

ثالثاً: تحرير مصر ٢٠ هـ / ٦٤١ م

بعد استقرار الأمور للعرب المسلمين في بلاد الشام، والعراق. أرسل الخليفة عمر جيشاً يقوده عمرو بن العاص لتحرير مصر، وطرد الروم البيزنطيين منها. وقد دخل عمرو إلى مصر، واحتل حصن بابلون الشهير، ثم اتجه إلى مدينة الإسكندرية، وحررها، ثم حرر سائر المدن الموجودة في مصر، وبنى مدينة القسطنطينية.

نتائج حروب التحرير:

- ١ - تحرير البلاد العربية من النفوذ الأجنبي، حيث أصبحت مصر، والعراق، وبلاد الشام جزءاً من الدولة العربية الإسلامية.
- ٢ - سقوط دولة الفرس، وإضعاف نفوذ الروم.
- ٣ - انتشار اللغة العربية إلى جانب العقيدة الإسلامية في البلاد العربية المحررة.
- ٤ - ازدياد واردات الدولة، مما استدعى وجود تنظيمات إدارية جديدة.

- وفاة الخليفة عمر بن الخطاب:

طُعن الخليفة عمر عام - ٢٣هـ - بـخـنـجـر مسموم من قِبَل أبي لؤلؤة الفارسي قبحه الله. وقبل وفاته أُلِّفَت لجنة سداسية من أصحاب رسول الله ﷺ مهمتها اختيار من يخلفه.

- أقوال في سيدنا عمر بن الخطاب:

عمر بن الخطاب رضي الله عنه - الفاروق الذي فرق الله به بين الحق والباطل - إنه ذلك الرجل العظيم الذي يعد من أقوى رجال التاريخ شكيمة وأشدهم بأساً وأسدهم رأياً وأبعدهم نظراً، وأعفهم نفساً، وأطهرهم ذمة وأنقاهم ذيلاً. فحياته جديرة بأن تدرس درساً وافياً دقيقاً إذ كان مثال الشهامة واليقظة والعدل والإنصاف، والسهر على الرعية، والزهد، والاستماتة في إيصال الخير إلى كل فرد من أفراد الرعية.

لا يُحِبُّ كِبيراً أو غنياً أو قريباً ولا يستصغر شأن صغير أو فقير.

فقد جمع من العلم ما أدهش العلماء العاملين.

وقام من الجد في السياسة والعدل ما أعجز الولاة والسلاطين.

وأضاف إلى ذلك من الزهد والصبر ما يعجز دونه أهل العزم من الملوك والزاهدين.

* قال فيه الرسول ﷺ:

((إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه)).

* ما قاله أبو بكر رضي الله عنه فيه:

قيل لأبي بكر: ماذا تقول لربك وقد وليت علينا عمر. فقال أقول:

(وليت عليهم خير أهلك).

* ما قاله علي بن أبي طالب رضي الله عنه فيه:

قال ابن عباس رضي الله عنه حين طُعن عمر: قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه عند

رأس عمر: (هذا أحب الأمة إلى أن ألقى الله بمثل صحيفته).

الباب الثاني

الفصل الثالث

خلافة عثمان بن عفان

٢٤ - ٣٥ هـ / ٦٤٤ - ٦٥٦ م

(١) - مبايعته بالخلافة، وأعماله التجارية

أ - نشأته وصفاته:

هو عثمان بن عفان من بني أمية من قبيلة قريش، ولد عام - ٥٧٦ م. شبَّ على الأخلاق الكريمة، والسمعة الحسنة؛ وكان له تجارة يخرج بها إلى بلاد الشام، وقد استفاد منها كثيراً، وأصبح غنياً.

كان من أوائل الرجال الذين دخلوا الإسلام، وقامت صداقة قوية بينه وبين الرسول ﷺ، وقد تزوج من ابنة الرسول ﷺ (رقية)، وبعد وفاتها تزوج من أختها أم كلثوم، فلقب بذي النورين. هاجر مرتين الأولى: إلى الحبشة، والثانية: إلى يثرب (المدينة المنورة)، وشارك الرسول ﷺ في معظم غزواته.

اختاره الرسول ﷺ ليكون كاتباً للوحي، وأرسله ليفاوض قريشاً يوم الحديبية. أنفق الكثير من ماله في سبيل الدعوة الإسلامية، منها: شراء بئر رومة، وجعله وقفاً للمسلمين، وكذلك تجهيز جيش غزوة تبوك الذي سمِّي بجيش العسرة بسبب القحط، والمجاعة التي حصلت قبيل الغزوة، وكذلك شراء أرض لتوسيع مسجد المدينة.

ب - مبايعته بالخلافة:

بعد طعن عمر بن الخطاب، وتدهور حالته الصحية رشح ستة من كبار الصحابة ليختار أحدهم للخلافة، وبعد التشاور اختاروا عثمان بن عفان للخلافة، وبايعوه بيعة خاصة، ثم توافد المسلمون على المسجد، فبايعوه البيعة العامة.

ج - أعماله الإدارية:

- ١ - أرسل كتباً إلى الولايات رسم فيها السياسة التي يجب أن يسير عليها عماله، وهي الالتزام بالأمانة، والعدل، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والعطف على أهل الذمة.
- ٢ - قسم الدولة إلى تسع عشرة ولاية، وتمَّ إحداث ثلاث ولايات، وهي الأردن، وفلسطين، وقنشرين.
- ٣ - عيّن عدداً من القواد لمساعدة الولاية في حماية حدودهم، ونشر الأمن بين الناس.
- ٤ - كما عيّن عمال الخراج في الولايات لجباية الخراج بالعدل، والإنصاف، والإنفاق على شؤون الولاية.

- ٥ - وسع المسجد الحرام في مكة المكرمة عام - ٢٩ هـ - بعد أن ضاق بجموع المصلين.
- ٦ - توجَّ عثمان بن عفان رضي الله عنه بعهدة بعمل عظيم تمثل بتدوين القرآن الكريم، وترتيبه في مصحف واحد يعرف اليوم باسم (مصحف عثمان)، وذلك خشية وقوع خلافات في ترتيب آياته بعد استشهاد عدد كبير من الصحابة وحَفَظَةَ القرآن في معارك الجهاد وقد قام بهذه المهمة زيد بن ثابت الأنصاري مع عدد من الصحابة، وتمَّ توزيع نسخ من المصحف على الولايات.

(٢) - الفتوحات:

الفتوحات في عهد الخليفة عثمان بن عفان:

أ - على الجبهة الفارسية:

بدأت الحرب بين العرب المسلمين، والفرس منذ عهد الخليفة أبي بكر رضي الله عنه، ثم تابعها الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وقد تابعت الجيوش العربية الإسلامية زحفها في عهد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه، حيث أكملت فتح بلاد فارس وامتد الفتح إلى خراسان. وقد تمكَّن العرب المسلمون من قتل ملك الفرس يزيدجرد عام - ٣١ هـ -، وبذلك أصبحت بلاد فارس بكاملها تابعة للدولة العربية الإسلامية، وانتهت مقاومة الفرس.

ب - على الجبهة الشمالية:

فتح المسلمون أرمينيا الواقعة ما بين البحر الأسود وبحر -الخرز- . وكان قائد المسلمين حبيب بن مسلمة الفهري الذي عقد معاهدة صلح، وأمان مع أهلها. وكانت الغاية من فتح أرمينيا تأمين حدود الدولة العربية الإسلامية، والتضييق على دولة الروم في آسيا الصغرى تمهيداً لإضعافها، والقضاء عليها.

ج - في شمال إفريقيا:

بعد أن حرّر المسلمون مصر بدؤوا يتطلعون إلى شمال إفريقيا من أجل تحريرها، ونشر الإسلام فيها، وطرد الروم منها؛ وقد بدأت حروب التحرير في ليبيا، حيث تمكن قائد جيش المسلمين عبد الله ابن أبي سرح من تحرير برقة، وطرابلس، وطرد الروم منها.

د - العمليات العسكرية البحرية:

كان الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه يخاف على جنوده من ركوب البحر. ولما أصبح عثمان بن عفان رضي الله عنه خليفة تزايد نفوذ الروم في البحر المتوسط، وأصبحوا يهددون سواحل الدولة العربية الإسلامية في مصر، وبلاد الشام. ولذلك سمح عثمان رضي الله عنه لواليه في بلاد الشام معاوية بن أبي سفيان بإنشاء أسطول عربي يمكنه أن يتصدى للروم، ويبعد خطرهم عن السواحل العربية، فقام معاوية بهذا العمل خير قيام، وأنشأ أسطولاً عربياً قوياً، وحديثاً.

وفي الوقت نفسه قام والي مصر عبد الله بن أبي سرح بإنشاء أسطول عربي في مصر. وقد تمكّن أسطول المسلمين من فتح جزيرتي قبرص و رودس؛ كما تمكّن فيما بعد من الانتصار على الروم في معركة ذات الصواري.

- معركة ذات الصواري: ٣٤ هـ / ٦٥٤ م

حاول الروم أن يهاجموا مصر، حيث قاد إمبراطورهم ستمئة سفينة حربية، واتجه بها نحو السواحل المصرية؛ وقد تصدى له أسطول المسلمين بقيادة عبد الله بن أبي سرح والي مصر، وانضم إليه أيضاً أسطول معاوية، فأصبح عدد سفن العرب مئتي سفينة. وبعد أن تمّ

الالتحام، واقترب الأسطولان من بعضهما بدأ العرب يربطون كل سفينة من سفنهم مع سفينة من سفن الروم، وكان ذلك لمصلحتهم؛ لأنهم أصبحوا يقاتلون الروم، وكأنهم على البر. حصلت هذه المعركة البحرية الرهيبة قرب مدينة الإسكندرية.

واستعملت فيها السيوف، والخنجر؛ وكانت نتيجة المعركة: (هزيمة الروم) هزيمة منكرة، حيث غرقت كثير من سفنهم، بينما غنم المسلمون القسم الآخر منها. وقد سميت هذه المعركة بذات الصواري لكثرة السفن التي شاركت فيها؛ وهي تعد من المعارك الفاصلة في التاريخ الإسلامي، كونها أنهت سيادة الروم على البحر المتوسط، وحققت سيادة العرب عليه لمئات السنين.

- مقتل الخليفة عثمان -

مع اتساع الدولة العربية الإسلامية أراد بعض الحاقدين على العرب، والإسلام إثارة الفتنة للنيل من وحدة العرب، والمسلمين. وكان للمنافق عبد الله بن سبأ اليهودي الأصل دور كبير في إثارة الناس، وتحريضهم ضد الخليفة، حيث زحف المتآمرون في نهاية المطاف إلى المدينة المنورة، وشددوا الحصار حول منزل عثمان رضي الله عنه، ثم دخلوا عليه، وقتلوه عام - ٣٥ هـ - بعد أن وجَّهوا له عدداً من الاتهامات.

- قراءة تاريخية -

(معركة ذات الصواري)

(لقد وقعت أول معركة بحرية مهمة بتاريخ - ٢٩ آب ٦٥٤ م / ٣٤ هـ - في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه، وهو يوم البحرية العربية التقليدي تحليداً لذكرى انتصارهم المظفر - بقيادة عبد الله بن أبي سرح -، وفيها تمَّ القضاء على أسطورة الأسطول الرومي.

وقد سبق لهذا القائد القرشي تحرير إفريقيا الشمالية، والوسطى، أو ليبيا الحالية، بعد أن سيطر على ما بين برقة و طرابلس، وقد بلغ أسطول هذا القائد في مصر مبلغاً من القوة، والكثرة جعله يسيطر على طريق الملاحة في البحر المتوسط، ويوقع الرهبة في نفوس الروم.

وكان أسطوله يتألف من مئتي سفينة تصدى لأسطول بيزنطي أكثر منه عدداً بالقرب من
ثغر الإسكندرية، وأوقع بأسطولهم الذي كان يقوده الإمبراطور قسطنطين الذي خلف هرقل.
وعمد العرب إلى ربط كل سفينة عربية بعد الالتحام بوساطة خطاف معدني بسفينة رومية،
فحولوا بذلك المعركة البحرية إلى اقتحام، وقاتل بالأسلحة الأبيض، فأبادوا الأسطول الرومي
عن بكرة أبيه).

الباب الثاني

الفصل الرابع

خلافة علي بن أبي طالب

٣٥ - ٤٠ هـ / ٦٥٦ - ٦٦١ م

(١) - نشأته ومبايعته بالخلافة

أ - نشأته وصفاته:

ولد علي بن أبي طالب رضي الله عنه ابن عم الرسول ﷺ قبل البعثة النبوية بعشر سنين، ولذا، فهو أصغر من الرسول ﷺ بثلاثين سنة.

أقام في بيت النبوة، ونشأ في كنف الرسول على الصفات الكريمة، والأخلاق الفاضلة، كالشجاعة، والإقدام، وإلى جانب ذلك عرف بفصاحته، وعمله، وفقهه؛ كما أنه لم يسجد لصنم قط.

هو أول من أسلم من الفتيان، وكان أقرب الناس إلى قلب الرسول صلى الله عليه، وسلم، وزوج ابنته فاطمة الزهراء رضي الله عنها التي ولدت له (الحسن، والحسين) سيدي أهل الجنة. كان راجح العقل، سديد الرأي، وكان أحد المرشحين الستة لمنصب الخلافة بعد وفاة عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

ب - مبايعته بالخلافة:

بعد مقتل الخليفة عثمان بن عفان، أصبحت الدولة الإسلامية دون خليفة يسيرٌ أمورها، ويدير شؤونها.

كان أبرز المرشحين للخلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه، حيث بادر معظم الموجودين في المدينة المنورة إلى مبايعته، وبذلك أصبح علي رضي الله عنه الخليفة الراشدي الرابع سنة - ٣٥ هـ - .

عاش علي رضي الله عنه حياة خشونة على الرغم من كثرة الأموال التي كانت تُجبي إليه من أطراف الدولة الإسلامية.

(٢) - أعماله

أ - سياسته في الحكم:

بعد مبايعة المسلمين لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه بالخلافة صعد المنبر، ليعلن الأساليب التي سوف يتبعها في سياسته القادمة؛ فأشار في حكمة، وبلاغة إلى النهج الذي يستقبل به عهد خلافته، مؤكداً على حرمة المسلم، وعدم إهدار كرامته، والدعوة للأخذ بالخير، وترك الشر. بويع علي بالخلافة في فترة تاريخية معقدة، وحرجة، وكان عليه:

١ - أن يكبح جماح الاضطرابات الداخلية جميعها التي تعترض طريق خلافته.

٢ - أن يزيل العقبات، والحواجز التي تهدد الأمة العربية الإسلامية.

ب - أعماله الإدارية:

إلى جانب ما تميز به الخليفة علي بن أبي طالب رضي الله عنه من شجاعة، وإقدام، وتفقه في الدين، وصدق، وثبات في العقيدة، تميز بجليل الأعمال منها:

١ - حافظ على مبدأ الشورى في الإسلام: يدل على ذلك عندما سأله بعض المسلمين، وهو على فراش الموت أن يعهد لابنه الحسن بالخلافة فقال: ((لا أمركم، ولا أنهاركم، أنتم أبصر)).

٢ - عمل الخليفة علي بن أبي طالب رضي الله عنه وفق الطريقة التي سادت زمن الرسول الكريم ﷺ، والخليفين أبي بكر الصديق، وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما باختيار الولاة الذين عرفوا بالكفاءة، والنزاهة.

٣ - قاوم الفساد، فعزل الولاة الذين لم تثبت كفاءتهم.

٤ - حرص على حقوق المسلمين، فطبق العدالة على الجميع.

٥ - كان أول من جلس للمظالم: حيث خصص لها يوماً من كل أسبوع ليستمع إلى المظلومين، لإنصافهم.

ج - الأعمال الفكرية:

- اهتم الخليفة علي بن أبي طالب رضي الله عنه في وضع أسس علم النحو للغتنا العربية، وله الفضل في تقسيم الكلمة إلى اسم وفعل وحرف، والأحرف المشبهة بالفعل والأسماء الظاهرة والمضمرة.

صنفت أقواله الماثورة في كتاب (نهج البلاغة).

الباب الثالث

جمع القرآن الكريم

مقدمة

اهتم المسلمون بالقرآن الكريم اهتماماً كبيراً (جمعاً، وقراءة وفهماً، وتفسيراً، وأحكاماً، وتشريعاً، وبياناً، ولغةً، وأدباً، وإعجازاً)، وأكثر ما شغل الخلفاء في هذا العصر جمع القرآن في مصحف واحد؛ وعلى قراءة واحدة، وهذا ما قام به الخليفةان: أبو بكر الصديق، وعثمان بن عفان رضي الله عنهما.

الباب الثالث

الفصل الأول

كتاب الخلفاء

انفرط عقد كتاب الوحي بعد موت رسول الله ﷺ فانتشروا في البلاد، وانشغلوا في حروب الردة، وحروب التحرير؛ ففي عهد أبي بكر رضي الله عنه عمل قسم من هؤلاء الكتاب في جمع القرآن الكريم، وتدوينه في الصحف، ومع كون أبي بكر رضي الله عنه كان كاتباً للوحي في عهد النبي ﷺ، فقد استعان ببعض الكتاب المقربين مثل (عثمان بن عفان - زيد بن ثابت - عبدالله بن الأرقم - عبدالله بن خلف الخزامي - حنظلة بن الربيع - معيقب الدوسي) يكتبون له دون احترام للكتابة؛ وفي عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يكتب له (زيد بن ثابت - عبدالله بن الأرقم - ومعيقب الدوسي)؛ وفي عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه كتب له (مروان بن الحكم - أبو غطفان بن عوف - أهيب مولاة - حمران مولاة)؛ وفي عهد علي بن أبي طالب رضي الله عنه كتب له (سعيد بن نمران الهمداني - عبدالله بن جبير - عبدالله بن أبي رافع - عبدالله بن مسعود - عبدالله بن جعفر)، وكلهم يسهم في جمع القرآن الكريم من الرِّقَاعِ وَالْأَكْتَفِ وَالْعُسْبِ وَصُدُورِ الرِّجَالِ، وكتابة الرسائل للخليفة، وكتابة ما تحتاج إليه الدولة الجديدة.

الباب الثالث

الفصل الثاني

جمع القرآن الكريم

أولاً - جمع القرآن الكريم في عهد أبي بكر:

نظراً لكثرة من قتل من الحفاظ في موقعة اليمامة سنة - ١٢هـ - ، فقد أشار عمر بن الخطاب على أبي بكر رضي الله عنهما بجمع القرآن الكريم، فكلف أبو بكر زيد بن ثابت بجمع القرآن الكريم، قال الزُّهْرِيُّ: أَخْبَرَنِي ابْنُ السَّبَّاقِ أَنَّ زَيْدَ بْنَ ثَابِتِ الْأَنْصَارِيَّ وَكَانَ مِمَّنْ يُكْتَبُ الْوَحْيَ، قَالَ: أَرْسَلَ إِلَيَّ أَبُو بَكْرٍ مَقْتَلِ أَهْلِ الْيَمَامَةِ وَعِنْدَهُ عُمَرُ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: إِنَّ عُمَرَ أَتَانِي فَقَالَ: إِنَّ الْقَتْلَ قَدْ اسْتَحَرَّ يَوْمَ الْيَمَامَةِ بِالنَّاسِ، وَإِنِّي أَخَشَى أَنْ يَسْتَحِرَّ الْقَتْلُ بِالْقُرَّاءِ فِي الْمَوَاطِنِ فَيَذْهَبَ كَثِيرٌ مِنَ الْقُرْآنِ، إِلَّا أَنْ تَجْمَعُوهُ، وَإِنِّي لَأَرَى أَنْ تَجْمَعَ الْقُرْآنَ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: قُلْتُ لِعُمَرَ: كَيْفَ أَفْعَلُ شَيْئاً لَمْ يَفْعَلْهُ رَسُولُ اللَّهِ؟ فَقَالَ عُمَرُ: هُوَ وَاللَّهِ خَيْرٌ.

فَلَمْ يَزَلْ عُمَرُ يُرَاجِعُنِي فِيهِ حَتَّى شَرَحَ اللَّهُ لِدَلِكِ صَدْرِي، وَرَأَيْتُ الَّذِي رَأَى عُمَرُ، قَالَ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ: وَعُمَرُ عِنْدَهُ جَالِسٌ لَا يَتَكَلَّمُ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: إِنَّكَ رَجُلٌ شَابٌ عَاقِلٌ وَلَا نَتَهَمُكَ، كُنْتَ تَكْتُبُ الْوَحْيَ لِرَسُولِ اللَّهِ، فَتَتَّبِعُ الْقُرْآنَ فَاجْمَعُهُ، فَوَاللَّهِ لَوْ كَلَّفَنِي نَقْلَ جَبَلٍ مِنَ الْجِبَالِ مَا كَانَ أَثْقَلَ عَلَيَّ مِمَّا أَمَرَنِي بِهِ مِنْ جَمْعِ الْقُرْآنِ، قُلْتُ: كَيْفَ تَفْعَلَانِ شَيْئاً لَمْ يَفْعَلْهُ النَّبِيُّ؟ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: هُوَ وَاللَّهِ خَيْرٌ، فَلَمْ أَزَلْ أُرَاجِعُهُ حَتَّى شَرَحَ اللَّهُ صَدْرِي لِلَّذِي شَرَحَ اللَّهُ لَهُ صَدْرَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ، فَقُمْتُ فَتَبَعْتُ الْقُرْآنَ أَجْمَعُهُ مِنَ الرَّقَاعِ وَالْأَكْتَابِ وَالْعُسْبِ وَصُدُورِ الرِّجَالِ، حَتَّى وَجَدْتُ مِنْ سُورَةِ التَّوْبَةِ آيَتَيْنِ مَعَ خُزَيْمَةَ الْأَنْصَارِيِّ لَمْ أَجِدْهُمَا مَعَ أَحَدٍ غَيْرِهِ: (لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ) إِلَى آخِرِهِمَا.

وَكَانَتْ الصُّحُفُ الَّتِي جُمِعَ فِيهَا الْقُرْآنُ عِنْدَ أَبِي بَكْرٍ حَتَّى تَوَفَّاهُ اللَّهُ، ثُمَّ عِنْدَ عُمَرَ حَتَّى تَوَفَّاهُ اللَّهُ، ثُمَّ عِنْدَ حَفْصَةَ بِنْتِ عُمَرَ.

ثانياً - جمع القرآن الكريم في عهد عثمان رضي الله عنه:

جمع عثمان بن عفان رضي الله عنه الناس على قراءة واحدة في القرآن الكريم، وكانت أهم أسباب هذا الجمع:

١ - اتساع بلاد المسلمين، وتفرق الصحابة فيه حتى وصلت إلى بلاد ما وراء النهر شرقاً، وإلى طرابؤلس غرباً، وامتدت الفتوحات، فاستمرت طيلة فترة خلافته، تفتح بلاداً جديدة، وتوطد للمسلمين فيما فتح من قبل من البلدان، وبتساع دولة الإسلام كثر المسلمون، وتفرق الصحابة في الأمصار، يدعون إلى الله، ويعلمون العلم، ويُقرئون القرآن، وكان الناس يقرؤون كما عُلِّموا، فأهل الشام يقرؤون بقراءة أبي بن كعب، وأهل الكوفة يقرؤون بقراءة عبد الله بن مسعود، وأهل البصرة يقرؤون بقراءة أبي موسى الأشعري، وهكذا.

فمن حذيفة قال: أهل البصرة يقرؤون قراءة أبي موسى، وأهل الكوفة يقرؤون قراءة عبد الله، وكان هؤلاء القراء من الصحابة قد شهدوا نزول القرآن، وسمعوه من النبي، وعلموا وجوه قراءته، ولم يكن شيء من ذلك لمن تعلم منهم في الأمصار، فكانوا إذا اجتمع الواحد منهم مع من قرأ على غير الوجه الذي قرأ عليه يعجبون من ذلك، وينكر بعضهم على بعض، وقد يصل الأمر إلى تأييم أو تكفير بعضهم البعض.

عن زيد بن معاوية النخعي قال: إني لفي المسجد زمن الوليد بن عقبة في حلقة فيها حذيفة، إذ هتَفَ هاتِفٌ: مَنْ كَانَ يَقْرَأُ عَلَى قِرَاءَةِ أَبِي مُوسَى فليأتِ الزاوية التي عند أبواب كِنْدَةَ، ومن كان يقرأ على قراءة عبد الله بن مسعود فليأتِ هذه الزاوية التي عند دار عبد الله، واختلفا في آية من سورة البقرة، قرأ هذا: (وَأَمْشُوا الْحِجَّ وَالْعُمْرَةَ) وقرأ هذا: [وَأَتَمُّوا الْحِجَّ وَالْعُمْرَةَ] فغضب حذيفة واحمرت عيناه، ثم قام ففرز قميصه في حُجْرَتِهِ وهو في المسجد، وذلك في زمن عثمان، فقال: إِمَّا أَنْ يَرْكَبَ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، وَإِمَّا أَنْ أَرْكَبَ، فَهَكَذَا كَانَ مَنْ قَبْلَكُمْ.

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن عثمان قال: فقد بلغني أن بعض هم يقول: إن قراءتي خير من قراءتك، وهذا يكاد يكون كُفْراً، قلنا: فماذا ترى؟ قال: نرى أن نجمع الناس على مصحفٍ واحدٍ، فلا تكون فرقة، ولا يكون اختلافٌ، قلنا: فنعم ما رأيت، وانتشرت

حلقات تعليم القرآن، فانقل الخلاف إلى الغلمان والمعلمين، فخطأ بعضهم بعضاً، وأنكر بعضهم قراءة بعض.

فعن أبي قلابة قال: لما كان في خلافة عثمان، جعل المعلم يُعلم قراءة الرجل، والمعلم يُعلم قراءة الرجل، فجعل الغلمان يلتقون فيختلفون، حتى ارتفع ذلك إلى المعلمين، قال: حتى كَفَر بعضهم بقراءة بعض، فبلغ ذلك عثمان، فقام خطيباً، فقال: أنتم عندي تختلفون وتلحنون، فمن نأى عني من الأمصار أشدُّ فيه اختلافاً ولحناً، اجتمعوا يا أصحاب محمد، فاكتبوا للناس إماماً.

والظاهر أن هذه الأحداث كانت قبل غزو أرمينية وأذربيجان، ولما وقع ما وقع من الخلاف الشديد والفتنة العظيمة بين المسلمين في غزو أرمينية وأذربيجان، تأكدت الحاجة إلى جمع جديد للقرآن، يُلمُّ به شمل المسلمين، وتجتثُّ به جذور تلك الفتنة.

قال الحافظ ابن حجر: وهذه القصة لحذيفة يظهر لي أنها كانت متقدمة على القصة التي وقعت له في القراءة، فكأنه لما رأى الاختلاف أيضاً بين أهل الشام والعراق، اشتدَّ خوفه، فركب إلى عثمان، وصادف أن عثمان أيضاً وقع له نحو ذلك.

٢ - غزو أرمينية وأذربيجان:

في عام خمس وعشرين من الهجرة النبوية اجتمع أهل الشام وأهل العراق في غزو أرمينية وأذربيجان، قال الذهبي: جاشت الروم، حتى استمدَّ أمراء الشام من عثمان مدداً، فأمدهم بشمانية آلاف من العراق.

وكان أمير جند الشام في ذلك العسكر حبيب بن مسلمة الفهري، وكان أمير جند العراق سلمان بن ربيعة الباهلي، وكان حذيفة بن اليمان من جملة من غزا معهم، وكان على أهل المدائن من أعمال العراق، وكان أهل الشام يقرؤون بقراءة أبي بن كعب، وكان أهل العراق يقرؤون بقراءة عبد الله بن مسعود، فتنازع أهل الشام وأهل العراق في القراءة، حتى خطأ بعضهم بعضاً، وأظهر بعضهم إكفار بعض، والبراءة منه، وكادت تكون فتنة عظيمة.

وكان السبب وراء هذا الخلاف عدم مشاهدة هؤلاء نزول القرآن، وبُعدهم عن معاينة إباحة قراءته بأوجه مختلفة، فظنَّ كلَّ منهم أن ما يقرأ به غيره خطأ لا يجوز في كتاب الله، فكادت تكون تلك الفتنة.

قال مكّي بن أبي طالب: وكان قد تعارف بين الصحابة على عهد النَّبِيِّ، فلم يكن ينكر أحدٌ ذلك على أحدٍ، لمشاهدتهم من أباح ذلك، وهو النَّبِيُّ، فلَمَّا انتهى ذلك الاختلاف إلى ما لم يعاين صاحبُ الشرع، ولا عليمٌ بما أباح من ذلك، أنكر كلَّ قومٍ على الآخرين قراءتهم، واشتد الخصام بينهم، رأى هذا الخلاف العظيم حذيفة بن اليمان، إضافةً إلى ما رآه من الاختلاف بين الناس في القراءة في العراق، ففرغ إلى عثمان بن عفان، وأنذره بالخطر الداهم، وانضم ذلك إلى ما عاينه عثمان من الخلاف بين المعلمين وكذلك بين الغلمان، فصدّق ذلك ما كان استنبطه من أن من كان أبعد من دار الخلافة بالمدينة فهو أشدَّ اختلافًا.

عن ابن شهابٍ أن أنس بن مالكٍ حدّثه أن حذيفة بن اليمانٍ قدّم على عثمان، وكان يُغازي أهل الشام في فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق، فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة، فقال حذيفة لعثمان: يا أمير المؤمنين، أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى.

وعن زيد بن ثابت: أن حذيفة بن اليمانٍ قدّم من غزوة غزاهما، فلم يدخل بيته حتى أتى عثمان، فقال: يا أمير المؤمنين، أدرك الناس! فقال عثمان: وما ذاك؟ قال: غزوت فرج أرمينية، فحصرها أهل العراق وأهل الشام، فإذا أهل الشام يقرؤون بقراءة أبي، فيأتون بما لم يسمع أهل العراق، فيكفّرهم أهل العراق، وإذا أهل العراق يقرؤون بقراءة ابن مسعود، فيأتون بما لم يسمع أهل الشام، فيكفّرهم أهل الشام، قال زيد: فأمرني عثمان أن أكتب لهم صحفًا.

فكانت هذه الحادثة هي أهم الأسباب التي بعثت على جمع القرآن في زمن عثمان، فقد أكدت ما ظنه من أن أهل الأمصار أشد اختلافًا ممن كان بدار الخلافة بالمدينة وما حولها، وكان سبب ذلك أن حذيفة بن اليمان لاحظ في إحدى المعارك اختلاف المسلمين في قراءة القرآن الكريم، فقدم على عثمان وأخبره بما رأى، فأرسل عثمان إلى أم المؤمنين حفصة بنت عمر رضي الله عنها يطلب منها إرسال ما جمع في عهد أبي بكر رضي الله عنه، فأمر زيد بن ثابت بتدقيق المصحف، وترتيب سوره، وكتب منه عدة نسخ على لهجة قريش، ثم أرسل لكل بلد مسلم مصحفًا منعًا لوقوع الاختلاف في القراءات.

ثالثاً - من قام بجمع القرآن الكريم في عهد عثمان:

انعقد عزم الصحابة بعدما رأوا من اختلاف الناس في القراءة على أن يجمعوا القرآن، ويرسلوا منه نُسخاً إلى الأمصار، لتكون مرجعاً للناس يرجعون إليه عند الاختلاف، فانتدب عثمان بن عفان رضي الله عنه لذلك اثني عشر رجلاً، وأمرهم بأن يكتبوا القرآن في المصاحف، وأن يرجعوا عند الاختلاف إلى لغة قريش.

عن محمد بن سيرين عن كثير بن أفلح قال: لما أراد عثمان أن يكتب المصاحف جمع له اثني عشر رجلاً من قريش والأنصار، فيهم أبي بن كعب وزيد بن ثابت، والذي يظهر أن عثمان انتدب رجلين فقط أول الأمر، هما زيد بن ثابت وسعيد بن العاص.

كما جاء عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه في قصة جمع القرآن زمن عثمان رضي الله عنه أنه قال: فقيل: أي الناس أفصح؟ وأي الناس أقرأ؟ قالوا: أفصح الناس سعيد بن العاص، وأقرأهم زيد بن ثابت، فقال عثمان: ليكتب أحدهما ويُملي الآخر، ففعلا، وُجمع الناس على مصحف، قال الحافظ ابن حجر: بإسناد صحيح، فالظاهر أنهم اقتصروا عليهما أول الأمر للمعنى المذكور في هذا الأثر، ثم لما احتاجوا إلى من يساعد في الكتابة بحسب الحاجة إلى عدد المصاحف التي تُرسل إلى الآفاق أضافوا إلى زيد وسعيد عبدالله بن الزبير وعبدالرحمن بن الحارث بن هشام.

فَعَنْ أَنَسٍ أَنَّ عُثْمَانَ دَعَا زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ وَسَعِيدَ بْنَ الْعَاصِ وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ الْحَارِثِ بْنَ هِشَامٍ، فَنَسَخُوهَا فِي الْمَصَاحِفِ، وَقَالَ عُثْمَانُ لِلرَّهْطِ الْقُرَشِيِّينَ الثَّلَاثَةِ: إِذَا اخْتَلَفْتُمْ أَنْتُمْ وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ فِي شَيْءٍ مِنَ الْقُرْآنِ فَارْتَبِعُوهُ بِلِسَانِ قُرَيْشٍ، فَإِنَّمَا نَزَلَ بِلِسَانِهِمْ فَفَعَلُوا ذَلِكَ.

ثم أضافوا بعد ذلك آخرين بحسب ما كانوا يحتاجون إليه من الإملاء والكتابة، وكان منهم أبي بن كعب الذي احتاجوا إليه للاستظهار.

وقد وقع في الروايات الواردة تسمية تسعة من هؤلاء الاثني عشر رجلاً، وهم: زيد بن ثابت، عبد الله بن الزبير، سعيد بن العاص، عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، وهؤلاء هم الأربعة المذكورون في حديث أنس بن مالك السابق قريباً، أبي بن كعب، كما في حديث كثير

المتقدم أيضاً، أنس بن مالك، عبدالله بن عباس، مالك بن أبي عامر، جد مالك بن أنس، ثبت ذلك من روايته، وقال الإمام مالك بن أنس: كان جدِّي مالك بن أبي عامرٍ يَمَنُّ قرأ في زمان عثمان، وكان يُكْتَبُه المصاحف، كثير بن أفلح، كما في حديث ابن سيرين المتقدم.

رابعاً - عمل عثمان في جمع القرآن:

كان المقصود من جمع القرآن زمن عثمان قطع دابر الفتنة التي طرأت على المسلمين من الاختلاف في كتاب الله، بجمع، وتحديد الأوجه المتواترة المجمع عليها في تلاوة القرآن، وإبعاد كل ما لم تثبت قرآنيته، سواء بنسخ، أو بأن لم يكن قرآناً أصلاً.

قال القاضي الباقلاني: لم يقصد عثمانُ قَصْدَ أبي بكرٍ في جمع نفس القرآن بين لوحين، وإنما قصد جمعهم على القراءات الثابتة المعروفة عن النبي، وإلغاء ما ليس كذلك، وأخذهم بمصحفٍ لا تقديم فيه ولا تأخير، ولا تأويل أُثبت مع تنزيل، ولا منسوخ تلاوته كُتِبَ مع مُثبَّت رسمه ومفروض قراءته وحفظه؛ خشية وقوع الفساد والشبهة على من يأتي بعد، فأراد عثمان أن ينسخ من الصحف التي جمعها أبو بكر مصاحف مجمعةً عليها تكون أئمة للناس في تلاوة القرآن.

قال ابن حزم: خشي عثمان أن يأتي فاسقٌ يسعى في كيد الدين، أو أن يهَمَّ واهمُّ من أهل الخير، فيبدل شيئاً من المصحف، فيكون اختلاف يؤدي إلى الضلال، فكتب مصاحف مجمعةً عليها، وبعث إلى كل أفق مصحفاً، لكي - إن وهم واهمُّ، أو بدَّل مبدل - يرجع إلى المصحف المجمع عليه، فانكشف الحق، وبطل الكيد والوهم، فلم يكن قصد عثمان جمع ما ليس مجموعاً، فقد كان القرآن زمن الصديق قد جُمع، وإنما قصدَ نسخَ ما كان مجموعاً منه زمن الصديق في مصاحف يقتدي بها المسلمون.

قال النووي: خاف عثمان وقوع الاختلاف المؤدي إلى ترك شيء من القرآن، أو الزيادة فيه، فنسخ من ذلك المجموع الذي عند حفصة، الذي أجمعت الصحابة عليه مصاحف، وبعث بها إلى البلدان، وأمر بإتلاف ما خالفها، وكان فعله هذا باتفاق منه ومن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وسائر الصحابة، وغيرهم.

قال البيهقي: ثم نسخ (زيد) ما جمعه في الصحف (في عهد أبي بكر) في مصاحف بإشارة عثمان بن عفان على ما رسم المصطفى ﷺ.

خامساً - منهج الجمع في مصحف عثمان:

شرح الصحابة الموكلون بجمع القرآن في كتابة المصحف الإمام، الذي نسخوا منه بعد ذلك المصاحف المرسلّة إلى الأمصار، وكان الخليفة عثمان يتعاهدهم، ويشرف عليهم، وكان الموجودون من الصحابة جميعاً يشاركون في هذا العمل.

وَيُمْكِنُ أَنْ يُلَخِّصَ مِنْهَجَ الْجَمْعِ الْعُثْمَانِيِّ فِيمَا يَأْتِي:

١ - الاعتماد على جمع أبي بكر الصديق، ويظهر هذا جلياً في طلب عثمان الصحف التي جمع فيها أبو بكر القرآن من حفصة رضي الله عنها، وقد كانت هذه الصحف - كما مرّ - مستندةً إلى الأصل المكتوب بين يدي النبيّ، وبذلك ينسُدُّ باب القالة، فلا يزعم زاعم أن في الصحف المكتوبة في زمن أبي بكر ما لم يُكتب في المصحف العثماني، أو أنه قد كتب في مصاحف عثمان ما لم يكن في صحف أبي بكر.

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: ... فَأَرْسَلَ عُثْمَانُ إِلَى حَفْصَةَ: أَنْ أَرْسِلِي إِلَيْنَا بِالصُّحُفِ نَنْسُخَهَا فِي الْمَصَاحِفِ ثُمَّ نَرُدُّهَا إِلَيْكَ، فَأَرْسَلَتْ بِهَا حَفْصَةُ إِلَى عُثْمَانَ، فَأَمَرَ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ وَسَعِيدُ بْنُ الْعَاصِ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الْحَارِثِ بْنُ هِشَامٍ فَنَسَخُوهَا فِي الْمَصَاحِفِ.

٢ - أن يتعاهد لجنة الجمع ويشرف عليها خليفة المسلمين بنفسه:

فَعَنْ كَثِيرِ بْنِ أَفْلَحٍ قَالَ: لَمَّا أَرَادَ عُثْمَانُ أَنْ يَكْتُبَ الْمَصَاحِفَ جَمَعَ لَهُ اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلًا مِنْ قَرَيْشٍ وَالْأَنْصَارِ، فِيهِمْ أَبِي بَنُ كَعْبٍ وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ، قَالَ: فَبَعَثُوا إِلَى الرَّبْعَةِ الَّتِي فِي بَيْتِ عُمَرَ، فَجِيءَ بِهَا، قَالَ: وَكَانَ عُثْمَانُ يَتَعَاهَدُهُمْ.

٣ - أن يأتي كلُّ مَنْ عنده شيءٌ من القرآن سمعه من الرُّسُولِ بِهَا عنده، وأن يشترك الجميع في علم ما جُمِعَ، فلا يغيب عن جمع القرآن أحدٌ عنده شيءٌ منه، ولا يرتاب أحدٌ فيما يودع المصحف، ولا يُشَكُّ في أنه جُمِعَ عن ملاء منهم، ويدل على ذلك ما صحَّ عن عليّ بن أبي طالب أنه قال: يا أيها الناس، لا تغلوا في عثمان، ولا تقولوا له إلا خيراً في المصاحف وإحراق المصاحف، فوالله ما فعَل الذي فعَل في المصاحف إلا عن ملاء منّا جميعاً، فقال: ما تقول ونفي هذه القراءة؟ فقد بلغني أن بعضهم يقول: إن قراءتي خيرٌ من قراءتك، وهذا يكاد يكون

كُفْرًا، قلنا: فماذا ترى؟ قال: نرى أن نجمع الناس على مصحفٍ واحدٍ، فلا تكون فرقةً، ولا يكون اختلافٌ، قلنا: فنعم ما رأيت.

وورد كذلك أن عثمان دعا الناس إلى أن يأتوا بما عندهم من القرآن المكتوب بين يدي النبيِّ، وأنه كان يستوثق لذلك أشد الاستيثاق.

فمن مصعب بن سعد قال: قام عثمان فخطب الناس فقال: أيها الناس! عهدكم بنبيكم منذ ثلاث عشرة سنةً، وأنتم تَمْتَرُونَ في القرآن... فَأَعَزِمُ على كل رجل منكم ما كان معه من القرآن شيءً لما جاء به، وكان الرجل يجيء بالورقة والأديم فيه القرآن، حتى جمع من ذلك كثرةً، ثم دخل عثمان، فدعاهم رجلاً رجلاً، فناشدهم: لَسَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ، وهو أملاه عليك؟ فيقول: نعم.

٤ - الاقتصار عند الاختلاف على لغة قريش: كما جاء في حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ عُمَانَ قَالَ لِلرَّهْطِ الْقُرَشِيِّينَ الثَّلَاثَةِ: إِذَا اخْتَلَفْتُمْ أَنْتُمْ وَزَيْدٌ بِنُ ثَابِتٍ فِي شَيْءٍ مِنَ الْقُرْآنِ فَارْتَبِعُوا بِلِسَانِ قُرَيْشٍ، فَإِنَّهَا نَزَلَتْ بِلِسَانِهِمْ فَفَعَلُوا.

والمقصود من الجمع على لغة واحدة: الجمع على القراءة المتواترة المعلوم عند الجميع ثبوتها عن النبيِّ، وإن اختلفت وجوهها، حتى لا تكون فرقةً ولا اختلافٌ، فإنها يعلم الجميع أنه قراءة ثابتة عن رسول الله لا يختلفون فيها، ولا ينكر أحدٌ منهم القراءة بها.

قال أبو شامة: يحتمل أن يكون قوله: نزل بلسان قريش، أي: ابتداء نزوله، ثم أبيع أن يقرأ بلغة غيرهم، فلعلَّ عثمان عندما جمع القرآن رأى الحرف الذي نزل القرآن أولاً بلسانه أولى الأحرف، فحمل الناس عليه عند الاختلاف، وقد اختلف الصحابة في كلمة (التابوت) هل هي بالتاء أم بالهاء، كما قال الزهري: واختلفوا يومئذٍ في (التابوت) و(التابوه)، فقال النفر القرشيون: (التابوت)، وقال زيدٌ: (التابوه)، فَرُفِعَ اختلافهم إلى عثمان، فقال: اكتبوه (التابوت)، فإنه بلسان قريشٍ.

على أنه قد ورد أن الذي رأى أنها بالتاء هو زيدٌ، كما روى الطحاوي عن زيد بن ثابت أنه لَمَّا بَلَغَ: (إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ)، قَالَ زَيْدٌ: فَقُلْتُ أَنَا: (التَّابُوتُ)، فَرَفَعْنَا ذَلِكَ إِلَى عُثْمَانَ، فَكَتَبَ (التَّابُوتُ).

٥ - أن يُمنع كتابة ما نُسخت تلاوته، وما لم يكن في العرصة الأخيرة، وما كانت روايته أحاداً، وما لم تُعلم قرآنيته، أو ما ليس بقرآن، كالذي كان يكتبه بعض الصحابة في مصاحفهم الخاصة، شرح المعنى، أو بيان الناسخ أو منسوخ، أو نحو ذلك.

وَمَا يَدُلُّ لِدَلِكْ مَا وَرَدَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ عَنْ كَثِيرِ بْنِ أَلْفَلَحِ قَالَ: فَكَانُوا إِذَا تَدَارَوْا فِي شَيْءٍ أُخْرُوهُ، قَالَ مُحَمَّدٌ: فَقُلْتُ لِكَثِيرٍ - وَكَانَ فِيهِمْ (فِيمَنْ يَكْتُبُ): هَلْ تَدْرُونَ لِمَ كَانُوا يُؤَخَّرُونَهُ؟ قَالَ: لَا، قَالَ مُحَمَّدٌ: فَظَنَنْتُ أَنَّهُمْ إِنَّمَا كَانُوا يُؤَخَّرُونَ هَلْ يَنْظُرُونَ أَحَدَهُمْ عَهْدًا بِالْعَرِضَةِ الْآخِرَةِ، فَيَكْتُبُونَهَا عَلَى قَوْلِهِ.

٦ - أن يشتمل الجمع على الأحرف التي نزل بها القرآن، والتي ثبت عرضها في العرصة الأخيرة مع مراعاة ما يأتي:

عند كتابة اللفظ الذي تواتر النطق به على أوجهٍ مختلفةٍ عن النَّبِيِّ، يبقيه الكتِّبةُ خالياً عن أية علامة تقصر النطق به على وجه واحد؛ لتكون دلالة المكتوب على كلا اللفظين المنقولين المسموعين متساوية، فتكتب هذه الكلمات برسم واحدٍ في جميع المصاحف، محتمل لما فيها من الأوجه المتواترة.

٧ - بعد الفراغ من كتابة المصحف - الإمام - يراجعه زيد بن ثابت، ثم يراجعه عثمان بنفسه. عن زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ قَالَ: فَقَدْتُ آيَةً مِنَ الْأَحْرَابِ حِينَ نَسَخْنَا الْمُصْحَفَ، قَدْ كُنْتُ أَسْمَعُ رَسُولَ اللَّهِ يَقْرَأُ بِهَا، فَالْتَمَسْنَاهَا فَوَجَدْنَاهَا مَعَ خَزِيمَةَ بْنِ ثَابِتِ الْأَنْصَارِيِّ [مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ]، فَالْحُقْنَاهَا فِي سُورَتِهَا فِي الْمُصْحَفِ.

كانت هذه هي المراجعة الأولى لزيد، ويظهر من الروايات أنه عرضه مرتين آخرين، فأظهرت الثانية الاختلاف في لفظ (التابوت)، ولم تكشف الثالثة عن شيء.

فعن زيد بن ثابت أنه لما بَلَغَ: (إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ) قَالَ زَيْدٌ: فَقُلْتُ أَنَا: التَّابُوتُ، فَرَفَعْنَا ذَلِكَ إِلَى عُثْمَانَ، فَكَتَبَ التَّابُوتَ، ثُمَّ عَرَضَهُ - يَعْنِي الْمُصْحَفَ - عَرَضَةً أُخْرَى، فَلَمْ أَحِذْ فِيهِ شَيْئًا، فَأَرْسَلَ عُثْمَانُ إِلَى حَفْصَةَ أَنْ تُعْطِيَهُ الصَّحِيفَةَ، وَحَلَفَ لَهَا لِيَرُدَّنَّ الصَّحِيفَةَ إِلَيْهَا، فَأَعْطَتْهُ فَعَرَضْتُ الْمُصْحَفَ عَلَيْهَا، فَلَمْ يَخْتَلِفَا فِي شَيْءٍ، فَرَدَّهَا إِلَيْهَا وَطَابَتْ نَفْسُهُ، وَأَمَرَ النَّاسَ يَكْتُبُونَ مَصَاحِفَ.

وفي هذا الأثر ما يدل على أن المعارضة بما جمعه الصديق كانت بعد الانتهاء من كتابة المصحف الإمام، لمزيد الاطمئنان، وفي هذا ما يدل على بقاء الأوجه الثابتة من القراءة بغير اختلاف بين الحفاظ والعلماء، وقد نفذ الصحابة هذه الضوابط أدق تنفيذ، فكانوا ربما انتظروا الغائب الذي عنده الشيء من القرآن زماناً، حتى يستثبتوا بما عنده، على الرغم من أن القائمين بالكتابة والإملاء كانوا من الحفاظ القراء.

عن مالك بن أبي عامر، قال: كنتُ فيمن أملى عليهم، فربما اختلفوا في الآية، فيذكرون الرجل قد تلقأها من رسول الله، ولعله أن يكون غائباً أو في بعض البوادي، فيكتبون ما قبلها وما بعدها، ويدعون موضعها حتى يجيء، أو يُرسل إليه.

ثم أمر عثمان بعد ذلك بنسخ المصاحف عن المصحف الإمام، وإرسالها إلى الأمصار، وهي التي عرفت فيما بعد بالمصاحف العثمانية.

سادساً - مزايا جمع القرآن في عهد عثمان:

كان نسخ القرآن في المصاحف في زمن عثمان بن عفان تحقيقاً لوعده الله بحفظ كتابه العزيز، قال تعالى: [إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ]، فقد وحّد هذا الجمع صف المسلمين وكلمتهم، وردّ عنهم ما كان محققاً بهم من الفتنة العظيمة، واجتث بذور الشقاق من بينهم، وممّا سبق ذكره من خطة عمل الصحابة في جمع القرآن زمن عثمان يتبين لنا مزايا ذلك الجمع المبارك، ويمكن تلخيص بعضها فيما يأتي:

- ١ - مشاركة جميع من شهد الجمع من الصحابة فيه، وإشراف الخليفة عليه بنفسه.
- ٢ - بلوغ من شهد هذا الجمع وأقره عدد التواتر.
- ٣ - الاقتصار على ما ثبت بالتواتر، دون ما كانت روايته آحاداً.
- ٤ - إهمال ما نسخت تلاوته، وما لم يستقرّ في العرصة الأخيرة.
- ٥ - ترتيب السور والآيات على الوجه المعروف الآن، بخلاف صحف أبي بكر، فقد كانت مرتبة الآيات دون السور.

- ٦ - كتابة عدد من المصاحف تجمع وجوه القراءات المختلفة التي نزل بها القرآن الكريم.
- ٧ - تجريد هذه المصاحف من كل ما ليس من القرآن، كالذي كان يكتبه بعض الصحابة من تفسير للفظ، أو بيان لناسخ أو منسوخ، أو نحو ذلك.

ولقد حظي الجمع العثماني برضا من شاهده من أصحاب النَّبِيِّ والتابعين، وقطع الله به دابر الفتنة التي كادت تشتعل في بلاد المسلمين، إذ جمعهم على ما ثبتت قرآنيته، فانتهى بذلك ما كان حاصلًا من الاختلاف بين المسلمين. عن مصعب بن سعد قال: أدركت الناس حين شقق عثمان المصاحف، فأعجبه بذلك، أو قال: لم يعب ذلك أحدًا، وقد عُدَّ جمع القرآن في المصاحف في زمن عثمان من أعظم مناقبه.

فعن عبدالرحمن بن مهدي قال: خصلتان لعثمان بن عفان ليستا لأبي بكر، ولا لعمر: صبره نفسه حتى قُتِلَ مظلوماً، وجمعه الناس على المصحف، وقد دافع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عن عثمان في جمع القرآن وإحراق المصاحف؛ لثلاث يتهمه من لا فقه له بتضييع القرآن، أو الجراة عليه، وأخبر أنه فعل ذلك عن رضا من شاهده من الصحابة، وأنه لو كان والياً إذ ذاك لفعل مثل الذي فعل عثمان.

عن سويد بن غفلة قال: سمعت علي بن أبي طالب يقول: يا أيها الناس، لا تغلوا في عثمان، ولا تقولوا له إلا خيراً في المصاحف وإحراق المصاحف، فوالله ما فعل الذي فعل في المصاحف إلا عن ملأ منّا جميعاً... قال: قال علي: والله لو وليت لفعلت مثل الذي فعل.

سابعا - الفرق بين جمع القرآن في مراحل الثلاث:

نستطيع بعد هذا العرض أن نتبين الفرق بين جمع القرآن في مراحل الثلاث، فقد كان لكل مرة من مرات جمع القرآن أسباب خاصة، وكان لكل مرة أيضاً كيفية خاصة، فالفرق بين المراحل الثلاث كان من حيث الأسباب والكيفيات:

أ - الفرق بين المراحل الثلاث من حيث الأسباب:

١ - أسباب جمع القرآن في عهد النَّبِيِّ: زيادة التوثق للقرآن، والتحري في ضبط ألفاظه، وحفظ كلماته، وإن كان التعويل في ذلك الوقت إنما كان على الحفظ والاستظهار، وتبليغ الوحي على الوجه الأكمل.

٢ - سبب جمع القرآن في زمن أبي بكر: الخوف على ضياع شيء من القرآن به لا كحفظه، وضياع ما عندهم ممّا كتب بين يدي النبي.

٣ - سبب جمع القرآن في عهد عثمان: خوف الفتنة التي وقع فيها المسلمون بسبب اختلافهم في القراءة بحسب ما تعلموه من الأحرف التي نزل بها القرآن، والمحافظة على كتاب الله من التبديل والتغيير.

ب - الفرق بين المراحل الثلاث من حيث الكيفية:

١ - كيفية جمع القرآن في عهد النبي: ترتيب الآيات في سورها، وكتابة الآيات فيما تيسر من مواد الكتابة، مع بعثرة ذلك المكتوب، وعدم جمعه في مكان واحد.

٢ - كيفية جمع القرآن في زمن أبي بكر: جمع المكتوب في عهد النبي ونقله في صحف، وهي أوراق مجردة، مرتب الآيات أيضاً، وبحيث تجتمع كل سورة متتابعة في تلك الصحف، لكن من غير أن تجمع تلك الصحف في مجلد أو مصحف واحد.

٣ - كيفية جمع القرآن في عهد عثمان: نقل ما في صحف أبي، ونسخ مصاحف منه، وإرسالها إلى الآفاق، لتكون مرجعاً للناس عند الاختلاف.

قال البيهقي بعد حديث زيد بن ثابت (كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ نُؤَلِّفُ الْقُرْآنَ مِنَ الرَّقَاعِ): وهذا يشبه أن يكون أراد به تأليف ما نزل من الكتاب: الآيات المتفرقة في سورها، وجمعها فيها بإشارة النبي، ثم كانت مثبتة في الصدور، مكتوبة في الرقاع والخاف والعسب، فجمعها منها في صحف بإشارة أبي بكر وعمر، ثم نسخ ما جمعه في الصحف في مصاحف بإشارة عثمان بن عفان على ما رسم المصطفى.

قال القاضي الباقلاني: لم يقصد عثمان قصد أبي بكر في جمع نفس القرآن بين لوحين، وإنما قصد جمعهم على القراءات الثابتة المعروفة عن النبي، وإلغاء ما ليس كذلك، وأخذهم بمصحف لا تقديم فيه ولا تأخير، ولا تأويل أثبت مع تنزيل، ولا منسوخ تلاوته كُتِبَ مع مُثِبَتِ رسمه ومفروض قراءته وحفظه؛ خشية وقوع الفساد والشبهة على من يأتي بعد.

وقال ابن حزم: خشي عثمان أن يأتي فاسق يسعى في كيد الدين، أو أن يهّم واهمّ من أهل الخير، فيبدّل شيئاً من المصحف، فيكون اختلاف يؤدي إلى الضلال، فكتب مصاحف مجمعة عليها، وبعث إلى كل أفق مصحفاً، لكي - إن وهم واهمّ، أو بدّل وبدل - رُجِعَ إلى المصحف المجمع عليه، فانكشف الحق، وبطل الكيد والوهم.

الباب الرابع

كتابة الحديث النبوي

رفض الصحابة بعد رسول الله ﷺ كتابة الحديث الشريف اقتداء بسنته ﷺ، فقد روي عنه ﷺ قوله: (لا تكتبوا عني شيئاً سوى القرآن ومن كتب عني غير القرآن فليمحه)، وقد رفض أبو سعيد الخدري أن يكتب الحديث لأناس سألوه ذلك، وحضهم على حفظ هذه الأحاديث كما حفظها الصحابة الكرام؛ وكذلك مح مروان بن الحكم - والي المدينة لمعاوية - كل ما كتبه كاتبه الذي كان يكتب أحاديث الرسول ﷺ التي يرويها أبو هريرة بطلب من أبي هريرة.

وكان ابن عباس يقول: (إننا لا نكتب في الصحف إلا الرسائل، والقرآن)، وسبب طلب عدم كتابة الحديث الخوف من خلط آيات القرآن الكريم بالحديث النبوي الشريف؛ وكذلك حذروا من كتابة التفسير مع القرآن الكريم، أو الحديث النبوي الشريف مع أنه (عرف تدوين الحديث تدويناً جزئياً، وقليلًا) في زمن النبي ﷺ وتمَّ بإذن مباشر من الرسول ﷺ، فقد استأذن عمرو بن العاص في كتابة الحديث، فأذن له، ودون ذلك في صحيفة (الصادقة)، واعترف أبو هريرة رضي الله عنه بأن عمرو بن العاص كان أكثر منه تدويناً لحديث رسول الله ﷺ؛ وقد كتب عروة بن الزبير الحديث، ثم محاه، فندم على ذلك ندماً كبيراً.

الباب الخامس
الفنون الأدبية النثرية
في العهد الراشدي

مقدمة

لا شك أن الأدباء العرب قد كتبوا أفكارهم، ورسموا مشاعرهم، وحكوا قصصهم، واستفاضوا بعواطفهم من خلال أشكال وقوالب أدبية متعددة اقتضتها الظروف الشخصية، والنفسية، والاجتماعية، والقبلية، والدينية المعاصرة لهؤلاء الأدباء، وهذه القوالب، أو (الأجناس، والأنواع) الأدبية تمثلت في العصر الراشدي بـ:

(المناظرات - المحاورات - الروايات - الخطابة - التوقيعات - الحكم - الأمثال - الوصايا - الرسائل - المواعظ - الوصف - العهود - الأجوبة - الأحاديث الشعبية - القصة)، وتطور فن النثر عما كان عليه في الجاهلية بفضل نزول القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، وما نتج عنهما من دراسات جاءت لتفسر، وتوضح، وتبين ما في هذين الكتابين؛ ونشأ تبعاً لذلك فنون نثرية جديدة، وتطورت فنون نثرية كانت موجودة في الجاهلية كالمناظرة، والخطابة، وفن الوصف، ونشأت فنون جديدة كالتوقيعات، والعهود، والمحاورات، والوصايا، والحكم، والمواعظ، واندثرت فنون أخرى كسجع الكهان، والمنافرات، والمفاخرات الجاهلية وغيرها.

وأصبح للنثر مكانة جديدة، ومتميزة في هذا العصر فاقت منزلة الشعر الذي كان الفن المتميز في العهد الجاهلي.

وسنحاول في هذا الباب أن نتحدث عن كل هذه الفنون الأدبية التي نشطت في هذا العصر. وذلك بحسب حاجات المجتمع، واستخدام الأدباء، والمفكرين، والخلفاء لها.

(الخطابة في العهد الراشدي - الوصايا - الرسائل - المناظرات - العهود - الحكم والأمثال - القصص - المواعظ التقوية - الأدعية - الأجوبة - التوقيعات - الوصف - السيرة).

الباب الخامس

الفصل الأول

الخطابة في العهد الراشدي

ترسمت الخطابة في العهد الراشدي خطا الخطابة في عصر صدر الإسلام، ونهجت السبيل نفسها، وتميزت بالخصائص نفسها، فكانت تتحدث عن الموضوعات نفسها.

١ - خطبة أبي بكر الصديق رضي الله عنه بعد بيعته بالخلافة:

(أما بعد: فإني وُلِّيتُ عليكم، ولست بخيركم، ولكن نزل القرآن وسنَّ النبي ﷺ، وعَلَّمَنَا، فَعَلَّمْنَا؛ واعلموا أن أكيس الكيس التقى، وأن أحمق الحمق الفجور؛ وإن أقواكم عندي الضعيف حتى أخذ له الحق؛ وإن أضعفكم عندي القوي حتى أخذ منه الحق. أيها الناس! إنما أنا متبع، ولست بمبتدع، فإذا رأيتموني على حق فأعينوني، وإن رأيتموني على باطل، فردوني.

أطيعوني ما أطعت الله فيكم، فإذا عصيته، فلا طاعة لي عليكم أقول قولي هذا، واستغفر الله لي، ولكم).

المفردات اللغوية: الكيس: الفطنة - الحمق: ضعف التفكير وعدم التروي في الأمور.

- تحليل الخطبة: هذه خطبة تولى الخلافة بين فيها خليفة الرسول ﷺ منهجه في الحكم: أولاً: الولاية لا تعني أفضلية الوالي على غيره من حيث الأصول الإنسانية، فالناس سواسية أكرمهم عند الله أتقاهم.

ثانياً: كمل دين الله، وأصبحت أصوله واضحة، وعلومه بينة؛ فلتعلم الإسلام من كان حريصاً عليه ليلتزم به، ويهتدي بهديه؛ فلا عذر لمقصر؛ والفتن الذكي هو الذي يسلك طريق الهدى، والتقوى، ويحصلها ليصوغ قلبه، ونفسه وفق مقتضاها؛ والأحمق الذي أعرض عن هدي الله وسلك طريق الفجور، والضلال الذي يؤدي به إلى شقاء الدارين.

ثالثاً: إن رائد الخليفة في حكمه هو الحق، ونصرة المظلوم، وإعادة حقه إليه، والأخذ بيده إلى الحياة الكريمة؛ فهو قوي بحقه، والضرب على يد الظالم، وأخذ الحق منه، وردعه؛ وبظلمه سيكون ضعيفاً؛ لأن القوة ترتبط بالحق، والضعف يرتبط بالباطل مهما طغى وبغى.

رابعاً: إعلان الالتزام بما جاء في كتاب الله تعالى، وسنة رسوله ﷺ؛ فالخليفة متبع، لا يبتدع شيئاً من عند نفسه.

خامساً: الرعية هي التي تقوّم سلوك، وعمل الخليفة؛ فإن سار في طاعة الله في حكمه، فعلى الرعية أن تساعد على أداء مهمته؛ وإن هو خالف أمر الله، وظلم، وانحرف، فعلى الرعية أن تردّه إلى جادة الصواب؛ وبذلك يكون قد أعلن عن (حرية الرأي والمشاركة في العمل السياسي).

٢ - من خطبة عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما بويع بالخلافة:

إني داع، فأتمنوا: اللهم! إني غليظ فليّني لأهل طاعتك بموافقة الحق ابتغاء وجهك، والدار الآخرة؛ وارزقني الغلظة، والشدة على أعدائك، وأهل الدعارة، والنفاق من غير ظلم مني لهم، ولا اعتداء عليهم.

اللهم! إني شحيح، فسخّني في نوائب المعروف قصداً عن غير سرف، ولا تبذير، ولا رياء، ولا سمعة؛ واجعلني ابتغي بذلك وجهك، والدار الآخرة.

اللهم! إني كثير الغفلة، والنسيان؛ فأهمني ذكرك على كل حال، وذكر الموت في كل حين.

اللهم! إني ضعيف العمل بطاعتك، فارزقني النشاط فيها، والقوة عليها بالنية الحسنة التي لا تكون إلا بعزتك، وتوفيقك.

اللهم! ثبتني باليقين، والبر، والتقوى، وذكر المقام بين يديك، والحياء منك؛ وارزقني الخشوع فيما يرضيك عني، والمحاسبة لنفسي، وإصلاح الساعات، والحذر من الشبهات.

اللهم! ارزقني التفكير، والتدبير كما يتلوه لساني من كتابك، والفهم له، والمعرفة بمعانيه، والنظر في عجائبه، والعمل بذلك ما بقيت إنك على كل شيء قدير.

شرح المفردات: الدعارة: الفجور والخبث - النوائب: جمع نائبة وهي المصائب.

- تحليل الخطبة؛ جاءت خطبة الفاروق تضرعاً إلى الله ليمنحه عونهُ، وتوفيقه في كل ما يعينه على تحقيق مهمة الخلافة، ليؤدي الأمانة على الوجه الشرعي الصحيح الذي يحقق له النجاة عند الله، وإسعاد رعيته بالعدل، والمساواة، وكل ما من شأنه عزتها، والحفاظ على كرامتها، وترسيخ حكم الله في الأرض، وإعلان كلمته، وتبليغ رسالة رب العالمين - رسالة الرحمة والهداية - إلى البشر أجمعين.

٣ - من خطبة عثمان بن عفان رضي الله عنه؛

(إنكم في دار قلعة، وفي بقية أعمار؛ فبادروا آجالكم بخير ما تقدرون عليه؛ فلقد أتيتم صَبَّحْتُمْ، أو مَسَّيْتُمْ. ألا، وإن الدنيا طويت على الغرور، فلا تغرنكم الحياة الدنيا، ولا يغرنكم بالله الغرور.

اعتبروا بمن مضى، ثم جدوا، ولا تغفلوا؛ فإنه لا يغفل عنكم.

أين أبناء الدنيا، وإخوانها الذين آثروها، وعمروها، ومتعوا بها طويلاً؟ ألم تلفظهم؟ ارموا بالدنيا حيث رمى الله بها واطلبوا الآخرة؟ فإن الله قد ضرب لها مثلاً فقال عز وجل: (واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء، فاختلف به نبات الأرض، فأصبح هشيماً تذروه الرياح، وكان الله على كل شيء مقتدرًا.

المال، والبنون زينة الحياة الدنيا، والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً، وخير أملاً).

شرح المفردات: قلعة: انقلاع أي أنها لا تدوم.

تحليل الخطبة: تتضمن هذه الخطبة مواعظ قيمة منها:

أولاً: الدنيا دار زوال، فهي ممر إلى الآخرة، والعاقل من اغتنم فرصتها قبل أن يجيء آجله، وهي دار غرور طوت أصحابها، ورمتهم، ولفظتهم بعد أن متعوا بها ما شاء الله ذلك.

ثانياً: الاعتبار بمن مضى، فالعاقل من اتعظ بغيره، ومن غفل عن لقاء الله، فما الله بغافل عنه.

٤ - خطبة علي بن أبي طالب رضي الله عنه في الجهاد؛

أما بعد: فإن الجهاد باب من أبواب الجنة فتحه الله لخاصة أوليائه، وهو لباس التقوى، ودرع الله الحصينة، وجنته الوثيقة؛ فمن تركه رغبة عنه ألبسه الله ثوب الذل، وشملة البلاء،

وديث بالصَّغار، والقماء، وضُرب على قلبه بالأسداد، وأدب الحق منه بتضييع الجهاد، وسيم الخسف، ومنع النَّصف.

ألا، وإني قد دعوتكم إلى قتال هؤلاء القوم ليلاً، ونهاراً؛ وسراً، وإعلاناً؛ وقلت لكم: اغزوهم قبل أن يغزوكم، فوالله ما غزى قوم قط في عقر دارهم إلا ذلوا؛ فتواكلتم، وتخاذلتُم حتى شُنت عليكم الغارات، وملكت عليكم الأوطان.

هذا أخو غامد قد وردت خيله الأنبار، وقد قتل حسان بن حسان البكري، وأزال خيلكم عن مسالحها، ولقد بلغني أن الرجل منهم كان يدخل على المرأة المسلمة، والأخرى المعاهدة، فينتزع حجلها، وقلبها، ورعاها ما نال رجلاً منهم كلم، ولا أريق لهم دم؛ فلو أن مسلماً مات من بعد هذا أسفاً ما كان به ملوماً! بل كان به جديراً. فيا عجباً! والله يميت القلب، ويجلب الهمَّ اجتماع هؤلاء القوم على باطلهم، وتفرقهم عن حقكم؛ فقبحاً لكم، وترحاً حين صرتم غرضاً يرمى يُغار عليكم، ولا تُغيرون، وتُغزون، ويعصى الله، وترضون؛ فإذا أمرتكم بالسير إليهم في أيام الصيف قلتُم: هذه حَمارة القيظ! أمهلنا ينسلخ عنا الحر؛ وإذا أمرتكم بالسير إليهم في الشتاء قلتُم: هذه صَبارة القر! أمهلنا ينسلخ عنا البرد. كل هذا فراراً من الحر، والقر؛ فأنتم -والله- من السيف أفرُّ.

يا أشباه الرجال، ولا رجال!!! حلوم الأطفال، وعقول ربات الحِجال. لوددت أني لم أركم، ولم أعرفكم معرفة - والله - جرت ندماً، وأعقت سدماً. قاتلكم الله!! لقد ملأتم قلبي قيحاً، وشحنتم صدري غيظاً، وجرعتموني نغب التهام أنفاساً، وأفسدتم عليَّ بالعصيان، والخذلان حتى قالت قريش: إن ابن أبي طالب رجل شجاع ولكن لا علم له بالحرب. لله أبوهم! وهل أحد منهم أشد لها مراساً، وأقدم فيها مقاماً مني؟! لقد نهضت فيها، وما بلغت العشرين، وهأنذا قد ذرفت على الستين، ولكن لا رأي لمن لا يطاع.

شرح المضردات: جنته: وقايته - بالصَّغار: ذل بالوضاعة - القماء: الذل - الأسداد: الحجب التي تحول دون بصيرته - سيم الخسف: كلف المشقة - النَّصف: العدل - وعقر الدار: وسطها - تواكلتم: ألقى كل منكم الأمر على صاحبه - شنت عليكم الغارات: أتتكم متفرقة من كل جانب - أخو غامد: سفيان بن عوف بعثه معاوية لشن الغارات على العراق - الأنبار: بلدة

على الشاطئ الشرقي للفرات - المسالحي: جمع مسلحة وهي الثغر، أو المرقب حيث يخشى مجيء الأعداء - الحجل: الخلل - القلب: السوار - الرعاش: جمع رعدة وهو القرب - الاسترجاع: ترديد الصوت بالبكاء - وافرين: تامين - الكلم: الجرح - الترح: الهم أو الفقر - حمارة القيظ: شدة الحر - صبارة القر: شدة البرد - الحجال: جمع حجلة -، وهي قبة تضرب للعروس - وربات الحجال: النساء - السدم: الهم مع أسف وغيظ - النغب جمع نغبة وهي الجرعة - التهام: الهم - أنفاساً: جرعة بعد جرعة - المراس: المزاولة والمعانة - ذرفت على الستين: زدت عليها.

تحليل الخطبة:

هذه الخطبة من أشهر الخطب التي وصلتنا عن علي بن أبي طالب، ومن أصدقها في التعبير عن نفسيته حال الخلافات التي جرت في خلافته، وتتضمن باقة من الأفكار المهمة:

أولاً: أهمية الجهاد، فهو الباب العريض إلى الجنة عندما يستشهد المجاهد، والدرع الحصينة التي يتقي بها الأعداء، ومن يتركه يعيش ذليلاً.

ثانياً: تقريع القوم على تقاعسهم عن الجهاد، فتواكلوا وتخاذلوا حتى أتتهم الغارات من كل جانب، وتقريعهم لعدم دفاعهم عن حقهم في حين اجتمع خصومهم على باطلهم، وتقاعسوا عن الجهاد في الشتاء متعللين بالبرد، وتقاعسوا عن الجهاد في الصيف متعللين بشدة الحر؛ والحقيقة أنهم جبناء يفرّون من مقارعة السيوف؛ ولا بد من توبيخهم بقسوة تتناسب مع جبنهم، وخذلانهم؛ فهم أشباه رجال، وليسوا رجالاً.

ثالثاً: اعتداده بشجاعته، وتمرسه بالحرب، رداً على من اتهمه بالجبن، والخذلان؛ وحمل قومه مسؤولية النكول عن الحرب.

رابعاً: ولغيظه ونقمته عليهم، تمنى لو أنه لم يعرفهم، إذ من العار أن يكون أمير قوم جبناء.

الباب الخامس

الفصل الثاني

الرسائل في العهد الراشدي

أولاً - مقدمة:

ازدادت أهمية الكتابة، والتدوين في عهد الخلفاء الراشدين عما كانت عليه في عصر صدر الإسلام، وتطورت بسبب اتساع رقعة الدولة، والحاجة إلى المكاتب، والرسائل؛ وازداد الاهتمام بالدواوين العربية في هذا العهد لما شهده هذا العهد من حاجة ماسة لتنظيم حياة الناس سواء أكانت الدواوين عفوية أم منظمة؟

أ - فمن الدواوين العفوية:

١ - ديوان الرسائل والشؤون العامة.

٢ - ديوان الخاتم.

٣ - ديوان البريد.

ب - ومن الدواوين المنظمة:

١ - ديوان الجند.

٢ - ديوان العطاء.

٣ - ديوان المال والأرزاق.

ومثلما كان للنبي ﷺ ديوان للوحي انفرط عقد كتابه بعد توقف الوحي في ١٢ / ربيع الأول / عام ١١ للهجرة/ كان للخلفاء الراشدين كتاب عملوا في زمن أبي بكر في الحركة العلمية الثانية التي نشأت حول جمع القرآن، وتدوينه في الصحف، وبقي أبو بكر الصديق يستعين بالكتاب لإدارة دولته، وإن لم يكن هؤلاء الكتاب قد بلغوا درجة الاحتراف.

فكتب لأبي بكر (عثمان بن عفان - زيد بن ثابت - معيقب الدوسي - عبد الله بن الأرقم - عبد الله بن خلف الخزاعي - حنظله بن الربيع).

وكتب لعمر (زيد بن ثابت - وعبد الله بن الأرقم - ومعيقب الدوسي).
وكتب لعثمان (مروان بن الحكم - وأبو غطفان بن عوف - وأهيب مولاة - وحمدان مولاة) وكتب لعلي (سعيد بن نمران الهمذاني - وعبد الله بن جبير - وعبيد الله بن جعفر).

ثانياً - موضوعات الرسائل المتعلقة بالردة:

أ - أما موضوعات الرسائل في هذا العهد فقد كان معظمها يدور حول حروب الردة عهد أبي بكر رضي الله تعالى عنه، وحروب اليرموك في الشام، والقادسية في العراق، ومن هذه الموضوعات:

- ١ - النداء العام للمرتدين للعودة للدين.
 - ٢ - تذكيرهم بالإسلام وطلب الاعتصام به.
 - ٣ - مصانعة المرتدين، ومحاورتهم.
 - ٤ - تشييط عزائمهم، ووعيدهم.
- ب - أما في موضوع التعليمات، والأوامر للجيوش؛ فكانت الرسائل تكتب في:
- ١ - تولية القادة، وعزلهم، وتسيير الجيوش.
 - ٢ - التحريض على الجهاد في سبيل الله.
 - ٣ - تزويد القادة بالتوجيهات، والخطط الحربية.
 - ٤ - اللوم، والتقريع.
 - ٥ - إقامة الحدود.
- ج - وفيما يخص الكتب الحربية من القادة إلى أبي بكر:
- ١ - رسائل بيان الوضع الحربي.
 - ٢ - رسائل الاستشارة، وطلب الرأي.
 - ٣ - رسائل طلب النجدة، والمدد.
 - ٤ - رسائل التبشير بالنصر، والفرج.
 - ٥ - رسائل الإخبار بالصلح.

د - وفي مجال دعوة العجم إلى الإسلام:

١ - رسائل الدعوة إلى اعتناق الدين الجديد.

٢ - رسائل دفع الجزية.

٣ - رسائل إعلان الحرب.

وفي خلافة عمر رضي الله تعالى عنه، وخلافة عثمان كانت الرسائل تنصب على الشؤون

الحربية المتعلقة باستكمال الفتح، وكتب الخليفة إلى القادة، والعمال في:

١ - الشؤون الحربية المتعلقة بـ:

أ - التعبئة النفسية للقادة، والجنود.

ب - طلب وصف قوة العدو، ومنازله.

ج - تزويد القادة بالتوجيهات، والخطط الحربية.

د - الإمداد، وتسيير الجيوش.

هـ - الأمر بدعوة أهل الحرب للإسلام.

و - لوم القادة، وتقريعهم.

ز - تولية القادة، وعزلهم.

٢ - في الشؤون الإدارية:

أ - رسائل المواعظ، والوصايا في أخلاق العمال، وسياستهم للرعية.

ب - تمصير الأمصار.

ج - تنظيم القضاء.

د - تنظيم العلاقة مع أهل الذمة.

هـ - محاسبة العمال، وتقريعهم.

و - تولية العمال، وعزلهم.

ز - موضوعات إدارية أخرى.

٣ - في الشؤون الدينية:

أ - تطبيق الأحكام الواردة في الكتاب، والسنة.

- ب - إقامة الحدود.
- ج - قتل الخنازير.
- د - قتل السحرة، والكهنة.
- هـ - حكم مال المرأة.
- ز - قيام شهر رمضان.
- ٤ - في الشؤون الاجتماعية:
- أ - تعليم العلوم، والسباحة.
- ب - تعليم القرآن الكريم.
- ج - تشجيع تربية الخيل.
- د - النهي عن الزواج من الأعجميات.
- وكذلك كتب القادة، والعمال للخلفاء كتباً ورسائل في:
- ١ - الوعظ، والاعتذار.
- ٢ - نعي بعض القادة.
- ٣ - الاستعفاء من العمل.
- ٤ - وصف المنازل، والبلدان، والبحر.
- ٥ - الاستئذان في بعض الشؤون.
- ٦ - العتاب، والدفاع عن النفس.
- ٧ - الإخبار بأحوال الناس، والعامية.

وفي عهد علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه توقفت الفتوحات، واستعرت الفتنة بسبب مقتل عثمان بن عفان؛ وكان العبد الأكبر من رسائل تلك الفترة يقع على عاتق الخليفة؛ وقد خاطب في رسائله عدة مستويات من الناس تمثلت في قوى المعارضة من خلال:

أ - زمرة طلحة، والزبير، وعائشة الذين اجتمعوا للطلب بدم عثمان؛ وبعث علي لطلحة، والزبير كتاباً يعذر إليهما فيه قتالهما مركزاً على قضية البيعة، ومقتل عثمان، وإخراج السيدة عائشة أم المؤمنين.

ب - زمرة معاوية الذي أبقى، واستمسك، ورد البيعة، ورفضها لعلّي؛ وكانت الرسائل بينه وبين عليّ تدور على دم عثمان أبرزها:

١ - التبرؤ من دم عثمان.

٢ - محاكمة قتلته.

٣ - عدم إقرار معاوية على شيء من أمور المسلمين.

٤ - معايير تولي الخلافة.

٥ - المفاضلة بينه وبين معاوية.

٦ - وعظ معاوية، واتهامه باتباع الهوى، والتهديد، والوعيد بالحرب.

ج - زمرة الخوارج الذين رفضوا التحكيم في صفين، وقد شغلت موضوعات الرسائل إليهم حيزاً كبيراً من إنتاج علي رضي الله عنه أبرزها:

أ - رسائل المواعظ والوصايا في سيرة القادة والعمال.

ب - رسائل التعليمات الحربية، والسياسية.

ج - رسائل بيان الوضع الحربي، والسياسي، وخطة العمل.

د - رسائل اللوم، والتقريع، والمحاسبة.

هـ - رسائل التولية، والعزل.

وكتب كذلك علي إلى الرعية في:

١ - المواعظ، والوصايا.

٢ - التولية عليهم.

٣ - بيان حقوقهم، وواجباتهم.

٤ - بيان الوضع الحربي، والسياسي.

٥ - رسائل طلب المدد.

٦ - رسائل الطعن في معاوية، وأصحابه، والحض على الجهاد.

٧ - رسائل التهديد، والوعيد.

٨ - الشكوى من عقوق قريش، وشكوى الناس له.

وكذلك كتب القادة والعمال إلى الخليفة في بيان الوضع، وطلب المدد، والتبشير بالنصر، والتعزية بالمصاب، والالتمام، والدفاع عن النفس؛ وكتبوا إلى قوى المعارضة لخلافة علي في التبرؤ من دم عثمان، والمقارنة بين علي، ومعاوية، وأنصارهما؛ وكذلك كتبت القوى المعارضة لعلي في القضايا التي اختلفوا فيها، وكتب بها علي في دم عثمان، والبيعة لعلي، والتذكير بسيرة الخلفاء الثلاثة، وفصائل علي، والتهديد، والوعيد بالحرب، والدعوة إلى الصلح.

وكتبت القوى المعتزلة للفتنة من الصحابة للفرقاء المختلفين؛ وكتبت الرعية إلى الخليفة، والقوى المعارضة في الوعظ، والتثبيط، والنهي عن الفتن، والتفريع، والالتمام، والدعوة إلى الرجوع عن معاوية. وهكذا غدت الرسالة وسيلة الاتصال المثلى بين الناس في هذا العهد.

ثالثاً - شروط الكاتب المترسل:

اعتمد في اختيار الكاتب المترسل شروط عدة ينبغي له أن يحوز عليها:

١ - الثقافة: المستقاة من الموروث الشفوي، أو التراث المروي الذي يشمل كل المعارف السابقة للقرآن الكريم، ثم القرآن الكريم نفسه، وما يحمل من ثقافة جديدة، والحديث الشريف المحفوظ عن الرسول ﷺ، وتاريخ الدعوة، وما يتعلق بالنبى، وأصحابه؛ وذلك لفهم واقع العصر الذي يعيشه الكاتب فكراً، وسياسة، وتديناً، وقوانين اجتماعية، وثقافة أدبية (شعراً ونثراً)، وعلم الأنساب، وأخبار العرب، وأيامهم، ووقائعهم، ومآثرهم، ومفاخرهم؛ وكذلك المعارف الجغرافية، والمناخية، وتواريخ الأمم، والشعوب الأعجمية.

٢ - الإلمام بصناعة الخط.

٣ - الأمانة، والثقة، والعفة بالكاتب.

رابعاً - المظاهر الأسلوبية للرسائل:

تميزت الرسالة في العهد الراشدي بمظاهر أسلوبية عدة تمثلت بـ:

١ - الإطناب: الذي وجد في بعض الرسائل رغم أن معظمها كان موجزاً، ومركزاً، وقصيراً؛ ومن الرسائل المطولة - كتاب عثمان بن عفان - إلى أهل الموسم، وهو محصور في داره يستغيثهم، ويشرح وضعهم؛ وكتاب علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلى عثمان بن حنيف

الأنصاري عامله على البصرة؛ ومنها كتاب من علي بن أبي طالب إلى معاوية بن أبي سفيان، ومنها كتاب من علي بن أبي طالب إلى محمد بن أبي بكر، وأهل مصر.

٢ - التكلف: وادخال الزينة، والتنميق مع العلم أن سمة العصر العفوية، والبساطة، والطبع.

٣ - تشابه أسلوب بعض الرسائل: ومن ذلك ما رواه ابن أبي الحديد (م ٦٥٥ هـ) في شرحه لنهج البلاغة رسائل منسوبة إلى عبد الله بن عامر، والوليد بن عقبة، ويعلى بن أمية موجه إلى معاوية بن أبي سفيان (تعظم المصيبة بعثمان، وتحرص على طلب دمه، والخوف من تفرق بني أمية، وتقديم معاوية للزعامة بهذا الطلب) حيث تتماثل هذه الرسائل التي بلغت ثلاثين رسالة في:

١ - تشابه المضامين في المعاني.

٢ - استعمال بعض التشبيهات، وهي رسائل جاءت من ثلاثين مرسلًا، وكأن كاتبها شخص واحد.

خامساً - نماذج من الرسائل في هذا العهد:

١- كتب أبو بكر الصديق المتوفى في ٧ جمادى الثانية ١٣ هـ إلى بعض قواده:

(إذا سرت فلا تعنف أصحابك في السير ولا تغضبهم وشاور ذوي الآراء منهم واستعمل العدل وباعد عنك الجور فإنه ما أفلح قوم ظلموا ولا نصروا على عدوهم.

(وإذا لقيتم الذين كفروا زحفوا فلا تولوهم الأدبار، ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفاً لقتال أو متحيزاً إلى فئة فقد باء بغضب من الله). وإذا نصرتم عليهم فلا تقتلوا شيخاً ولا امرأة ولا طفلاً ولا تحرقوا زرعاً ولا تقطعوا شجراً ولا تذبحوا بهيمة إلا ما يلزمكم للأكل، ولا تغدروا إذا هادنتم ولا تنقضوا إذا صالحتم وستمرون على أقوام في الصوامع ورهبان ترهبوا الله فدعوهم وما انفردوا إليه وما ارتضوه لأنفسهم، فلا تهدموا صوامعهم ولا تقتلوهم، والسلام).

٢- كتب عمر بن الخطاب المتوفى في ٢٦ ذي الحجة سنة ٢٢ هـ إلى بعض قواده:

(أما بعد: فاني أوصيك ومن معك من الأجناد بتقوى الله على كل حال فإن تقوى الله أفضل العدة على العدو، وأقوى المكيدة في الحرب، وأن تكون أنت ومن معك أشد احتراساً

من المعاصي منكم من عدوكم، فإن ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم، ولولا ذلك لم تكن لنا بهم قوة؛ لأن عددنا ليس كعددهم ولا عدتنا كعدتهم، فإن استوينا في المعصية كان لهم الفضل علينا في القوة ((وإلا نُصر عليهم بطاعتنا، لم نغلبهم بقوتنا)) واعلموا أن عليكم في سيركم حفظة من الله يعلمون ما تفعلون فاستحيوا منهم واسألوا الله العون على أنفسكم، كما تسألونه النصر على عدوكم.

وأقم بمن معك في كل جمعة يوماً وليلة، حتى تكون لهم راحة يحيون فيها أنفسهم، ويرمون أسلحتهم وأمتعتهم، ونحّ عن قرى أهل الصلح والذمة فلا يدخلها من أصحابك إلا من تثق به، وليكن منك عند دنوك أرض العدو أن تكثر الطلائع وتبث السرايا بينك وبينهم، ثم أذك أحراسك على عسكريك، وتيقظ عسكريك وتيقظ من البيانات جهديك، والله ولي أمرك ومن معك وولي النصر لكم على عدوكم.

٣ - من رسائل عثمان بن عفان رضي الله عنه:

- رسائل عثمان وهو محاصر:

أ - كتابه إلى أهل البصرة:

وكتب إلى عبد الله بن عامر: أن اندب إلى أهل البصرة نسخة كتابه إلى أهل الشام فجمع عبد الله بن عامر الناس فقرأ كتابه عليهم، فقامت خطباء من أهل البصرة يحضونه على نصر عثمان والمسير إليه فيهم: مجاشع بن مسعود السلمي، وكان أول من تكلم وهو يومئذ سيد قيس بالبصرة، وقام أيضاً قيس بن الهيثم السلمي، فخطب وحض الناس على نصر عثمان، فسارع الناس إلى ذلك، فاستعمل عليهم عبد الله بن عامر مجاشع بن مسعود فسار بهم حتى إذا نزل الناس الربذة ونزلت مقدمته عند صرار ناحية من المدينة أتاهم قتل عثمان.

وقال البلاذري: وكتب عثمان إلى عبد الله بن عامر بن كريز ومعاوية بن أبي سفيان يعلمهما أن أهل البغي والعدوان من أهل العراق ومصر والمدينة قد أحاطوا بداره، فليس يرضيهم بزعمهم شيء دون قتله أو يخلع السربال الذي سربله الله إياه، ويأمرهما بإغاثته برجال ذوي نجدة وبأس ورأي، لعل الله أن يدفع بهم عنه بأساً يكيده ويريده، وكان رسوله إلى ابن عامر جبير بن مطعم، وإلى معاوية المسور بن مخرمة الزهري، فأما ابن عامر فوجه إليه مجاشع بن

مسعود السلمي في خمسمئة أعطاهم خمسمئة خمس مائة درهم، وكان فيمن ندب مع مجاشع زفر بن الحارث على مئة رجل، وأما معاوية فبعث إليه حبيب بن مسلمة الفهري في ألف فارس، فقدم حبيب أمامه يزيد بن أسد البجلي جد خالد بن عبد الله بن يزيد القسري من بجيلة، وبلغ أهل مصر ومن معهم ممن حاصر عثمان ما كتب به إلى ابن عامر ومعاوية فزادهم ذلك شدة عليه وجداً في حصاره وحرصاً على معاجلته بالقتل.

ب - كتابه إلى أهل الأمصار:

أخرج الطبري وغيره وقالوا: كتب عثمان إلى أهل الأمصار يستمدهم:

(بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد: فإن الله عز وجل بعث محمداً بالحق بشيراً ونذيراً، فبلغ عن الله ما أمره به ثم مضى وقد قضى الذي عليه وخلف فينا كتابه فيه حلاله وحرامه، وبيان الأمور التي قدر فأمضاها على ما أحب العباد وكرهوا، فكان الخليفة أبو بكر رضي الله عنه وعمر رضي الله عنه، ثم أدخلت في الشورى عن غير علم ولا مسألة عن ملأ من الأمة، ثم أجمع أهل الشورى عن ملأ منهم ومن الناس على غير طالب مني ولا محبة، فعملت فيهم ما يعرفون ولا ينكرون، تابعاً غير مستتبع، متبعاً غير مبتدع، مقتدياً غير متكلف، فلما انتهت الأمور، وانتكث الشر بأهله، بدت ضغائن وأهواء على غير إجرام ولا ترة فيما مضى إلا إمضاء الكتاب، فطلبوا أمراً وأعلنوا غيره بغير حجة ولا عذر، فعابوا عليّ أشياء مما كانوا يرضون وأشياء عن ملأ من أهل المدينة لا يصلح غيرها، فصبرت لهم نفسي وكففتها عنهم منذ سنين، وأنا أرى وأسمع، فزادوا على الله عز وجل جرأة حتى أغاروا علينا في جوار رسول الله ﷺ وحرمه وأرض الهجرة، وثابت إليهم الأعراب، فهم كالأحزاب أيام الأحزاب أو من غزانا بأحد إلا ما يظهرون، فمن قدر على اللحاق بنا فليلحق).

فأتى الكتاب أهل الأمصار فخرجوا على الصعبة والذلول، فبعث معاوية حبيب بن مسلمة الفهري، وبعث عبد الله بن سعد معاوية بن خديج السكوني، وخرج من أهل الكوفة القعقاع بن عمر.

ج - كتابه إلى أهل مكة ومن حضر الموسم سنة ٣٥هـ.

ذكر ابن قتيبة قال:

كتب عثمان كتاباً بعثه مع نافع طريف إلى أهل مكة ومن حضر الموسم يستغيثهم فوافى به نافع يوم عرفة بمكة وابن عباس يخطب وهو يومئذ على الناس كان قد استعمله عثمان على الموسم، فقام نافع ففتح الكتاب فقرأه فإذا فيه:

(بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عثمان أمير المؤمنين إلى من حضر الحج من المسلمين. أما بعد: فإني كتبت إليكم كتابي هذا وأنا محصور أشرب من بئر القصور، ولا أكل من الطعام ما يكفيني، خيفة أن تنفذ ذخيرتي فأموت جوعاً أنا ومن معي، لا أدعى إلى توبة أقبلها، ولا تسمع مني حجة أقولها، فأنشده الله رجلاً من المسلمين بلغه كتابي إلا قدم عليّ فأخذ الحق مني ومنعني من الظلم والباطل قال: ثم ابن عباس فأتتم خطبته ولم يعرض لشيء به شأنه.

٤ - رسائل وكتب علي بن أبي طالب

أ - (رسالة إلى والي): وقد بلغه أنه يستغل السلطة لمصلحته الخاصة.. (أما بعد فقد بلغني عنك أمر إن كنت فعلته فقد أسخطت ربك وعصيت إمامك وأخزيت أمانتك.

بلغني أنك جردت الأرض فأخذت ما تحت قدميك وأكلت ما تحت يديك فارفع إليّ حسابك، واعلم أن حساب الله أعظم من حساب الناس. وقد كنت أشركت في أمانتي وجعلتك شعاري وبطانتي ولم يكن رجل من أهلي أوثق منك في نفسي لمواساتي ومؤازرتي وأداء الأمانة إليّ، فلما رأيت الزمان على ابن عمك قد كلب والعدو قد حرب وأمانة الناس قد خزيت قلبت لابن عمك ظهر المجن ففارقته مع المفارقين وخذلتهم مع الخاذلين وخنتهم مع الخائنين، فلا ابن عمك آسيت ولا الأمانة أديت، وكأنك إنما كنت تكيد هذه الأمة عن دنياهم وتنوي غرتهم عن فيئهم فلما أمكنتك الشدة في خيانة الأمة أسرعت الكرة وعاجلت الوثبة واختطفت ما قدرت عليه من أموالهم المصونة لأراملهم وأيتامهم اختطاف الذئب الأزل دامية المعزى الكسيرة، فحملته إلى الحجاز رحيب الصدر بحمله غير متأثم من أخذه كأنك - لا أبا لغيرك - حدرت إلى أهلك تراثاً من أبيك وأمك فسبحان الله أما تؤمن بالمعاد أوما تخاف نقاش الحساب أيها المعداد - كان - عندنا من ذوي الأبواب كيف تسيغ شراباً وطعاماً وأنت تعلم أنك تأكل حراماً وتشرب حراماً؟ فاتق الله واردد إلى هؤلاء القوم أموالهم، فإنك إن لم تفعل ثم أمكنني الله منك لأعذرن إلى الله فيك ولأضربنك بسيفي الذي ما ضربت به أحداً إلا

دخل النار، والله لو أن الحسن والحسين فعلا مثل الذي فعلت ما كان لهما عندي هودة ولا ظفرا مني بإرادة حتى آخذ الحق منها..

شرح المفردات:

- أخزيت أمانتك: أفسدتها وكان هذا العامل أخذ ما عنده من مخزون بيت المال.
- المؤازرة: المناصرة - كلب: كفرح: اشتد وخشن - المجن: الترس، وهذا مثل يضرب لمن يخالف ما عهد فيه - آسيت: ساعدت وشاركت في الملمات - كاده عن الأمر: خدعه حتى ناله منه - العزة: الغفلة - الفيء: مال الغنيمة والخراج - الأزل: السريع الجري - الدامية: المجروحة - التائم: التحرز من الإثم بمعنى الذنب - لا أبا لغيرك: تقال للتوبيخ مع التحامي من الدعاء عليه - حدرت: أسرعت إليه - حدره: حطه من أعلى لأسفل - ((كان)) هنا زائدة لإفادة معنى المضي لا تامة ولا ناقصة - تسيع: تبلغ بسهولة - لأعذرني إلى الله فيك: المقصود هنا لأعاقبك عقاباً يكون لي عذراً عند الله من فعلتك هذه..

ب - رسالة علي رضي الله عنه المتوفى سنة ٤٠ هـ:

(دع الأشراف مقتصداً واذكر في اليوم غداً وأمسك من المال بقدر ضرورتك وقدم الفضل ليوم حاجتك أترجو أن يعطيك الله أجر المتواضعين وأنت عنده من المتكبرين أو تطمع وأنت متمرغ في نعيم تمنعه الضعيف والأرملة أن يوجب لك ثواب المتصدقين، وإنما المرء مجزي بما أسلف وقادم على ما قدم والسلام).

ج - وكتب أيضاً رضي الله تعالى عنه إلى عبد الله بن عباس رضي الله عنه:

(أما بعد: فإن المرء قد يسره درك ما لم يكن ليفوته ويسوءه فوت ما لم يكن ليدركه، فليكن سرورك بما نلت من آخرتك، وليكن أسفك على ما فات منها، وما نلت من دنياك فلا تكثر فيه فرحاً وما فاتك منها فلا تأسف عليه جزعاً وليكن همك فيما بعد الموت).

الباب الخامس

الفصل الثالث

الوصايا في العهد الراشدي

أ - مقدمة:

الوصايا فن من فنون الأدب العربي نشأ وترعرع في أحضان العصر الجاهلي واستخدمه الجاهليون في كثير من قضاياهم الاجتماعية والقبلية، ثم ما لبث أن تطور مرحلة جديدة في عصر صدر الإسلام بفضل وصايا القرآن الكريم، ووصايا النبي ﷺ؛ وفي العهد الراشدي الميمون استمر هذا الفن عند الصحابة الكرام لما له من أثر في توجيه المسلمين، ودفع الحياة السياسية، والاجتماعية، وتسيير أمور الولاية، والقادة من الجيوش المجاهدة، ولما وجد فيه الخلفاء الأربعة من باب يزجون من خلاله نصائحهم لعامة المسلمين، وخاصتهم.

ب - نماذج من وصايا هذا العصر:

١ - من وصايا أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه:

أ - وصية أبي بكر الصديق لجيش أسامة بن زيد:

(يا أيها الناس!، قفوا، أوصيكم بعشرة، فاحفظوها عني: لا تخونوا، ولا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا طفلاً صغيراً، ولا شيخاً كبيراً ولا امرأة، ولا تعقروا نخلاً، ولا تحرقوه، ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ولا تذبحوا شاة، ولا بقرة، ولا بعيراً إلا لمأكله؛ وسوف تمرون بأقوام قد فرغوا أنفسهم في الصوامع، فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له؛ وسوف تقدمون على قوم يأتونكم بآنية فيها ألوان الطعام، فإذا أكلتم منها شيئاً، فاذكروا اسم الله عليها، وتلقون أقواماً قد فحصوا أوساط رؤوسهم، وتركوا حولها مثل العصائب، فاخفقوهم بالسيف خفياً. اندفعوا باسم الله).

ب - وصية أبي بكر رضي الله عنه عند وفاته: عن أبي المليح أن أبا بكر رضي الله عنه

لما حضرته الوفاة أرسل إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: (إني أوصيك بوصية، إن أنت

قبلت أعني: إن الله عز وجل حقاً بالليل، لا يقبله بالنهار، وإن الله عز وجل حقاً بالنهار، لا يقبله بالليل، وإنه عز وجل لا يقبل النافلة حتى تؤدي الفريضة، ألم تر: إنما ثقلت موازين من ثقلت موازينه في الآخرة باتباعهم الحق في الدنيا، وثقل ذلك عليهم، وحق لميزان لا يوضع فيه إلا حقاً، أن يثقل، ألم تر: إنما خفت موازين من خفت موازينه في الآخرة باتباعهم الباطل في الدنيا، وخف ذلك عليهم، وحق لميزان لا يوضع فيه إلا باطلاً، أن يخف، ألم تر: أن الله عز وجل أنزل آية الرجاء عند آية الشدة، وآية الشدة عن آية الرجاء، لكي يكون العبد راغباً راهباً، لا يلقي بيده إلى التهلكة، لا يتمنى على الله عز وجل غير الحق، فإن أنت حفظت وصيتي، فلا يكوننّ غائب أحب إليك من الموت، ولا بد لك منه، وإن أنت ضيعت وصيتي هذه فلا يكوننّ غائب أبغض إليك من الموت.

٢ - من وصايا الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

قال: (ما عاقبت من عصى الله فيك بمثل أن تطيع الله فيه. وضع أمر أخيك على أحسنه حتى يجيئك منه ما يغلبك.

ولا تظننّ بكلمة خرجت من مسلم شراً، وأنت تجد لها في الخير محملاً.
ومن عرّض نفسه للثّهم فلا يلومنّ إلا من أساء به الظنّ.
ومن كتم سرّه كانت الخيرة في يده.

وعليك بإخوان الصّدق تعش في أكنافهم؛ فإنهم زينة في الرّخاء، وعدة في البلاء.
وعليك بالصّدق وإن قتلك.

ولا تعرض فيما لا يعني.

ولا تسأل عما لم يكن؛ فإنّ فيما كان شغلاً عما لم يكن.

ولا تطلبنّ حاجتك إلى من لا يحبّ نجاحها لك.

ولا تهاون بالحلف الكاذب فيهلكك الله.

ولا تصحب الفجار لتتعلم من فجورهم.

واعترل عدوك.

واحذر صديقك إلا الأمين، ولا أمين إلا من خشى الله.

وَتَحْشَعُ عِنْدَ الْقُبُورِ.

وَذَلَّ عِنْدَ الطَّاعَةِ.

وَاسْتَعْصَمَ عِنْدَ الْمَعْصِيَةِ.

وَاسْتَشَرَ فِي أَمْرِكَ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ اللَّهَ؛ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: {إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ}.

وَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَوْصِيًّا: (لَا تَعْتَرِضْ فِيهَا لِأَعْيُنِكَ، وَاعْتَزَلْ عَدُوكَ، وَاحْتَفِظْ مِنْ خَلِيلِكَ إِلَّا الْأَمِينَ؛ فَإِنَّ الْأَمِينَ مِنَ الْقَوْمِ لَا يَعَادِلُهُ شَيْءٌ، وَلَا تَصْحَبِ الْفَاجِرَ فَيَعْلَمَكَ مِنْ فَجُورِهِ، وَلَا تَفْشُ إِلَيْهِ سِرَّكَ، وَاسْتَشِرْ فِي أَمْرِكَ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ اللَّهَ عِزًّا وَجَلًّا).

وَقَالَ أَيْضًا: (لَا تُلْهِكَ النَّاسُ عَنْ نَفْسِكَ؛ فَإِنَّ الْأَمْرَ يَصِيرُ إِلَيْكَ دُونَهُمْ. وَلَا تَقْطَعْ النَّهَارَ سَارِبًا؛ فَإِنَّهُ مَحْفُوظٌ عَلَيْكَ مَا عَمَلْتَ. وَإِذَا أَسَاءْتَ فَأَحْسِنْ؛ فَإِنِّي لَا أَرَى شَيْئًا أَشَدَّ طَلِبًا، وَلَا أَسْرَعَ دَرَكَةً مِنْ حَسَنَةٍ حَدِيثَةٍ لِذَنْبٍ قَدِيمٍ).

وَقَالَ لِابْنِهِ عَبْدِ اللَّهِ: "إِنِّي أَوْصِيكَ بِتَقْوَى اللَّهِ؛ فَإِنَّهُ مَنْ اتَّقَى اللَّهَ وَقَاهُ، وَمَنْ تَوَكَّلَ عَلَيْهِ كَفَاهُ، وَمَنْ أَقْرَضَهُ جِزَاهُ، وَمَنْ شَكَرَهُ زَادَهُ. وَلَتَكُنِ التَّقْوَى نُصَبَ عَيْنِكَ، وَعِمَادَ عَمَلِكَ، وَجَلَاءَ قَلْبِكَ؛ فَإِنَّهُ لَا عَمَلَ لِمَنْ لَا نِيَّةَ لَهُ، وَلَا أَجْرَ لِمَنْ لَا حِسْبَةَ لَهُ، وَلَا جَدِيدَ لِمَنْ لَا خَلْقَ لَهُ."

وَقَالَ: "زِنُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُوْزِنُوا، وَحَاسِبُوهَا قَبْلَ أَنْ تُحَاسَبُوا؛ فَإِنَّهُ أَهْوَنُ عَلَيْكُمْ فِي الْحِسَابِ غَدًّا أَنْ تُحَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ. وَتُزِينُوا لِلْعُرْضِ الْأَكْبَرِ: {يَوْمَئِذٍ تَعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ}."

وَمِنْ وَصَايَا عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

(ضَعْ أَمْرَ أَخِيكَ عَلَى أَحْسَنِهِ..)

وَقَالَ: (مَنْ عَرَّضَ نَفْسَهُ لِلتَّهْمَةِ فَلَا يَلُومَنَّ مِنْ أَسَاءَ بِهِ الظَّنُّ وَمَنْ كَتَمَ سِرَّهُ كَانَتْ الْخَيْرَةُ فِي يَدِهِ، ضَعْ أَمْرَ أَخِيكَ عَلَى أَحْسَنِهِ حَتَّى يَأْتِيكَ مِنْهُ مَا يَغْلِبُكَ، وَلَا تَظُنْ بِكَلِمَةٍ خَرَجَتْ مِنْ أَخِيكَ الْمُسْلِمِ شَرًّا، وَأَنْتَ تَجِدُهَا فِي الْخَيْرِ مُحْمَلًا، وَمَا كَافَأَتْ مِنْ عَصَى اللَّهِ فِيكَ بِمِثْلِ أَنْ تَطِيعَ اللَّهَ فِيهِ، وَعَلَيْكَ بِإِخْوَانِ الصِّدْقِ فَكَثَّرْ فِي اِكْتِسَابِهِمْ، فَإِنَّهُمْ زَيْنٌ فِي الرِّخَاءِ، وَعُدَّةٌ عِنْدَ عَظِيمِ الْبَلَاءِ، وَلَا تَهَاوُنْ بِالْحَلْفِ بِاللَّهِ فِيهِنِكَ اللَّهُ).

وورد في سيرة عمر بن الخطاب، لابن الجوزي: ٢٠٢ ونثر الدر: ٤٣ / ٢.

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (الأمين لا يعادله شيء).

وعن محمد بن شهاب قال: قال عمر بن الخطاب: (لا تعترض لما لا يعنيك، واعتزل عدوك)

(واحتفظ من خليلك إلا الأمين، فإن الأمين من القوم لا يعادله شيء، ولا تصحب الفاجر، فيعلمك من فجوره، ولا تُفش إليه سر، واستشر في أمرك الذين يخشون الله عزَّ وجلَّ).

[سيرة عمر لابن الجوزي: ٢٠٣، ونثر الدر: ٤٣ / ٢].

معنى احتفظ من خليلك: أي احذر منه.

عن أبي قلابة أن عمر بن الخطاب قال: (لا تنظروا إلى صيام أحدٍ ولا صلاته، ولكن انظروا إلى صدق حديثه إذا حدَّث، وأمانته إذا أوتمن، وورعه إذا أشفى).

ومن سيرة عمر لابن الجوزي: ٢٢٩ (إياك وفتلات السباب!)

وقال عمر رضي الله عنه: (احذر من فتلات السباب كلما أورتك النبز، وأعلقك اللقب، فإنه: إن يعظم بعده شأنك يشتد عليه ندمك). [نثر الدر: ٤٨ / ٢].

معنى النبز: اللقب وهو يكثر فيما كان ذمًا.

معنى وأعلقك اللقب: أي أوقعك اللقب في حبالته.

قال رضي الله عنه: (أقلل من الدين تعيش حُرًّا، وأقلل من الذنوب يهن عليك الموت، وانظر في أي نصاب تضع ولدك، فإن العرق دساس).

معنى النصاب: الموضع والأصل.

وقال رضي الله عنه: (أحذركم عاقبة الفراغ، فإنه أجمع لأبواب المكروه من الشكر). [نثر

الدر: ٦٠ / ٢].

وقال رضي الله عنه: (كونوا أوعية الكتاب، وينابيع العلم؛ وسلوا الله الرزق يوماً بيوم؛ ولا

يضركم أن لا يكثر لكم). [الزهد لأحمد بن حنبل: ١٢٠].

وعن عون بن عبدالله قال: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

(جالسوا التوايين فإنهم أرق شيء أفئدة). [الزهد لأحمد بن حنبل: ١٢٠].

وعن الأعمش قال: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (عليكم بذكر الله، فإنه شفاء؛

وإياكم وذكر الناس فإنه داء). [الزهد لأحمد بن حنبل: ١٢٢].

وقال رضي الله عنه: (تعلموا العلم، وعلموه الناس، وتعلموا له الوقار، والسكينة؛

وتواضعوا لمن تعلمتم منه العلم، وتواضعوا لمن علمتموه العلم، ولا تكونوا من جبايرة

العلماء، فلا يقوم علمكم بجهلكم). [كنز العمال: (٢٩٣٤٨) / ١٠ / ٢٥٢، والزهد: لأحمد بن

حنبل: ١٢٠ بنحوه وسيرة عمر لابن الجوزي: ٢١٠].

وعن الأحوص بن حكيم بن عمير العنسي قال: كتب عمر بن الخطاب إلى أمراء الأجناد:

(تفقهوا في الدين، فإنه لا يُعذر أحد باتباع باطل، وهو يرى أنه الحق، ولا يترك حق، وهو يرى

أنه باطل). [كنز العمال: (٢٩٣٤٩) / ١٠ / ٢٥٢].

من أقوال سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (أعقل الناس أعذرهم للناس...)

(إن كان الشغل محمداً فإن الفراغ مفسدة....).

(تعلموا المهنة، فإنه يوشك أحدكم أن يحتاج إلى مهنته).

(من كثر ضحكته قلت هيئته).

(لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق، ويقول اللهم ارزقني، وقد علم أن السماء لا تمطر ذهباً،

ولا فضة؛ وإن الله يرزق الناس بعضهم ببعض).

(أحب الناس إلي من رفع إلي عيوي).

(الرجال ثلاث رجل عاقل ذو رأي، ومشورة؛ وآخر ينزل به الأمر، فلا يعرفه، فيأتي ذوي

الرأي فينزل عند رأيهم؛ وآخر حائر بائر لا يأتمر رشداً، ولا يطيع أمراً).

وقال عمر رضي الله عنه:

(النساء ثلاثة: امرأة عفيفة هيئة لينة، ودود، ولود؛ تعين أهلها على الدهر، وقلها تجدها؛

وأخرى وعاء للولد لا تزيد على ذلك شيئاً؛ وأخرى غلٌّ قَمْلٌ يجعلها الله في عنق من يشاء).

- غل قمل: أي قيد مليء بالقمل.

(من كتم سره كان الخيار بيده)

(الناس طالبان: فطالب يطلب الدنيا، فرفضوها في نحره، فإنه ربما أدرك الذي يطلبه منها، فهلك بما أصاب منها؛ وطالب يطلب الآخرة؛ فإذا رأيتم طالباً يطلب الآخرة، فنافسوه فيها).

(لا تتعلم العلم لثلاث، ولا تتركه لثلاث. لا تتعلمه لتباري به، ولا لتباهي به، ولترائي به؛ ولا تتركه حياء في طلبه، ولا زهادة فيه، ولا رضا بالجهل به).

(ثلاث مهلكات: شح مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه).

(لا تصحب الفاجر فيعلمك من فجوره).

(حاسب نفسك في الرخاء قبل حساب الشدة).

وصية عمر بن الخطاب لابنه عبد الله عند موته

(مَنْ كَتَمَ سِرَّهُ كَانَ الْخِيَارُ فِي يَدِهِ).

(أَشْقَى الْوَلَاةَ مَنْ شَقِيَتْ بِهِ رَعِيَّتُهُ).

(اتَّقُوا مَنْ تُبْغِضُهُ قُلُوبِكُمْ).

(أَعْقَلُ النَّاسِ أَعْدَرُهُمُ لِلنَّاسِ).

(لَا تَوَخَّرْ عَمَلَ يَوْمِكَ لِغَدِكَ).

(اجْعَلُوا الرَّأْسَ رَأْسِينَ).

(أَخِيفُوا الْهَوَامَّ قَبْلَ أَنْ تَخِيفَكُمْ).

(لي على كل خائن أمينان الماء والطين).

(أَكْثَرُوا مِنَ الْعِيَالِ فَإِنَّكُمْ لَا تَدْرُونَ بِمَنْ تُرْزُقُونَ).

(لو أن الشكر والصبر بعيران، لما باليتُ بأيهما ركبت).

(مَنْ لَمْ يَعْرِفِ الشَّرَّ، كَانَ جَدِيرًا أَنْ يَقَعَ فِيهِ).

(ما الخمر صرْفًا بأذهب للعقول من الطمع).

(قلما أدبر شيء فأقبل).

(إلى الله أشكو ضَعْفَ الأَمِينِ، وخيانة القوى).

(مُرُّ ذَوِي القَرَابَاتِ أَنْ يَتَزَاوَرُوا، وَلَا يَتَجَاوَرُوا).

(أغمض عن الدنيا عينك، ووَلَّ عنها قلبك، وإياك أن تهلكك كما أهلكت من كان قبلك. فقد رأيت مَصَارِعَهَا، وعانيت سوء آثارها على أهلها، وكيف عَرِيَّ من كَسَتْ، وجاع من أطعمت، ومات من أحييت).

(إياكم، والقَحَمَ التي مَنْ هَوَى فيها أَتَتْ على نفسه، أو أَلْت به.

احتفظ من النعمة احتفاظك من المعصية؛ فوالله لهي أخوفها عندي عليك. أن تستدرجك، وتخدعك).

وكتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى ابنه عبد الله: (أما بعد: فإنه من اتقى الله، وقاه؛ ومن توكل عليه كفاه؛ ومن أقرضه جزاه؛ ومن شكره زاده؛ فلتكن التقوى عماد بصرك، وجلاء قلبك؛ واعلم أنه لا عمل لمن لا نية له، ولا أجر لمن لا حسنة له، ولا مال لمن لا رفق له، ولا جديد لمن لا خلق له. والسلام).

(ليس لأحدٍ عذرٌ في تعمُدِ ضلآلةٍ حَسَبَهَا هُدًى؛ ولا تركِ حق حَسَبِهِ ضلآلة).

(يُشَارُ الأُمُورَ مُحَدَّثَاتُهَا، واقتصادٌ في سُنَّةٍ خَيْرٌ من اجتهادٍ في بدعة).

(لا يَنْفَعُ تَكَلُّمٌ بِحَقِّ لَأَنْفَازِهِ).

وسأل عمر رضي الله عنه رجلاً عن شيء، فقال: الله أعلم. فقال رضي الله عنه:

(لقد شَقِينَا إِنْ كُنَّا لَا نَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ أَعْلَمُ. إِذَا سُئِلَ أَحَدُكُمْ عَنْ شَيْءٍ لَا يَعْلَمُهُ، فَلْيَقُلْ لَا أَدْرِي، وَكَانَ يَقُولُ: إِذَا لَمْ أَعْلَمْ أَنَا فَلَا عَلِمْتُ مَا رَأَيْت).

(الدنيا أملٌ محتوم، وأجلٌ مُتَقَصِّصٌ (لعل أصله "وأجل منقضى"). وبلاغ إلى دار غيرها، وسيرٌ إلى الموت ليس فيه تصريح؛ فرحم الله امرأً فكَّرَ في أمره، ونصح لنفسه، وراقب ربه، واستقال ذنبه).

(إذا تناجى القومُ في دينهم دون العامة، فإنهم في تأسيس ضلآلة).

(إياكم والبطنه، فإنها مكسلة عن الصلاة. مفسدة للجوف. مؤذية إلى السقم).

(مَنْ يَسَّ من شيء استغنى عنه).

(الدين ميسم الكرام).

(رحم الله امرأ أهدي إلي عيوي).

(السيد هو الجواد حين يُسأل. الحليم حين يستجهل. البار بمن يعاشره).

(أفلح مَنْ حفظ من الطمع، والغضب، والهوى نفسه).

وصية عمر رضي الله عنه لما طعن:

عن الشعبي قال: لما طعن عمر رضي الله عنه جاء ابن عباس، فقال: يا أمير المؤمنين!

أسلمت حين كفر الناس، وجاهدت مع رسول الله ﷺ حين خذله الناس، وقتلت شهيداً، ولم يختلف عليك اثنان، وتوفي رسول الله ﷺ، وهو عنك راضٍ.

فقال له عمر رضي الله عنه: (أعد عليّ مقاتلك، فأعاد عليه، فقال: المغرور من غررتوه،

والله لو أنّ لي ما طلعت عليه الشمس، أو غربت؛ لافتديت به من هول المطلاع).

٣ - من وصايا عثمان بن عفان رضي الله عنه:

وعن العلاء بن الفضل عن أبيه قال: لما قتل عثمان بن عفان رضي الله عنه فتشوا خزائنه،

فوجدوا فيها صندوقاً مقفلاً، ففتحوه، فوجدوا فيه حقّة فيها ورقة مكتوب فيها: هذه وصية

عثمان بن عفان: (بسم الله الرحمن الرحيم. عثمان بن عفان يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا

شريك له؛ وأن محمداً عبده، ورسوله ﷺ، وأن الجنة حق؛ وأن النار حق، وأن الله يبعث من في

القبور ليوم لا ريب فيه. إن الله لا يخلف الميعاد، عليها يحيا، وعليها يموت، وعليها يبعث إن

شاء الله).

٤ - من وصايا علي رضي الله تعالى عنه:

أ - وصية علي بن أبي طالب رضي الله عنه لما ضرب بالسيف:

وعن الشعبي: لما ضرب علي بن أبي طالب رضي الله عنه تلك الضربة، قال: (ما فعل

ضاربي؟)، قالوا: قد أخذناه، قال: (أطعموه من طعامي، واسقوه من شرابي، فإن أنا عشت

رأيت فيه رأيي، وإن أنا مت، فاضربوه ضربة واحدة، لا تزيدوه عليها)، ثم أوصى الحسن

رضي الله عنه أن يغسله، ولا يغالي في الكفن؛ فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: " لا تغالوا في الكفن، فإنه يسلب سلباً سريعاً"، وامشوا بي بين المشيتين؛ لا تسرعوا بي، ولا تبطئوا، فإن كان خيراً عجلتموني إليه، وإن كان شراً ألقىتموني عن أكتافكم).

ب - وصية علي رضي الله عنه لكميل بن زياد:

قال علي رضي الله عنه موصياً كميل بن زياد: يا كميل بن زياد!

١ - سم كل يوم باسم الله.

٢ - وقل: (لا حول ولا قوة إلا بالله).

٣ - وتوكل على الله.

٤ - واستعذ بالله ربنا.

٥ - ما من حركة إلا وأنت محتاج فيها إلى معرفة.

٦ - إذا أكلت الطعام، فسم باسم الله الذي لا يضر مع اسمه داء، وهو الشفاء من جميع

الأدواء.

٧ - إذا أكلت الطعام، فواكل به، ولا تبخل به؛ فإنك لم ترزق الناس شيئاً، والله يجزل لك

الثواب بذلك.

٨ - أحسن خلقك، وابسط جليسك؛ ولا تنهرنَّ خادمك.

٩ - يا كميل! إذا أنت أكلت، فطول أكلك ليستوفي من معك، ويرزق منه غيرك.

١٠ - إذا استوفيت طعامك، فاحمد الله على ما رزقك، وارفع بذلك صوتك ليحمده

سواك، فيعظم بذلك أجرك.

١١ - لا توقرنَّ معدتك طعاماً، ودع فيها للماء موضعاً، وللريح مجالاً، ولا ترفعن يدك من

الطعام إلا وأنت تشتهيهِ؛ فإذا فعلت ذلك، فأنت تستمرئه.

١٢ - صحة الجسم من قلة الطعام، وقلة الماء.

١٣ - البركة في المال من إيتاء الزكاة، ومواساة المؤمنين، وصلة الأقربين.

١٤ - زد قرابتك المؤمن على ما تعطي سواه من المؤمنين، وكن بهم أرف، وعليهم

أعطف، وتصدق على المساكين.

- ١٥ - يا كميل! لا تردن سائلاً، ولو بشق تمر، أو من شطر عنب. الصدقة تُنمى عند الله.
- ١٦ - حسن خلق المؤمن التواضع، وجماله التعفف، وشرفه الشفقة، وعزه ترك القال، والقييل.
- ١٧ - إياك: والمرء، فإنك تغري بنفسك السفهاء إذا فعلت، وتفسد الإخاء.
- ١٨ - إذا جادلت في الله تعالى، فلا تحاطب إلا من يشبه العقلاء.
- ١٩ - في كل صنف قوم أرفع من قوم، وإياك: ومناظرة الخسيس منهم، وإن أسمعوك، فاحتمل؛ وكن من الذين وصفهم الله تعالى بقوله: "وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا".
- ٢٠ - قل الحق على كل حال، وزاور المتقين، واهجر الفاسقين.
- ٢١ - جانب المنافقين، ولا تصاحب الخائنين.
- ٢٢ - إياك! إياك والتطرق إلى أبواب الظالمين، والاختلاط بهم، والاكتماب منهم؛ وإياك أن تطيعهم، وأن تشهد في مجالسهم بما يسخط الله عليك. إذا اضطرت إلى حضورهم، فداوم ذكر الله تعالى، والتوكل عليه؛ واستعد بالله من شرهم، وأطرق عنهم، وأنكر بقلبك فعلهم، واجهر بتعظيم الله تعالى لتسمعهم، فإنهم يهابونك، وتكفى شرهم.
- ٢٣ - إن أحب ما امتثله العباد إلى الله بعد الإقرار به، وبأوليائه عليهم السلام التجمل، والتعفف، والاصطبار.
- ٢٤ - لا تُرينَّ الناس افتقارك، واضطراك، واصطبر عليه احتساباً بعز، وتستر.
- ٢٥ - لا بأس بأن تعلم أخاك شرك.
- ٢٦ - أخوك الذي لا يخذلك عند الشدة، ولا يغفل عنك عند الجريرة، ولا يخذلك حين تسأله، ولا يتركك، وأمرك حتى تعلمه، فإن كان مميلاً أصلحه.
- ٢٧ - المؤمن مرآة المؤمن؛ لأنه يتأمله، ويسد فاقته، ويحمل حالته.
- ٢٨ - يا كميل! المؤمنون إخوة، ولا شيء أثر عند كل أخ من أخيه.
- ٢٩ - كميل! إذا لم تحب أخاك، فلست أخاه.

- ٣٠ - قل عند كل شدة: (لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم) تكفها.
- ٣١ - وقل عند كل نعمة: (الحمد لله) تزد منها.
- ٣٢ - إذا أبطأت الأرزاق عليك، فاستغفر الله يوسع عليك.
- ٣٣ - إن ذنوبك أكثر من حسناتك، وغفلتك أكثر من ذكرك، ونعم الله عليك أكثر من كل عملك.
- ٣٤ - يا كميل! إنه لا تخلو من نعمة الله عزَّ وجلَّ عندك، وعافيته؛ فلا تخل من تحميده، وتمجيده، وتسبيحه، وتقديسه، وشكره، وذكره على كل حال.
- ٣٥ - يا كميل! لا تكوننَّ من الذين قال الله عزَّ وجلَّ: "نَسُوا اللَّهَ فَنَسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ" ونسبهم إلى الفسق "أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ".
- ٣٦ - ليس الشأن أن تصلي، وتصوم، وتتصدق؛ إنما الشأن: أن تكون الصلاة فعلت بقلب نقي، وعمل عند الله مرضي، وخشوع سوي، وإبقاء للجد فيها.
- ٣٧ - يا كميل! إن الله عز وجل كريم حلِيم عظيم رحيم دلنا على أخلاقه، وأمرنا بالأخذ بها، وحمل الناس عليها.
- ٣٨ - يا كميل! الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ.

الباب الخامس

الفصل الرابع

القصص في العهد الراشدي

القصص والحكايات:

هي نوع من السرد يهتم بالوقائع، والحقائق يتناوله القاص من زاويته الخاصة الموظفة لتحقيق المتعة الفنية آخذاً الجانب المؤثر في النفوس بعين الاعتبار؛ ولا تؤخذ الحقيقة منها بشكل جدي؛ لأنه قد تكون عرضة للابتداع، والاختلاق من أجل الاستيلاء على خيال المتلقي؛ وقد شهدت الفتوح الإسلامية ازدياداً، وتسارعا في ذكر الكثير من هذه القصص، والحكايات من خلال توطن المسلمين في البيئات، والبلدان المفتوحة، والاحتكاك بأهلها، والاطلاع على تراثهم، وهي:

١ - تسرد بشكل شفوي.

٢ - مضمونها متلون بلون الحياة، وأحداثها.

٣ - يصطبغ أسلوبها بأسلوب القاص، أو الراوي.

أ - من قصص أبي بكر الصديق رضي الله عنه:

- تواضع أبي بكر الصديق:

١ - (عن أبي صالح الغفاري: أن عمر بن الخطاب كان يتعاهد عجوزاً كبيرة عمياء في بعض حواشي المدينة من الليل، فيستقي لها، ويقوم بأمرها. وكان إذا جاء وجد غيره قد سبقه إليها فأصلح ما أرادت. فجاءها غير مرة كيلا يسبق إليها، فرصده عمر؛ فإذا الذي يأتيها هو أبو بكر الصديق، وهو خليفة. فقال عمر: أنت هو لعمرى؟).

٢ - (قال علماء السير: كان أبو بكر رضي الله عنه يحلب للحج أغنامهم، فلما بوع بالخلافة، قالت جارية من الحج: الآن لا يحلب لنا مئائتنا، فسمعها أبو بكر فقال: بلى، لعمرى لأحلبنّها لكم، وإني لأرجو أن لا يغيّرني ما دخلت فيه عن خلق كنت عليه، فكان يحلب لهم).

٣ - (يذكر لنا ابن كثير رحمه الله في كتابه (البداية والنهاية) هذه القصة الدالة على تواضع أبي بكر فيقول: ثم نهض أبو بكر رضي الله عنه إلى الجرف، فاستعرض جيش أسامة، وأمرهم بالسير، وسار معهم ماشياً، وأسامة راكباً، وعبدالرحمن بن عوف يقود براحلة الصديق، فقال أسامة: يا خليفة رسول الله!، إمّا أن تتركب، وإمّا أن تنزل، فقال أبو بكر: والله لست بنازل، ولست أنا براكب، ثم استطلق الصديق من أسامة عمر بن الخطاب، فأطلق له، فكان عمر رضي الله عنه لا يلقاه بعد ذلك إلا قال: السلام عليك أيها الأمير!).

ب - من قصص عمر بن الخطاب:

١ - سأل عمر بن الخطاب رجلاً: كيف أصبحت؟ قال الرجل: أصبحت أكره الحق، وأحب الفتنة، وأصلي بلا وضوء، وعندني في الأرض ما ليس عند الله في السماء، فغضب عمر الفاروق، وذهب إلى علي رضي الله تعالى عنه الله، وأخبره بأمر الرجل.

فقال: يا أبا حفص! قصد بقوله أكره الحق، أي: أكره الموت، وبالفتنة أي نساءه، وأولاده، وقصد بالصلاة، أي: إنها الصلاة على النبي إذ إنها لا يلزمها وضوء، وقصد بقوله: عندني في الأرض ما ليس عند الله في السماء، أي: أن له زوجة، وولد؛ والله واحد أحد فرد صمد ما اتخذ صاحبة ولا ولداً.

٢ - جاء قبطي من مصر إلى المدينة يشكو ابن عمرو بن العاص - والي مصر - إلى عمر الفاروق، فأمر بإحضار عمرو بن العاص، وابنه إلى المدينة، فأعطى عمر عصاً للقبطي، وقال له: خذ حقلك من ابن الأكرمين، والتفت إلى عمرو، وقال: اضربه على صلعة رأسه (وكان أقرع)، فرد عليه القبطي: أخذت حقي، وضربت الذي ضربني، فما لي بعمر بن العاص (إذ ابن عمرو، والقبطي تسابقاً، فالقبطي فاز، وتلقى ضربة موجعة من ابن عمرو) فقال: بسبب أن والده كان والياً ضربك، والتفت مرة أخرى إلى عمرو بن العاص، وقال مقولته الشهيرة: متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً.

٢ - أتى شابان إلى الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وكان في المجلس، وهما يقودان رجلاً من البادية، فأوقفوه أمامه، قال عمر: ما هذا؟ قالوا: يا أمير المؤمنين، هذا قتل أبانا قال: أقتلت أباهم؟ قال: نعم قتلته! قال: كيف قتلته؟ قال: دخل بجملته في أرضي، فزجرته، فلم

ينزجر، فأرسلت عليه حجراً، وقع على رأسه فمات... قال عمر: القصاص... قرار لم يكتب... وحكم شديد لا يحتاج مناقشة، لم يسأل عمر عن أسرة هذا الرجل، هل هو من قبيلة شريفة؟ هل هو من أسرة قوية؟ ما مركزه في المجتمع؟ كل هذا لا يهم عمر رضي الله عنه لأنه لا يجابي أحداً في دين الله، ولا يجامل أحداً على حساب شرع الله، ولو كان ابنه القاتل، لاقتص منه. قال الرجل: يا أمير المؤمنين: أسألك بالذي قامت به السموات والأرض أن تتركني ليلة، لأذهب إلى زوجتي، وأطفالي في البادية، فأخبرهم بأنك سوف تقتلني، ثم أعود إليك، والله ليس لهم عائل إلا الله.

قال عمر: من يكفلك أن تذهب إلى البادية، ثم تعود إلي؟ فسكت الناس جميعاً، إنهم لا يعرفون اسمه، ولا خيمته، ولا داره، ولا قبيلته، ولا منزله، فكيف يكفلونه، وهي كفالة ليست على عشرة دنانير، ولا على أرض، ولا على ناقة، إنها كفالة على الرقبة أن تُقطع بالسيف.. ومن يعترض على عمر في تطبيق شرع الله؟ ومن يشفع عنده؟ ومن يمكن أن يُفكر في وساطة لديه؟ فسكت الصحابة، وعمر مُتأثر؛ لأنه وقع في حيرة، هل يُقدم فيقتل هذا الرجل، وأطفاله يموتون جوعاً هناك؛ أو يتركه، فيذهب بلا كفالة، فيضيع دم المقتول.

وسكت الناس، ونكّس عمر رأسه، والتفت إلى الشابين: أتعفوان عنه؟ قالوا: لا، من قتل أبانا لا بد أن يُقتل يا أمير المؤمنين..! قال عمر: من يكفل هذا أيها الناس؟! فقام أبو ذر الغفاريّ بشيئته وزهده، وصدقه، وقال: يا أمير المؤمنين، أنا أكفله قال عمر: هو قتل، قال: ولو كان قاتلاً! قال: أتعرفه؟ قال: ما أعرفه، قال: كيف تكفله؟

قال: رأيت فيه سمات المؤمنين، فعلمت أنه لا يكذب، وسيأتي إن شاء الله. قال عمر: يا أبا ذرّ!، أنتظن أنه لو تأخر بعد ثلاث أني تاركك؟! قال: الله المستعان! يا أمير المؤمنين...!، فذهب الرجل، وأعطاه عمر ثلاث ليال، يُهَيِّئ فيها نفسه، ويودع أطفاله وأهله، وينظر في أمرهم بعده، ثم يأتي، ليقصص منه؛ لأنه قتل.

وبعد ثلاث ليالٍ لم ينس عمر الموعد، يُعَدُّ الأيام عدداً، وفي العصر نادى في المدينة: الصلاة جامعة، فجاء الشبابان، واجتمع الناس، وأتى أبو ذر، وجلس أمام عمر، قال عمر: أين الرجل؟ قال: ما أدري يا أمير المؤمنين! وتلفت أبو ذر إلى الشمس، وكأنها تمر سريعة على غير

عادتها، وسكت الصحابة واجمين، عليهم من التأثر ما لا يعلمه إلا الله. صحيح أن أبا ذرّ يسكن في قلب عمر، وأنه يقطع له من جسمه إذا أراد لكن هذه شريعة، لكن هذا منهج، هذه أحكام ربانية، لا يلعب بها اللاعبون ولا تدخل في الأدراج لتناقش صلاحيتها، ولا تنفّذ في ظروف دون ظروف وعلى أناس دون أناس، وفي مكان دون مكان.

وقبل الغروب بلحظات، وإذا بالرجل يأتي، فكبرّ عمر، وكبرّ المسلمون معه، فقال عمر: أيها الرجل! أما إنك لو بقيت في باديتك، ما شعرنا بك، وما عرفنا مكانك!! قال: يا أمير المؤمنين، والله ما عليّ منك، ولكن عليّ من الذي يعلم السرّ، وأخفى!! ها أنا يا أمير المؤمنين، تركت أطفالي كفراخ الطير لا ماء، ولا شجر في البادية، وجئت لأقتل، وخشيت أن يقال: لقد ذهب الوفاء بالعهد من الناس؛ فسأل عمر بن الخطاب أبا ذر لماذا ضمته؟؟؟ فقال أبو ذر: خشيت أن يقال: لقد ذهب الخير من الناس، فوقف عمر، وقال للشايبين: ماذا تريان؟ قالوا - وهما يبكيان - : عفونا عنه يا أمير المؤمنين لصدقه. وقال لهم عمر بن الخطاب: لم عفوتم عنه؟ قالوا: نخشى أن يقال: لقد ذهب العفو من الناس! قال عمر: الله أكبر، ودموعه تسيل على لحيته. جزاكم الله خيراً أيها الشبابان على عفوكما!، وجزاك الله خيراً يا أبا ذرّ يوم فرّجت عن هذا الرجل كربته!، وجزاك الله خيراً أيها الرجل لصدقك، ووفائك. وجزاك الله خيراً يا أمير المؤمنين لعدلك، ورحمتك.

ومن قصص عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه:

١ - قصة سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه مع الشيطان (قصة منسوجة من الخيال

الشعبي)

(كان عمر رضي الله تعالى عنه خارجاً من منزله بعد أن توضأ، ليذهب إلى مسجد النبي ﷺ؛ ليصلي الفجر حاضراً، وجماعة؛ فانزلت قدمه ووقع أرضاً فقال رضي الله عنه: أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم، وأتوب إليه، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم؛ ثم عاد فتوضأ، وخرج؛ فانزلت قدمه مرة أخرى، ووقع أرضاً؛ ثم كرر ما قاله، وعاد، وتوضأ، وخرج، فانزلت للمرة الثالثة؛ ثم كرر ما قاله، ثم دخل، فتوضأ؛ ثم خرج، فإذا برجل عليه ثياب بيضاء اللون، ويحمل قنديلاً بيده؛ فقال له: إلى أين أنت ذاهب يا أبا حفص؟ فقال إلى مسجد رسول الله ﷺ لأصلي الفجر معه الجماعة.

فأخذ الرجل يضيء الطريق لسيدنا عمر رضي الله عنه، لكي لا تنزل قدمه، ويقع أرضاً؛ وعندما وصلوا إلى باب المسجد توقف الرجل، فقال له سيدنا عمر رضي الله عنه: تفضل لنصلي معاً، فقال له الرجل: لا أنا لا أصلي، فغضب سيدنا عمر، فقال له الرجل: أنا إبليس أوقعتك أول مرة، فقلت أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم، وأتوب إليه، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم؛ فغفر الله لك كل ذنوبك، وفي المرة الثانية عندما تكررت القصة كما ذكرت غفر الله ذنوبك، وكل عائلتك؛ وفي الثالثة غفر الله ذنوب أهل المدينة كلهم، فخفت إن عاودت الكرة معك مرةً رابعةً أن يغفر الله ذنوب كل عباده؛ فلذلك حملت القنديل، وهرعت مسرعاً لكي أضيء لك الطريق خوفاً من تكرار الرابعة.

فهنا التقطه سيدنا عمر من عنقه، وأراد قتله؛ فهرع سيدنا أبو بكر، وعلي رضي الله عنهم؛ لأنهم كانوا قريباً منهم، وسمعوا القصة وذهبوا إلى النبي ﷺ، وقالوا: يا رسول الله أدرك أبا حفص قبل أن يقتل الشيطان، فأسرع النبي ﷺ إلى باب المسجد، وأدرك سيدنا عمر قبل أن يقتل الشيطان، وقال له ﷺ: يا عمر! والله لو قتلته لأشعلتها حرباً بين الإنس والجن إلى يوم القيامة).

هذه قصة مكذوبة، فإن إبليس لا يُقتل؛ لأن الله وعده بالبقاء إلى قيام الساعة، ولو لم يُنظره الله إلى يوم القيامة، لم يكن قتله سبباً لقيام الساعة.

وكيف تنظلي تلك الحيلة على مثل الفاروق عمر رضي الله عنه، وهو الذي يخافه الشيطان؟ فقد قال رسول الله ﷺ: إِنَّ الشَّيْطَانَ لَيَفْرُقُ مِنْكَ يَا عُمَرُ. رواه الإمام أحمد، وصححه الألباني.

ومعنى "يَفْرُقُ" أي: يخاف. وقال رسول الله ﷺ لِعُمَرَ رضي الله عنه: والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان قط سَالِكًا فَجًّا إِلَّا سَلَّكَ فَجًّا غير فَجِّكَ. رواه البخاري ومسلم.

قال النووي: وَهَذَا الْحَدِيثُ مُحْمُولٌ عَلَى ظَاهِرِهِ أَنَّ الشَّيْطَانَ مَتَى رَأَى عُمَرَ سَالِكًا فَجًّا هَرَبَ هَيْبَةً مِنْ عُمَرَ، وَفَارَقَ ذَلِكَ الْفَجَّ، وَذَهَبَ فِي فَجٍّ آخَرَ لِشِدَّةِ خَوْفِهِ مِنْ بَأْسِ عُمَرَ أَنْ يَفْعَلَ فِيهِ شَيْئًا.

٢ - وهناك رواية أيضاً عن النبي ﷺ عندما عاد من إحدى الغزوات حينما قالت له امرأة: يا رسول الله إني قد نذرت أن أضرب بالدف إن عدت سالماً، فقال لها ﷺ: إن نذرت، فافعلي،

وإن لم تنذري، فلا؛ لأنه من عمل الشيطان، فأخذت النسوة يضربن بالدف، ودخل على النبي ﷺ أبو بكر، وعلي، وعثمان رضي الله عنهم؛ ولم تتوقف النساء عن الضرب بالدف، وعندما دخل سيدنا عمر رضي الله عنه، وألقى السلام، وضعت النسوة الدف تحتهن، وجلسن عليه من سماع صوت سيدنا عمر رضي الله عنه، فتبسم النبي ﷺ وقال: (يا عمر! والله إن الشيطان ليخاف من ظلك، فإذا دخلت من فج خرج من الفج الآخر).

عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال: رجَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ بَعْضِ مَغَازِيهِ، فَبَجَاءَتْ جَارِيَةٌ سَوْدَاءُ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي كُنْتُ نَذَرْتُ أَنْ أَضْرِبَ عَلَى رَأْسِكَ بِالْذَّفِّ. فَقَالَ: «إِنْ كُنْتَ نَذَرْتِ فَأَفْعَلِي وَإِلَّا فَلَا». قَالَتْ: إِنِّي كُنْتُ نَذَرْتُ. قَالَ: فَفَعَدَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَضْرَبَتْ بِالْذَّفِّ.

السائلة: هي التي نذرت واسمها سَدَيْسَةَ الأنصارية مولاة حفصة بنت عمر رضي الله عنهما تعدُّ من أهل المدينة، وفي قول النبي ﷺ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ لَيَفْرُقُ مِنْكَ يَا عُمَرُ...». ما معناه أَنَّ النبي ﷺ اطَّلَعَ على أَنَّ الشَّيْطَانَ حَضَرَ لِمَحَبَّتِهِ سَمَاعَ اللّهُو، وما يرجوه من الفتنة، فلما حضر عمر فرَّ الشيطان خوفاً منه لصدعه بالحق.

- الشيطان يخشى من سيدنا عمر بن الخطاب:

وقد كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه، حينما يسير في طريق، يلتمس الشيطان طريقاً آخر خوفاً من عمر؛ لأنه كان عبداً مخلصاً لله، والمسلم يعلم أن الجن لا تقدر على شيء إلا بإرادة الله، كما أنها لا تعلم من غيب الله شيئاً، قال تعالى: {عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً. إلا من ارتضى من رسول، فإنه يسلك من بين يديه، ومن خلفه رصداً} [الجن: ٢٦ - ٢٧].

٣ - قصة عمر بن الخطاب رضي الله عنه مع زوجته:

هذه القصة والتي مفادها أَنَّ رَجُلًا جَاءَ إِلَى عُمَرَ يَشْكُو إِلَيْهِ خُلُقَ زَوْجَتِهِ فَوَقَفَ بِبَابِهِ يَنْتَظِرُهُ فَسَمِعَ أَمْرًا أَنَّهُ تَسْتَبِيلُ عَلَيْهِ بِلِسَانِهَا وَهُوَ سَاكِتٌ لَا يُرَدُّ عَلَيْهَا، فَانصَرَفَ الرَّجُلُ قَائِلًا: إِذَا كَانَ هَذَا حَالِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فَكَيْفَ حَالِي؟ فَخَرَجَ عُمَرُ فَرَأَهُ مُوَلِّيًا فَنَادَاهُ: مَا حَاجَتُكَ يَا أَخِي؟ فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ جِئْتُ أَشْكُو إِلَيْكَ خُلُقَ زَوْجَتِي وَاسْتَبَالَتْهَا عَلَيَّ فَسَمِعْتُ زَوْجَتَكَ كَذَلِكَ فَرَجَعْتُ وَقُلْتُ: إِذَا كَانَ هَذَا حَالِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مَعَ زَوْجَتِهِ فَكَيْفَ

حَالِي؟ فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: إِنَّمَا تَحْمَلْتَهَا لِحُقُوقِهَا عَلَيَّ: إِنَّهَا طَبَّاحَةٌ لَطَعَامِي خَبَازَةٌ لِحُبْرِي غَسَّالَةٌ لِثِيَابِي رَضَّاعَةٌ لَوْلَدِي، وَلَيْسَ ذَلِكَ بِوَاجِبٍ عَلَيْهَا، وَيَسْكُنُ قَلْبِي بِهَا عَنِ الْحَرَامِ، فَأَنَا أَتَحْمَلُهَا لِذَلِكَ، فَقَالَ الرَّجُلُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَكَذَلِكَ زَوْجَتِي؟ قَالَ: فَتَحْمَلُهَا يَا أَخِي فَإِنَّمَا هِيَ مُدَّةٌ يَسِيرَةٌ.

فهذه القصة لم نجد لها أصلاً، ولا وجدنا أحداً من أهل العلم بالحديث تكلم عليها بشيء، وإنما ذكرها الشيخ سليمان بن محمد البجيرمي الفقيه الشافعي في "حاشيته على شرح المنهج" (٣/ ٤٤١ - ٤٤٢)، كما ذكرها أيضاً أبو الليث السمرقندي الفقيه الحنفي في كتابه "تنبيه الغافلين" (ص: ٥١٧)، وكذا ابن حجر الهيتمي في "الزواجر" (٢/ ٨٠) ولم يذكر واحد منهم إسنادها.

ج - من قصص علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه:

١ - فضل علي بن أبي طالب رضي الله عنه وشجاعته:

عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «لَأُعْطِينَ الرَّايَةَ عَدَا رَجُلًا يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ»، قَالَ: فَبَاتَ النَّاسُ يَدُوكُونَ لَيْلَتَهُمْ أَيُّهُمْ يُعْطَاهَا، فَلَمَّا أَصْبَحَ النَّاسُ غَدَوْا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، كُلُّهُمْ يَرْجُو أَنْ يُعْطَاهَا، فَقَالَ: «أَيْنَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ». فَقَالُوا: يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «فَارْسُلُوا إِلَيْهِ فَأَتُونِي بِهِ».

فَلَمَّا جَاءَ بَصَقَ فِي عَيْنَيْهِ وَدَعَا لَهُ، فَبَرَأَ حَتَّى كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ، فَأَعْطَاهُ الرَّايَةَ، فَقَالَ عَلِيٌّ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَقَاتِلُهُمْ حَتَّى يَكُونُوا مِثْلَنَا؟ فَقَالَ: «انْفُذْ عَلَى رِسْلِكَ حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يُحِبُّ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ اللَّهِ فِيهِ، فَوَاللَّهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا، خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ مِثْرُ النَّعَمِ».

وهذه القصة كانت في غزوة خيبر، وقد كان يوم خيبر في أول سنة سبع، قال موسى بن عقبة: لما رجع رسول الله ﷺ من الحديبية مكث بالمدينة عشرين يوماً، أو قريباً من ذلك، ثم خرج إلى خيبر وهي التي وعدها الله تعالى إياه، في قوله تعالى: (وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً

تَأْخُذُونَهَا فَعَبَّجَلْ لَكُمْ هُذِهِ وَكَفَّ أَيْدِي النَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا
مُسْتَقِيمًا) [الفتح: ٢٠].

وهي تدل على معجزة النبي ﷺ، حيثُ أخبر بِفَتْحِ خَيْبَرَ على يد من يعطى له الرأية، فوقع الأمر على علي كما أخبر عليه الصلاة والسلام. وفي اختيار علي رضي الله تعالى عنه دليل على شجاعته، كما أن في إخبار النبي ﷺ عن محبة الله، ورسوله له دليلاً على فضله، وكمال إيمانه.

الباب الخامس

الفصل الخامس

الموعظة التقوية في العهد الراشدي

أ - مقدمة:

لم تبرح الموعظة التقوية في العهد الراشدي منزلتها التي تبوأتها في عصر صدر الإسلام، بل ازداد تألق أصحابها في هذا العهد - وعلى رأسهم الخلفاء الأربعة الذين تشربت نفوسهم بمواعظ القرآن الكريم ومواعظ رسول الله عليه الصلاة والسلام -، وأصبح لفن الوعظ والتقوى رواة في المساجد والمجالس العامة ونشط الوعظ بمفهومه السلوكي، فقد تخلص العرب من عبادة الأصنام وتحولوا إلى السعي لصناعة الإنسان المؤمن التقي الذي مهمته إعمار الكون وأسلمته، وبناء حياة إنسانية واعدة غايتها إعمار الكون بالمحبة الإنسانية؛ ولم يقتصر عمل الدعاة الوعظيين في أرجاء الجزيرة العربية، بل تعداها ذلك إلى العراق والشام واليمن. وأخذ الوعاظ التقويون يدونون وعظهم من خلال تقييد ذلك في أوراق كي يتذكرها الناس على مر العصور.

ب - من مواعظ الخلفاء الراشدين الأربعة:

أولاً - من مواعظ أبي بكر الصديق رضي الله عنه:

١ - عن عبد الله بن عكيم، قال: خطبنا أبو بكر رضي الله تعالى عنه فقال: أما بعد، فإني أوصيكم بتقوى الله، وأن تثنوا عليه بما هو له أهل، وأن تخلطوا الرغبة بالرهبة، وتجمعوا الإلحاف بالمسألة، فإن الله تعالى أثنى على زكريا، وعلى أهل بيته، فقال: (إنهم كانوا يسارعون في الخيرات، ويدعوننا رغباً ورهباً، وكانوا لنا خاشعين)، ثم اعلموا عباد الله أن الله تعالى قد ارتهن بحقه أنفسكم، وأخذ على ذلك موثيقكم، واشترى منكم القليل الفاني بالكثير الباقي، وهذا كتاب الله فيكم لا تفنى عجائبه، ولا يُطفأ نوره، فصدّقوا قوله، وانصحووا كتابه، واستبصروا فيه ليوم الظلمة، فإننا خلقكم للعبادة، ووكل بكم الكرام الكاتبين، يعلمون ما

تفعلون، ثم اعلموا عباد الله أنكم تغدون وتروحون في أجل قد غيب عنكم علمه، فإن استطعتم أن تنقضي الآجال وأنتم في عمل الله فافعلوا، ولن تستطيعوا ذلك إلا بالله، فسابقوا في مهل آجالكم قبل أن تنقضي آجالكم، فإردكم إلى أسوأ أعمالكم، فإن أقواماً جعلوا آجالهم لغيرهم، ونسوا أنفسهم، فأنهاكم أن تكونوا أمثالهم، الوحا الوح، النجا النجا، إن وراءكم طالباً حثيثاً، أمره سريع.

٢ - عن عمرو بن دينار، قال: خطب أبو بكر رضي الله تعالى عنه فقال: (أوصيكم بالله لفقركم وفاقتم أن تتقوه، وأن تشنوا عليه بما هو أهله، وأن تستغفروه، إنه كان غفاراً). فذكر نحو حديث عبد الله بن عكيم، وزاد: (واعلموا أنكم ما أخلصتم الله عز وجل فربكم أطعتم، وحقكم حفظتم، فأعطوا ضرائبكم في أيام سلفكم، واجعلوها نوافل بين أيديكم، تستوفوا سلفكم حين فقركم وحاجتكم، ثم تفكروا عباد الله فيمن كان قبلكم أين كانوا أمس، وأين هم اليوم. أين الملوك الذين كانوا أثاروا الأرض وعمروها؟ قد نسوا ونسي ذكرهم، فهم اليوم كلا شيء: (فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا) وهم في ظلمات القبور: (هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزاً) وأين من تعرفون من أصحابكم وإخوانكم؟ قد وردوا على ما قدموا، فحلوا الشقوة والسعادة، إن الله تعالى ليس بينه وبين أحد من خلقه نسب يعطيه به خيراً. ولا يصرف عنه سوءاً، إلا بطاعته وأتباع أمره، وأنه لا خير بخير بعده النار، ولا شر بشر بعده الجنة، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم).

٣ - عن نعيم بن نمحة، قال: كان في خطبة أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه: (أما تعلمون أنكم تغدون وتروحون في أجل معلوم). فذكر نحو حديث عبد الله بن عكيم، وزاد: (ولا خير في قول لا يراد به وجه الله تعالى، ولا خير في مال لا ينفق في سبيل الله عز وجل، ولا خير فيمن يغلب جهله حلمه، ولا خير فيمن يخاف في الله لومة لائم).

ثانياً - من مواضع عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

١ - ((رحم الله امرأً فكر في أمره)).

قال عمر رضي الله عنه: إنما الدنيا أمل مخترم، وأجل متقص، وبلاغ إلى دار غيرها، وسير إلى الموت ليس فيه تعريج، فرحم الله امرأً فكر في أمره، وصح نفسه، وراقب ربه، واستقال ذنبه.

٢ - ((أنت بخير ما اتقيت الله عز وجل)).

وقال له المغيرة: إنا بخير ما أبقاك الله. فقال: عمر: أنت بخير ما اتقيت الله.

٣ - ((إياكم وكثرة الطعام)).

وقال أيضاً: إياكم والبطننة فإنها مكسلة عن الصلاة، مفسدة للجسم، مؤدية إلى السقم، وعليكم بالقصد في قوتكم فهو أبعد من السرف، وأصح للبدن وأقوى على العبادة، وإن العبد لن يهلك حتى يؤثر شهوته على دينه.

٤ - ((اقرأوا القرآن تعرفوا به)).

وقال رضي الله عنه: اقرأوا القرآن تعرفوا به، واعملوا به تكونوا من أهله. إنه لن يبلغ من حق ذي حق أن يطاع في معصية الله عز وجل. إني أنزلت نفسي من مال الله عز وجل بمنزلة اليتيم، إن استغنيت عفت، وإن افتقرت أكلت بالمعروف.

٥ - ((من اتقى الله وقاه)).

وكتب إلى ابنه عبد الله: أما بعد.. فإنه من اتقى الله وقاه، ومن توكل على الله كفاه، ومن أقرضه جزاه، ومن شكره زاده.

فعليك بتقوى الله فإنه لا ثواب لمن لا نية له، ولا مال لمن لا رفق له، ولا جديد لمن لا خلق له.

٦ - ((إياك أن تهلك نفسك)).

ومن كتاب إلى أبي موسى: إياك يا عبد الله أن تكون بمنزلة البهيمة مرت بوادٍ خصبٍ، فلم يكن لها هم إلا السمن وإنما حثفها في السمن.

٧ - ((يحمل عني ذنوبي يوم القيامة)).

وكان يحمل الدقيق على ظهره إلى الفقراء، فقال له بعضهم: دعني أحمله عنك، فقال: ومن يحمل عني ذنوبي؟

٨ - ((اترك ما يبغضك في الموت)).

وقال: كل عمل كرهت من أجله الموت فاتركه، ثم لا يضرك متى مت.

٩ - ((قوا الله في رعاياكم)).

وقال: من زاغ زاغت رعيته، وأشقى الناس من شقيت به رعيته.
١٠ - ((طالب الدنيا وطالب الآخرة)).

وقال: الناس طالبان: فطالب يطلب الدنيا فافضوها في نحره، فإنه ربما أدرك الذي طلب منها فهلك بها أصاب منها، وربما فاته ما طلب منها فهلك بها فاته منها.
وطالب يطلب الآخرة، فإذا رأيتم م طالب الآخرة فنافسوه.
١١ - ((أريدوا الله بقراءتكم وأعمالكم)).

وقال أيضاً: أيها الناس إنه أتى عليّ حين وأنا أحسب أنه من قرأ القرآن إنما يريد به الله تعالى وما عنده، ألا وقد خيّل إليّ أخيراً أن أقواماً يقرؤون القرآن يريدون به ما عند الناس، ألا فأريدوا الله بقراءتكم وأريدوا الله بأعمالكم.

فإنما كنا نعرفكم إذ الوحي ينزل وإذ النبي بين أظهرنا، فقد رفع الوحي، وذهب النبي ﷺ وأنا أعرفكم بما أقول لكم.
ألا فمن أظهر لنا خيراً ظننا به خيراً وأثنينا عليه، ومن أظهر لنا شراً ظننا به شراً وأبغضناه عليه.

اقدعوا هذه النفوس عن شهواتها فإنها طلاعة تنزع إلى شر غاية.
إن هذا الحق ثقيل مريء، وإن الباطل خفيف وبيء، وترك الخطيئة خير من معالجة التوبة، ورب نظرة زرعت شهوة، ورب شهوة ساعة أورثت حزناً دائماً.
١٢ - ((وصية جامعة في المعاملات مع الآخرين)).

وقال رضي الله عنه: ما عاقبت من عصى الله فيك بمثل أن تطيع الله فيه.
ضع أمر أخيك على أحسنه، ولا تظن بكلمة خرجت من مسلم شراً وأنت تجد لها في الخير محملاً.

لا تهاونوا بالحلف فيهيئكم الله.

لا تعترض فيما لا يعينك، ولا تسأل عما لم يكن فإن فيما كان شغلاً.
اعتزل عدوك، واحذر صديقك إلا الأمين، والأمين من خشية الله.

تخشع عند القبور، وذل عند الطاعة، واستغفر عند المعصية، واستشر في أمورك الذين يخشون الله.

١٣ - ((العلم بالله يوجب الخشوع)).

العلم بالله يوجب الخشوع والخوف، وعدم الخوف دليل على تعطيل القلب من المعرفة. والخوف ثمرة العلم، والرجاء ثمرة اليقين.

ومن طمع في الجنة اجتهد في طلبها، ومن خاف من النار اجتهد في الهرب منها. وللحب علامات وللبغض علامات، فمن وجدناه يعمل عمل أهل الجنة استدللنا بعمله على يقينه، ومن وجدناه يعمل عمل أهل النار استدللنا بعمله على شكّه. ولو وجدنا رجلاً يستدير مكة ذاهباً، ثم زعم أنه يريد الحج لم نصدقه، ولو وجدناه يؤمها، ثم زعم أنه لا يريد لها لم نصدقه.

١٤ - ((يا ابن آدم لا يهلك الناس عن نفسك)).

وقال أيضاً: يا ابن آدم لا يهلك الناس عن نفسك، فإن الأمر يخلص إليك دونهم. ولا تقطع النهار سارباً فإنه محفوظ عليك ما عملت. وإذا أسأت فأحسن فإنني لم أر شيئاً أشد طلباً ولا أسرع دركاً من حسنة حديثة لذنب قديم.

١٥ - ((ثلاث من الفواق)).

وقال رضي الله عنه: ثلاث من الفواق: جار مقامة، إن رأى حسنة دفنها، وإن رأى سيئة أذاعها. وامرأة إن دخلت إليها لستك أي آذتك بلسانها، وإن غبت عنها لم تأمنها. وسلطان إن أحسنت لم يحمذك، وإن أسأت قتلك.

١٦ - ((الرجال ثلاثة والنساء ثلاثة)).

وقال رضي الله عنه: الرجال ثلاثة، والنساء ثلاثة: فامرأة عفيفة مسلمة هينة لينة ودود ولود تعين أهلها على الدهر، ولا تعين على أهلها وقلما تجدها. وأخرى وعاء للولد لا تزيد على ذلك شيئاً. وأخرى غُلٌّ قَمِلٌ يجعلها الله في عنق من يشاء.

والرجال ثلاثة: رجل عاقل إذا أقبلت الأمور واشتبهت تأمل فيها أمره ونزل عند رأيه. وآخر ينزل به الأمر فلا يعرفه فيأتي ذوي الرأي، فينزل عند رأيهم. وآخر حائر بائر لا يأتمر رشداً، ولا يطيع مرشداً.

١٧ - ((كن وسطاً في الحب والبغض)).

وقال رضي الله عنه: لا يكن حبك كلفاً، ولا بغضك تلفاً.

١٨ - ((مالك لا تنام بالليل)).

قيل لعمر بن الخطاب رضي الله عنه: مالك لا تنام بالليل؟

فقال: لئن نمت بالليل لأضيعن نفسي، ولئن نمت بالنهار لأضيعن الرعية.

١٩ - ((لا تصغرن هممكم)).

وقال رضي الله عنه: لا تصغرن هممكم فإني لم أر شيئاً أقعد بالرجل من سقوط همته.

٢٠ - ((خصال الإيمان)).

٢١ - وقال رضي الله عنه: ثلاث خصال من لم تكن فيه لم ينفعه الإيمان:

- حلم يرد به جهل الجاهل.

- وورع يحجزه عن المحارم.

- وخلق يداري به الناس.

٢٢ - ((وصيته لجيوشه رضي الله عنه)).

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول عند عقد الألوية:

بسم الله، وبالله، وعلى عون الله، امضوا بتأييد الله والنصر، ولزوم الحق والصبر، فقاتلوا في

سبيل الله من كفر بالله، ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين. ولا تجبنوا عند اللقاء، ولا تغفلوا

عند القدرة، ولا تسرفوا عند الظهور.

ولا تقتلوا هراً ولا امرأة ولا وليداً، توقوا قتلهم إذا التقى الزحفان وعند شن الغارات.

٢٣ - ((إياكم والعجب)).

وروي أن عمر رضي الله عنه خرج وعلى ظهره قربة، فقيل له: يا أمير المؤمنين ما هذا؟ قال:

إن نفسي أعجبتني فأحببت أن أذها.

٢٤ - ((اكتم سرّك)).

وقال رضي الله عنه: من كتم سره كان الخيار في يده.

٢٥ - ((عليك بإخوان الصدق)).

وقال رضي الله عنه: عليك بإخوان الصدق تعش في أكنافهم، فإنهم زينة في الرخاء وعدة في البلاء.

٢٦ - ((ما يثبت الود في صدر أخيك)).

وقال رضي الله عنه: ثلاث يثبتن لك الود في صدر أخيك:

- أن تبدأه بالسلام.

- وتوسع له في المجلس.

- وتدعوه بأحب أسمائه.

٢٨ - ((كفى بالمرء شراً)).

وقال رضي الله عنه: حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا نفوسكم قبل أن توزنوا، أهون عليكم في الحساب غداً، أن تحاسبوا أنفسكم اليوم. وتزينوا للعرض الأكبر: {يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية}.

٣٠ - ((من كثر ضحكك قلت هيئته)).

وعن الأحنف بن قيس قال: قال عمر: يا أحنف من كثر ضحكك قلت هيئته، ومن مزح استخف به، ومن أكثر من شيء عرف به.

ومن كثر كلامه كثر سقطه، ومن كثر سقطه، قلّ حياؤه، ومن قلّ حياؤه، ومن قلّ حياؤه قلّ روعه، ومن قلّ روعه مات قلبه.

٣٢ - ((لا تلومن إلا نفسك)).

وقال رضي الله عنه: ثلاثة من الغي: أن تجد على الناس فيما تأتي.

وأن ترى من أخيك، أو من الناس ما يخفى عليك من نفسك.

وأن تؤذي جليسك فيما يعينك.

٣٣ - ((الرجل في أهله)).

وقال رضي الله عنه: إني أحب أن تكون الرجل في أهله كالصبي، فإذا احتيج إليه كان رجلاً.

٣٤ - ((لا تكثروا الدخول على أهل الدنيا)).

وقال رضي الله عنه: يا معشر المهاجرين، لا تكثروا الدخول على أهل الدنيا، فإنها مسخطة للرزق.

٣٥ - ((السعي للآخرة)).

وقال رضي الله عنه: التؤدة في كل شيء خير، إلا ما كان من أمر الآخرة.

٣٦ - ((الطمع فقر)).

وقال رضي الله عنه: تعلموا أن الطمع فقر، وأن اليأس غنى، وأن المرء إذا يئس من شيء، استغنى عنه.

وقال: (جالسوا التوايين، فإنهم أرق أفئدة).

٣٧ - ((الهم من آثار الذنوب والمعاصي)).

وقال رضي الله عنه: إذا كان الرجل مقصراً في العمل، ابتلي بالهم ليكفر عنه.

٣٨ - ((لا تذلو لأصحاب الدنيا)).

وقال رضي الله عنه: لا ينبغي لمن أخذ بالتقوى، ووزن بالورع، أن يذل لصاحب الدنيا.

٣٩ - ((ذكر الله شفاء)).

وقال رضي الله عنه: عليكم بذكر الله، فإنه شفاء، وإياكم وذكر الناس، فإنه داء.

٤٠ - ((عليكم ببعض العزلة)).

وقال رضي الله عنه: خذوا بحظكم من العزلة.

٤١ - ((يا طالب الآخرة)).

وقال رضي الله عنه: احذر أن تجعل لك كثير حظ من أمر دنياك، إذا كنت ذا رغبة في أمر آخرتك.

٤٢ - ((ويل لمن لم يقض بالعدل)).

وقال رضي الله عنه: ويل لديان من في الأرض، من ديان من في السماء يوم القيامة يوم يلقونه إلا من أمر بالعدل، وقضى بالحق ولم يقض على هوى، ولا قرابة، ولا رغب ولا رهب، وجعل كتاب الله مرآة بين عينيه.

٤٣ - ((إياكم أن تضيعوا الصلاة)).

وقال رضي الله عنه: إذا رأيتم الرجل، يضيع من الصلاة، فهو لغيرها من حق الله أشد تضييعاً.

٤٤ - ((الزهد في الدنيا)).

وقال رضي الله عنه: الزهد في الدنيا، راحة القلب والبدن.

٤٥ - ((حقوق الراعي على الرعية)).

وقال رضي الله عنه: أيتها الرعية إن لنا عليكم حقاً، النصيحة بالغيب، والمعونة على الخير، وأنه ليس شيء أحب إلى الله، من حلم إمام ورفقة، وليس شيء أبغض إلى الله، من جهل إمام وخرقه.

٤٦ - ((تعلموا العلم والحلم والسكينة)).

وقال رضي الله عنه: تعلموا العلم وتعلموا للسكينة والحلم، وتواضعوا لمن تعلمون، وتواضعوا لمن تعلمون منه، ولا تكونوا جبابرة العلماء، فلا يقوم علمكم بجهلكم.

٤٧ - ((تفقهوا أولاً)).

وقال رضي الله عنه: تفقهوا قبل أن تسودوا.

٤٨ - ((أعقل الناس)).

وقال رضي الله عنه: أعقل الناس، أعذرهم لهم.

٤٩ - ((إياكم والمعاذير)).

وقال رضي الله عنه: إياكم والمعاذير، فإن كثيراً منها كذب.

٥٠ - ((لا يتعلم العلم لثلاث)) .

وقال رضي الله عنه: لا يتعلم العلم لثلاث، ولا يترك لثلاث: لا يتعلم ليمارى به، ولا يباهى به، ولا يرائى به.

ولا يترك حياءً من طلبه، ولا زهادة فيه، ولا رضاً بالجهل منه.

٥٠ - ((أخاف عليكم من المنافقين)) .

وقال رضي الله عنه: ما أخاف عليكم أحد رجلين: مؤمن قد تبين إيمانه، وكافر قد تبين كفره. إنما أخاف عليكم منافقاً، يتعوذ بالإيمان ويعمل بغيره.

٥١ - ((ما يهدم الإسلام)) .

وقال رضي الله عنه: يهدم الإسلام: زلة عالم، وجدال منافق بالقرآن، وأئمة مضلون.

٥٢ - ((عليكم بالنفقة في الدين)) .

وقال رضي الله عنه: عليكم بالنفقة في الدين، وحسن العبادة والتفهم في العربية. وقال أيضاً: تعلموا العربية، فإنها تثبت القلوب، وتزيد في المروءة.

٥٣ - ((لا تغتروا بالناس حتى تجربوهم)) .

وقال رضي الله عنه: لا يعجبنكم من الرجل طنطنته، ولكن من أدى الأمانة إلى من ائتمنه، ومن سلم الناس من يده ولسانه.

وقال أيضاً رضي الله عنه: لا تنظروا إلى صيام أحد ولا صلاته، ولكن انظروا إلى صدق حديثه إذا حدث، وأمانته إذا ائتمن، وورعه إذا أشفى.

٥٤ - ((حسب المرء دينه)) .

وقال رضي الله عنه: حسب المرء دينه، وأصله عقله، ومروءته خلقه.

٥٥ - ((إعجاب المرء برأيه)) .

وقال رضي الله عنه: أخوف ما أخاف عليكم، إعجاب المرء برأيه، فمن قال: أنه عالم، فهو جاهل، ومن قال أنه في الجنة فإنه في النار.

٥٦ - ((وصيته في أدب القضاء)) .

وقد كتب عمر رضي الله عنه إلى أبي موسى الأشعري كتاباً في أدب القضاء جاء فيه:

(أما بعد.. فإن القضاء فريضة محكمة، وسنة متبعة، فافهم إذا أدلي إليك، فإنه لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ له، وآسي بين الناس في مجلسك ووجهك وعدلك حتى لا يطمع شريف في حقك، ولا ييأس ضعيف من عدلك.

البينة على المدعي واليمين على من أنكر، والصلح بين المؤمنين جائز إلا صلحاً أحلّ حراماً، أو حرّم حلالاً.

لا يمنحك قضاء قضيته اليوم، فراجعت فيه عقلك وهديت فيه رشذك أن ترجع إلى الحق، فإن الحق قديم، ومراجعة الحق خير من التهادي في الباطل.

الفهم الفهم فيما يتلجج في صدرك مما ليس في كتاب ولا سنة، ثم اعرف الأمثال والأشباه فقس الأمور عند ذلك بنظائرها، واعمد إلى أقربها إلى الله عز وجل وأشبهها بالحق، واجعل لمن ادعى حقاً غائباً أو بينة أمدأ ينتهي إليه، فإن أحضر بيته أخذت له بحقه، وإلا استحالت عليه القضية، فإنه أخفى للشك وأجلى للعمى.

المسلمون عدول بعضهم على بعض إلا مجلوداً في حدّ أو مجرباً عليه شهادة زور، أو ظنياً في ولاء أو نسب، فإن الله تولى منكم السرائر ودرأ بالبينات والأيمان.

وإياك والقلق والضجر والتأذي بالخصوم والتنكر عند الخصومات، فإن الحق في مواطن الحق يُعظّم الله به الأجر ويحسن به الذخر، فمن صحت نيته وأبل على نفسه كفاه الله ما بينه وبين الناس، ومن تخلق للناس بما يعلم الله أنه ليس من نفسه، شانه الله، فما ظنك بشواب الله في عاجل رزقه وخزائن رحمته؟!).

٥٧ - لا تنظروا إلى صيام أحد ولا إلى صلاته ولكن انظروا من إذا حدّث صدق وإذا اتّمتن أدّى.

٥٨ - ليس خيركم من عمل للأخرة وترك الدنيا، أو عمل للدنيا وترك الآخرة، ولكن خيركم من أخذ من هذه وهذه، وإنما الحرج في الرغبة فيما تجاوز قدر الحاجة وزاد على حد الكفاية.

٥٩ - رأى الفاروق رجلاً مظهراً للنسك متهاوت المشية فخفقه بالدرّة وقال له: لا تمت علينا ديننا أماتك الله.

٦٠ - نظر الفاروق إلى شاب منكس الرأس فصاح به: ارفع رأسك فإن الخشوع لا يزيد على ما في القلب، فمن أظهر للناس خشوعاً فوق ما في قلبه فإنما أظهر للناس نفاقاً إلى نفاق.

٦١ - إن المتوكل الذي يُلقَى حبة في الأرض ويتوكل على الله.. ولا يقعد أحدكم عن طلب الرزق ويقول: اللهم ارزقني وقد علم أن السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة، وإن الله يرزق الناس بعضهم من بعض.

٦٢ - وقال في الحث على طلب التدين في الصديق: عليك بإخوان الصدق تعش في أكنافهم، فإنهم زينة في الرخاء، وعدة في البلاء، وضع أمر أخيك على أحسنه حتى يجيئك ما يغلبك منه، واعتزل عدوك، واحذر صديقك إلا الأمين من القوم، ولا أمين إلا من خشي الله فلا تصحب الفاجر فتتعلم من فجوره ولا تطلعه على شرك واستشر في أمرك الذين يخشون الله تعالى.

٦٣ - لا تلهك الناس عن نفسك فإن الأمر يصير إليك دونهم، ولا تقطع النهار سارباً، فإنه محفوظ عليك ما عملت وإذا أسأت فأحسن فإنني لا أرى شيئاً أشد طلباً ولا أسرع دركة من حسنة حديثه لذنب قديم.

٦٤ - من كثر ضحكته قلت هيئته، ومن مزح استخف به، ومن كثر كلامه كثر سقطه، ومن كثر سقطه قلَّ حياؤه ومن قلَّ حياؤه قلَّ ورعه ومن قلَّ ورعه مات قلبه.

٦٥ - ما من أحد عنده نعمة إلا وجدت لها حاسداً، ولو كان المرء أقوم من القدح لوجدت له غامزاً.

٦٦ - لا تظن بكلمة خرجت من مسلم شراً وأنت تجد لها في الخير محملاً، ومن عرض نفسه للتهم فلا يلومنَّ من أساء به الظن، ومن كتم سره كانت الخيرة في يده، ولا تطلبن حاجتك ممن لا يحب نجاحها، ولا تتهاون بالحلف الكاذب فيهلكك الله، وعليك بالصدق وإن قتلك.

ثالثاً- من مواعظ عثمان بن عفان (ذي النورين) رضي الله عنه وأرضاه:

١ - أربعة ظاهرهن فضيلة، وباطنهن فريضة: مخالطة الصالحين فضيلة والافتداء بهم فريضة، وتلاوة القرآن فضيلة والعمل به فريضة، وزيارة القبور فضيلة والاستعداد لها فريضة، وعبادة المريض فضيلة واتخاذ الوصية فريضة.

٢ - لو طهرت قلوبكم ما شبت من كلام الله وما أحسب أن يأتي عليّ يوم وليلة إلا أنظر في كلام الله.

٣ - لو أنني بين الجنة والنار ولا أدري إلى أيهما يؤمر بي لاخترت أن أكون رماداً قبل أن أعلم إلى أيتهما أصير.

٤ - سئل عثمان: ما منعك من شرب الخمر في الجاهلية ولا حرج عليك فيها. قال: إني رأيتها تذهب العقل جملة وما رأيت شيئاً يذهب جملة ويعود جملة.

٥ - إني لأكره أن يأتي عليّ يوم لا أنظر فيه إلى عهد الله.

٦ - كان عثمان إذا وقف على قبر بكى حتى يبّلّ لحيته فقيل له:

تذكر الجنة والنار فلا تبكي وتبكي من هذا؟ قال: إن رسول الله ﷺ قال: {القبر أول منازل الآخرة فإن نجا منه العبد فما بعده أيسر منه وإن لم ينج منه فما بعده أشد منه}.

٧ - أيها الناس اتقوا الله فإن تقوى الله غنم وإن أكيس الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت واكتسب من نور الله نوراً لظلمة القبر وليخش عبد أن يحشره الله أعمى وقد كان بصيراً واعلموا أنه من كان الله له لم يخف شيئاً ومن كان الله عليه فمن يرجو بعده.

رابعاً - من مواعظ علي بن أبي طالب رضي الله عنه

١ - كان كثيراً ما يقول إذا فرغ من صلاة الليل: أشهد أن السموات والأرض وما بينهما آيات تدل عليك وشواهد تشهد بما إليه دعوت كل ما يؤدي عنك الحجة ويشهد لك بالربوبية موسوم بآثار نعمتك ومعالم تدبيرك علوت بها عن خلقك فأوصلت إلى القلوب من معرفتك ما آنسها من وحشة الفكر وكفاها رجم الاحتجاج، فهي مع معرفتها بك وولها إليك شاهدة بأنك لا تأخذك الأوهام ولا تدركك العقول ولا الأبصار أعوذ بك أن أشير بقلب أو لسان أو يد إلى غيرك لا إله إلا أنت واحداً واحداً فرداً صمداً ونحن لك مسلمون.

٢ - إلهي كفاني فخراً أن تكون لي رباً وكفاني عزاً أن أكون لك عبداً أنت كما أريد فاجعلني كما تريد.

٣ - من علامات المأمون على دين الله بعد الإقرار والعمل الحزم في أمره والصدق في قوله والعدل في حكمه والشفقة على رعيته لا تخرجه القدرة إلى خرق ولا اللين إلى ضعف ولا تمنعه

العزة من كرم عفو ولا يدعو العفو إلى إضاعة حق ولا يدخله الإعطاء في سرف ولا يتخطى به القصد إلى بخل ولا تأخذه نعم الله بيطر.

٤ - رحم الله عبداً اتقى ربه وناصح نفسه وقدم توبته وغلب شهوته فإن أجله مستور عنه وأمله خادع له والشيطان موكل به.

٥ - مر علي رضي الله عنه بمقبرة فقال: السلام عليكم يا أهل الديار الموحشة والمحال المقفرة من المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات أنتم لنا فرط ونحن لكم تبع، نزوركم عما قليل ونلحق بكم بعد زمان قصير اللهم اغفر لنا ولهم وتجاوز عنا وعنهم الحمد لله الذي جعل الأرض كفاتاً أحياء وأمواتاً والحمد لله الذي خلقنا وعليها ممشانا وفيها معاشنا وإليها يعيدنا، طوبى لمن ذكر المعاد وقنع بالكفاف وأعد للحساب.

٦ - إنكم مخلوقون اقتداراً ومربوبون اقتساراً ومضمنون أجداناً وكائنون رفاتاً ومبعوثون أفراداً ومدنيون حساباً فرحم الله امرأً اقترف فاعترف ووجل فعقل وحاذر فبادر، وعُمّر فاعتبر وحذر فازدجر وأجاب فأناجى وراجع فتاب، واقتدى فاحتذى وتأهب للمعاد واستظهر بالزاد ليوم رحيله ووجه سبيله وحال حاجته وموطن فاقتته فقدم أمامه لدار مقامه فمهّدوا لأنفسكم على سلامة الأبدان وفسحة الأعمار، فهل ينتظر أهل غضارة الشباب إلا حواني الهرم وأهل بضاضة الصحة إلا نوازل السقم وأهل مدة البقاء إلا مفاجأة الفناء واقتراب الفوت ومشاركة الانتقال وإشفاء الزوال وحفز الأئين ورشح الجيين وامتداد العرين وعلز القلق وقيظ الرمق وشدة المضض وغصص الجرض.

٧ - إن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه ولا يرد القدر إلا الدعاء ولا يزيد في العمر إلا البر، ولا يزول قدم ابن آدم يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيم أفناه وعن شبابه فيم أبلاه وعن ماله من أين اكتسبه؟ وفيم أنفقه؟ وعمّا عمل فيما علم؟

٨ - بحسب مجاهدة النفوس وردّها عن شهواتها ومنعها عن مصافحة لذاتها ومنع ما أدت إليه العيون الطامحة من لحظاتها تكون المثوبات والعقوبات، والحازم من ملك هواه فكان بملكه له قاهراً ولما قدحت الأفكار من سوء الظنون زاجراً فمتى لم ترد النفس عن ذلك هجم عليها الفكر بمطالبة ما شغفت به فعند ذلك تأنس بالآراء الفاسدة والأطعاع

الكاذبة والأمانى المتلاشية، وكما أن البصر إذا اعتل رأى أشباحاً وخيالات لا حقيقة لها، كذلك النفس إذا اعتلت بحب الشهوات وانطوت على قبيح الإرادات رأت الآراء الكاذبة، فإلى الله سبحانه نرغب في إصلاح ما فسد من قلوبنا وبه نستعين على إرشاد نفوسنا فإن القلوب بيده يصرفها كيف شاء.

٩ - لا تؤاخين الفاجر فإنه يزين لك فعله ويود لو أنك مثله، ويحسن لك أقبح خصاله ومدخله ومخرجه من عندك شين وعار ونقص، ولا الأحمق فإنه يجهد لك نفسه ولا ينفعك وربما أراد أن ينفعك فضرك سكوته خير لك من نطقه وبعده خير لك من قربه وموته خير لك من حياته، ولا الكذاب فإنه لا ينفعك معه شيء ينقل حديثك وينقل.

١٠ - من جمع ست خصال لم يدع للجنة مطلباً ولا عن النار مهرباً من عرف الله فأطاعه وعرف الشيطان فعصاه وعرف الحق فاتبعه وعرف الباطل فاتقاه وعرف الدنيا فرفضها وعرف الآخرة فطلبها.

١١ - إياك والشهوات وليكن مما تستعين به على كفها علمك بأنها ملهية لعقلك مهجنة لرأيك شائنة لغرضك شاغلة لك عن معازم أمورك مشتدة بها التبعة عليك في آخرتك، إنما الشهوات لعب فإذا حضر اللعب غاب الجهد، ولن يقام الدين وتصلح الدنيا إلا بالجد فإذا نازعتك نفسك إلى اللهو واللذات فاعلم أنها قد نزعت بك إلى شر منزع وأرادت بك أفضح الفضوح فغالبا مغالبة ذلك، وامتنع منها امتناع ذلك وليكن مرجعك منها إلى الحق، فإنك مهما ترك من الحق لا تتركه إلا إلى الباطل ومهما تدع من الصواب لا تدعه إلا إلى الخطأ فلا تدهنن هواك في اليسير فيطمع منك في الكثير، وليس شيء مما أوتيت فاضلاً عما يصلحك وليس لعمرك وإن طال فضل عما ينوبك من الحق اللازم لك ولا ببالك وإن كثر فضل عما يجب عليك فيه ولا بقوتك وإن تمت فضل عن أداء حق الله عليك، ولا برأيك وإن حزم فضل عما لا تعذر بالخطأ فيه فليمنعك علمك بذلك من أن تطيل لك عمراً في غير نفع أو تضيع لك مالا في غير حق أو أن تصرف لك قوة في غير عبادة أو تعدل لك رأياً في غير رشد فالحفظ الحفظ لما أوتيت فإن بك إلى صغير ما أوتيت الكثير منه أشد الحاجة، وعليك بما أضعته منه أشد الرزية ولا سيما العمر الذي كل منفذ سواه مستخلف، وكل ذاهب بعده مرتجع فإن كنت

شاغلاً نفسك بلذة فلتكن لذتك في محادثة العلماء ودرس كتبهم فإنه ليس سرورك بالشهوات بالغاً منك مبلغاً إلا وإكبابك على ذلك ونظرك فيه بالغه منك غير أن ذلك يجمع إلى عاجل السرور تمام السعادة وخلاف ذلك يجمع إلى عاجل الغي وخامة العاقبة، وقديماً قيل: أسعد الناس أدرکهم لهواه إذا كان هواه في رشده فإذا كان هواه في غير رشده فقد شقي بما أدرك منه وقديماً قيل: عود نفسك الجميل فباعتيادك إياه يعود لذيداً.

١٢ - ينبغي للوالي أن يعمل بخصال ثلاث: تأخير العقوبة منه في سلطان الغضب والأناة فيما يرتئيه من رأي وتعجيل مكافأة المحسن بالإحسان فإن في تأخير العقوبة إمكان العفو وفي تعجيل المكافأة بالإحسان طاعة الرعية، وفي الأناة انفساح الرأي وحمد العاقبة ووضوح الصواب.

١٣ - من حق العالم على المتعلم ألا يكثر عليه السؤال ولا يعتنه في الجواب ولا يلح عليه إذا كسل ولا يفشي له سرّاً، ولا يغتاب عنده أحداً ولا يطلب عثرته فإذا زل تأنيت أوبته وقبلت معذرتة وأن تعظمه وتوقره ما حفظ أمر الله وعظمه، وألا تجلس أمامه وإن كانت له حاجة سبقت غيرك إلى خدمته فيها ولا تضرجن من صحبته فإنما هو بمنزلة النخلة ينتظر متى يسقط عليك منها منفعة وخصه بالتحية واحفظ شاهده وغائبة وليكن ذلك كله لله عز وجل فإن العالم أفضل من الصائم القائم المجاهد في سبيل الله، وإذا مات العالمُ ثلم في الإسلام ثلمة لا يسدها إلا خلف منه وطالب العلم تشيعه الملائكة حتى يرجع.

١٤ - الحياء لباس سابغ وحياب مانع وستر من المساوئ واق وحليف للدين وموجب للمحبة وعين كائلة تذود عن الفساد وتنهي عن الفحشاء والعجلة في الأمور مكسبة للمذلة وزمام للندامة وسلب للمروءة وشين للحجى ودليل على ضعف العقيدة.

١٥ - إن حسدك أخ من إخوانك على فضيلة ظهرت منك فسعى في مكروهك فلا تقابله بمثل ما كافحك به فتعذر نفسه في الإساءة إليك وتشرع له طريقاً إلى ما يحبه فيك، لكن اجتهد في التزید من تلك الفضيلة التي حسدك عليها فإنك تسوءه من غير أن توجد حجة عليك.

١٦ - لا يعرف الفضل لأهل الفضل إلا أولو الفضل.

١٧ - إن لله عبادةً في الأرض كأنما رأوا أهل الجنة في جنتهم وأهل النار في نارهم اليقين وأنواره لامعة على وجوههم قلوبهم محزونة وشرورهم مأمونة وأنفسهم عفيفة وحوائجهم خفيفة صبروا أياماً قليلة لراحة طويلة، أما الليل فصافون أقدامهم تجري دموعهم على خدودهم يجأرون إلى الله سبحانه بأدعيتهم قد حلا في أفواههم وحلا في قلوبهم طعم مناجاته ولذيذ الخلوة به، قد أقسم الله على نفسه بجلال عزته ليورثنهم المقام الأعلى في مقعد صدق عنده، وأما نهارهم فحلماً علماء بررة أتقياء كالقداح ينظر إليهم الناظر فيقول مرضى وما بالقوم من مرض أو يقول قد خولطوا ولعمري لقد خالطهم أمر عظيم جليل.

١٨ - المؤمن إذا نظر اعتبر وإذا سكت تفكر وإذا تكلم ذكر، وإذا استغنى شكر وإذا أصابته شدة صبر، فهو قريب الرضا بعيد السخط يرضيه عن الله اليسير ولا يسخطه البلاء الكثير قوته لا تبلغ به ونيته تبلغ مغموسة في الخير يده ينوي كثيراً من الخير ويعمل بطائفة منه، ويتلهف على ما فاته من الخير كيف لم يعمل به والمنافق إذا نظر لها، وإذا سكت سها وإذا تكلم لغا وإذا أصابه شدة شكاً، فهو قريب السخط بعيد الرضا يسخطه على الله اليسير ولا يرضيه الكثير قوته تبلغ ونيته لا تبلغ مغموسة في الشر يده ينوي كثيراً من الشر ويعمل بطائفة منه فيتلهف على ما فاته من الشر كيف لم يأمر به وكيف لم يعمل به على لسان المؤمن نور يسطع وعلى لسان المنافق شيطان ينطق.

١٩ - احذروا الكلام في مجالس الخوف فإن الخوف يذهل العقل الذي منه نستمد ويشغله بحراسة النفس عن حراسة المذهب الذي نروم نصرته، واحذر الغضب ممن يحملك عليه فإنه مميت للخواطر مانع من التثبت واحذر من تبغضه فإن بغضك له يدعوك إلى الضجر به، وقليل الغضب كثير في أذى النفس والعقل والضجر مضيق للصدر مضعف لقوى العقل واحذر المحافل التي لا إنصاف لأهلها في التسوية بينك وبين خصمك في الإقبال والاستماع، ولا أدب لهم يمنعهم من جور الحكم لك وعليك واحذر حين تظهر العصبية لخصمك بالاعتراض عليك وتشديد قوله وحجته فإن ذلك يهيج العصبية والاعتراض على هذا الوجه يخلق الكلام ويذهب بهجة المعاني، واحذر كلام من لا يفهم عنك فإنه يضجرك واحذر استصغار الخصم فإنه يمنع من التحفظ ورب صغير غلب كبيراً.

٢٠ - أخذ رسول الله ﷺ بيدي فهزها وقال: ما أول نعمة أنعم الله بها عليك قلت: أن خلقتني حياً وأقدرني وأكمل حواسي ومشاعري وقواي. قال: ثم ماذا قلت: أن جعلني ذكراً ولم يجعلني أنثى. قال: والثالثة قلت: أن هداني للإسلام قال: والرابعة قلت: وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها.

٢١ - طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس طوبى لمن لا يعرف الناس ولا يعرفه الناس، طوبى لمن كان حياً كميئ وموجوداً كمعدوم قد كفى جاره خيره وشره لا يسأل عن الناس ولا يسأل الناس عنه.

٢٢ - احذر كل الحذر أن يخدعك الشيطان فيمثل لك التواني في صورة التوكل ويورثك الهوينى بالإحالة على القدر فإن الله أمر بالتوكل عند انقطاع الحيل وبالتسليم للقضاء بعد الإعذار فقال: (خُذُوا حِذْرَكُمْ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ) وقال النبي ﷺ: اعقلها وتوكل.

٢٣ - إياك ومشاورة النساء فإن رأين إلى أفن وعزمهن إلى وهن واكفف من أبصارهن بحجابك إياهن فإن شدة الحجاب خير لك من الارتياب، وليس خروجهن بأشد عليك من دخول من لا تثق به عليهن وإن استطعت ألا يعرفن غيرك فافعل، ولا تمكن امرأة من الأمر ما جاوز نفسها فإن ذلك أنعم لبالها وأرعى لحالها وإنما المرأة ريحانة وليست بقهرمانة فلا تعد بكرامتها نفسها، ولا تعطها أن تشفع لغيرها ولا تطل الخلوة معهن فيملنك وتملهن، واستبق من نفسك بقية فإن إمساكك عنهن وهن يردنك ذلك باقتدار خير من أن يهجمن منك على انكسار، وإياك والتغاير في غير موضع الغيرة فإن ذلك يدعو الصحيحة منهن إلى السقم.

٢٤ - حصّن علمك من العجب ووقارك من الكبر وعطاءك من السرف وصرامتك من العجلة وعقوبتك من الإفراط وعفوك من تعطيل الحدود وصمتك من العي واستماعك من سوء الفهم واستئناسك من البذاء وخلواتك من الإضاعة وغراماتك من اللجاجة وروغانك من الاستسلام وحذراتك من الجبن.

٢٥ - احذر من أصحابك ومخالطيك الكثير المسألة الخشن البحث اللطيف الاستدراج الذي يحفظ أول كلامك على آخره ويعتبر ما أخرت بها قدمت، ولا تظهرن له المخافة فيرى

أنك قد تحرزت وتحفظت واعلم أن من يقظة الفطنة إظهار الغفلة مع شدة الحذر فخالط هذا مخالطة الآمن، وتحفظ منه تحفظ الخائف فإن البحث يظهر الخفي ويبدى المستور الكامن.

٢٦ - يقول الله تعالى: يا ابن آدم لم أخلقك لأربح عليك إنما خلقتك لتربح عليّ فاتخذني بدلاً من كل شيء، فإني ناصر لك من كل شيء.

٢٧ - أسألك بعزة الوجدانية وكرم الإلهية ألا تقطع عني برك بعد مماتي كما لم تنزل تراني أيام حياتي أنت الذي نجيب من دعائك ولا تخيب من رجائك، ضل من يدعو إلا إياك فإنك لا تحجب من أتك وتفضل على من عصاك ولا يفوتك من ناواك ولا يعجزك من عاداك كل في قدرتك وكل يأكل رزقك.

٢٨ - العاقل ينافس الصالحين ليلحق بهم ويجهم ليشاركهم بمحبته وإن قصر عن مثل عملهم، والجاهل يذم الدنيا ولا يسخو بإخراج أقلها يمدح الجود ويبخل بالبذل يتمنى التوبة بطول الأمل ولا يعجلها لخوف حلول الأجل يرجو ثواب عمل لم يعمل به، ويفر من الناس ليطلب ويخفي شخصه ليشتهر ويذم نفسه ليمدح وينهى عن مدحه وهو يجب ألا ينتهي من الثناء عليه.

٢٩ - من الناس من ينقصك إذا زدته ويهون عليك إذا خاصصته ليس لرضاه موضع تعرفه ولا لسخطه مكان تحذره فإذا لقيت أولئك فابذل لهم موضع المودة العامة واحرمهم موضع الخاصة ليكون ما بذلت لهم من ذلك حائلاً دون شرهم وما حرمتهم من هذا قاطعاً لحرمتهم.

٣٠ - يا عبيد الدنيا كيف تخالف فروعكم أصولكم وعقولكم أهواءكم قولكم شفاء يبرئ الداء وعملكم داء لا يقبل الدواء ولستم كالكرمة التي حسن ورقها وطاب ثمرها وسهل مرتقاها، ولكنكم كالشجرة التي قلّ ورقها وكثر شوكتها وخبث ثمرها وصعب مرتقاها، جعلتم العلم تحت أقدامكم والدنيا فوق رؤوسكم فالعلم عندكم مذال ممتهن والدنيا لا يستطيع تناؤها فقد منعمتم كل أحد من الوصول إليها فلا أحرار كرام أنتم ولا عبيد أتقياء، ويحكم يا أجراء السوء، أما الأجر فتأخذون وأما العمل فلا تعملون إن عملتم فللعمل

تفسدون وسوف تلقون ما تفعلون، يوشك رب العمل أن ينظر في عمله الذي أفسدتم وفي أجره الذي أخذتم يا غرماء السوء.

٣١ - عن كميل بن زياد النخعي، قال: كنت مع أمير المؤمنين عليه السلام في مسجد الكوفة وقد صلينا العشاء الآخرة، فأخذ بيدي حتى خرجنا من المسجد فمشى حتى خرج إلى ظهر الكوفة ولا يكلمني بكلمة، فلما أصحرت نفس، ثم قال: يا كميل إن هذه القلوب أوعية فخيرها أوعاها، احفظ عني ما أقول: الناس ثلاثة: عالم رباني، ومتعلم على سبيل نجاة، وهمج رعاع، أتباع كناعق، يميلون مع كل ريح لم يستضيئوا بنور العلم، ولم يلجئوا إلى ركن وثيق. يا كميل! العلم خير من المال، العلم يحرسك، وأنت تحرس المال، والمال.

يا كميل، منفعة المال تزول بزواله. يا كميل، مات خزان المال والعلماء باقون ما بقي الدهر، أعيانهم مفقودة، وأمثالهم في القلوب موجودة.

الباب الخامس

الفصل السادس

المناظرات في العهد الراشدي

أ - المناظرات:

حوار بين اثنين أو جماعتين يقوم على الجدل العقلي القائم على مبادئ عقلية يسلم بها الخصم نفسه، ثم يوظفها في إقناعه برأيه أو وجهة نظره أو عقيدته التي يؤمن بها، ومن أهم الحوارات في هذا المجال:

١ - حوار النبي ﷺ مع المشركين.

٢ - الحوار بين المهاجرين والأنصار.

ومن ميزاته:

١ - البلاغة في القول.

٢ - التلطف في عرض الحجج.

٣ - عرض الحجج بشكل مؤثر.

٤ - قد يطول الكلام ويقصر في المناظرة بحسب الحال.

ب - نماذج من المناظرات في العهد الراشدي

١ - مناظرة الأحنف بين يدي عمر بن الخطاب:

قدم الأحنف بن قيس التميمي على عمر بن الخطاب في أهل البصرة وأهل الكوفة فتكلموا عنده في أنفسهم وما ينوب كل واحد منهم، وتكلم الأحنف فقال: يا أمير المؤمنين إن مفاتيح الخير بيد الله وقد أتتك وفود أهل العراق وإن إخواننا من أهل الكوفة والشام ومصر نزلوا منازل الأمم الخالية والملوك الجبابرة ومنازل كسرى وقيصر وبني الأصفر فهم من المياه العذبة والجنان المختلفة في مثل حولاء السلى وحدقة البعير تأتيهم ثماره غضة لم نحضر وأنا أنزلنا أرضاً طرف في فلاة وطرف في ملح أجاج جانب منها منابت القصب وجانب سبخة نشاشة لا

يجف ثراها ولا ينبت مرعاها، يخرج الرجل الضعيف منا يستعذب الماء من فرسخين وتخرج المرأة بمثل ذلك ترنق لولدها ترنيق العنز تخاف عليه العدو والسبع فلا ترفع خسيستنا وتنعش ركيستنا نكن كقوم هلكوا.

٢ - مناظرة عمر بن الخطاب والهرمزان:

لما أتى الهرمزان أسيراً إلى عمر بن الخطاب قيل له: يا أمير المؤمنين هذا زعيم العجم وصاحب رئيسهم فقال له عمر: أعرض عليك الإسلام نصحاً لك في عاجلك وآجلك. قال: يا أمير المؤمنين إنما أعتقد ما أنا عليه ولا أرغب بالإسلام فدعا له عمر بالسيف فلما هم بقتله قال: يا أمير المؤمنين شربة من ماء أفضل من قتلي على ظمأ فأمر له بشربة من ماء، فلما أخذها قال: أأنا آمن حتى أشربها؟ قال نعم. فرمى بها وقال: يا أمير المؤمنين نور أبلج. قال: صدقت لك التوقف عنك والنظر في أمرك. ارفعوا عنه السيف فلما رفع عنه قال: الآن يا أمير المؤمنين أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله وما جاء به حق من عنده، فقال عمر: أسلمت خير إسلام فما أحرّك؟ قال: كرهت أن تظن أني أسلمت جزعاً من السيف. فقال عمر: إن لأهل فارس عقولاً بها استحقوا ما كانوا فيه من الملك، ثم أمر به أن يبر ويكرم وكان يشاوره في توجيه الجيوش لأهل فارس.

٣ - مناظرة الأحنف بن قيس - وقيس بن عاصم:

قيل للأحنف بن قيس: ممن تعلمت الحلم؟ قال: من قيس بن عاصم المنقري رأيت قاعداً بفناء داره محتبياً بحمائل سيفه يحدث قومه حتى أتى برجل مكتوف ورجل مقتول فقيل له: هذا ابن أخيك قتل ابنك فوالله ما حلّ حبوته ولا قطع كلامه، ثم التفت إلى ابن أخيه وقال له: يا ابن أخي أسأت إلى رحمك ورميت نفسك بسهمك وقتلت ابن عمك، ثم قال لابن له آخر: قم يا بني فحل كتاف ابن عمك ووار أخاك وسق إلى أمه مئة ناقة دية ابنها فإنها غريبة، ثم أنشأ يقول:

إني امرؤ لا يطبّي حسيبي	دنس يهجنه ولا أفن
من منقر في بيت مكرمة	والغصن ينبت حوله الغصن
خطباء حين يقول قائلهم	بيض الوجوه مصاقع لسن
لا يفطنون لعيب جارهم	وهم لحفظ جواره فطن

الباب الخامس

الفصل السابع

التوقيعات في العهد الراشدي

أ - التوقيعات:

هي ما يكتب من عبارات موجزة على الرسائل المبعوثة للخليفة أو الوالي، وقد تكتب على الرقاع والقصص التي ترفع لهما على شكل (سؤال أو شكوى أو مدح).

مميزات التوقيعات:

١ - تصدر من الأعلى الى الأدنى.

٢ - إيجاز العبارة.

٣ - بلاغة العبارة.

قد تكون إبداعاً من الكاتب وقد تكون اقتباساً من القرآن الكريم أو الحديث الشريف، أو الشعر أو الحكمة والمثل، أو مذهب أو عقيدة ما، يحاول كل منها أن يقنع الآخر بها، وقد يكون الحوار مفتوحاً في موضوعات عدة لإغنائها وقد يكون ثرثرة ومن مميزات الحوار والمحاورات:

١ - القصر.

٢ - البلاغة.

٣ - أنه نشاط شفوي.

والتوقيع الأدبي فن من فنون الأدب العربي نشأ في ظل انتشار الكتابة وتنظيم الدواوين الحكومية ولم يكن معروفاً لدى الجاهلية لانتشار الأمية وندرة الذين يجيدون الكتابة والتوقيعات ضرب من الإيجاز ولون من ألوان البلاغة، ولقد ظهرت في عهد الخلفاء الراشدين عندما استدعاها اتساع الدولة الإسلامية حيث اضطر الخلفاء والأمراء والولاة إلى الكتابة برأيهم على ما يرفع إليهم من مظالم ومطالب.

ومما ساعد على وجود ما يسمى بالتوقيعات الأدبية عناية الخلفاء والسلاطين وأمرأء بإنشاء ما يسمى في ذلك العهد بديوان الإنشاء، وكان هذا الديوان يلقي العناية الكاملة من رجال البلاط ويمهدون إلى رجال هذا الديوان السبل للاضطلاع بالمناصب التي تؤهلهم لها مواهبهم الأدبية والفنية، وكان يلي هذه المناصب من نبغ من المحدثين من رجال الأدب ذو البديهة الحاضرة والفتنة والبلاغة، وكان منصب الموقَّع بديوان الإنشاء يعادل بعض الوظائف القضائية.

والتوقيعات فن من فنون الأدب يعتمد في الرد على كتاب مرفوع إلى الخليفة أو الوالي أو العامل في أمر يتعلق بمضمون ذلك الكتاب، حيث كان الخلفاء يشنونه بجمل قصيرة في أعقاب الرسائل التي ترد إليهم من الولاة وسائر الناس ليحيزوا ما في هذه الرسائل. إنه تعليق على الرسائل الواردة إلى الديوان بما يناسبها رداً على كتاب أو شكوى أو مشكلة أو طلب عون أو رأي حيث يكتب الكتاب المرفوع نفسه، وفي أسفل الكتاب.

وتتميز التوقيعات بالإيجاز والبلاغة حيث عدلوا فيه عن التطويل والتكرار والتوقيع غير الرسائل. ونهي أو ما جرى مجراها، وقد يكون تقريراً لحقيقة أو فكرة أو تعليلاً لقضية، وقد زعم البعض أن نشأتها كانت بتأثير ثقافات أجنبية (الفارسية) جاء عن طريق الحيرة حيث كان كُتَّابها العرب يختلطون بالفرس.

وقد جاءت نشأة التوقيعات بفعل الحاجة الإدارية الملحة بسبب اتساع رقعة الدولة وكثرة الرسائل.

ومصادر المعاني في التوقيعات قد يكون آية أو حديثاً نبوياً شريفاً أو قولاً مأثوراً لبعض المشهورين أو حكمة لأحد الحكماء، أو بيتاً من الشعر أو شطر بيت شعر، أو من خلال حلّ معاني الآخرين أو تضمينها توقيعه فالتوقيعات من أدب مستقل، وله مكانة مهمة في عالم النثر الفني الأدبي، ومن نماذج التوقيعات في العهد الراشدي:

من توقيعات أبي بكر رضي الله تعالى عنه في كتاب بعثة خالد بن الوليد وهو في دومة الجندل يستشير فيه خالد الخليفة في أمر العدو: ((ادن من الموت توهب لك الحياة)).

من توقيعات عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه لعمر بن العاص بعد أن جاءه كتابه: ((كن لرعتك كما تحب أن يكون لك أميرك)).

ومن توقيعات عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه في قصة قوم تظلموا من مروان بن الحكم وذكروا له أنه أمر بوجء أعناقهم حيث وقع بالآية الكريمة التالية:
(فإن عصوك فقل إنني بريء مما تعملون)).

ومن توقيعات علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه في كتاب من صعصعة بن صرحان (قيمة كل امرئ ما يحسن)).

وهكذا كانت التوقيعات وثائق أدبية وتاريخية ذات قيمة فنية ومعلومية مهمة.

ومن أقدم ما عرف من هذا الفن ما جاء عن الخليفة الراشد - أبي بكر الصديق - في توقيعه على رسالة خالد بن الوليد. فقد كتب خالد رضي الله عنه إلى أبي بكر الصديق يستشيريه في أمر الحرب وكيف تكون فكتب له أبو بكر «أحرص على الموت توهب لك الحياة» وما أروعه من توقيع وما أجملها من حكمة بالغة خالدة أصبحت شعاراً للمجاهدين الصادقين، ويبدو أن مثل هذا التوقيع لقي استحساناً من خالد بن الوليد ورجاله فأمر بإذاعته بين الجند وانتشر خبر هذا التوقيع حتى حاول الكثيرون من بعده السير على منواله فكان ذلك بداية لهذا الفن الجميل.؟، ثم شاعت التوقيعات في عهد عمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم، لشيوع الكتابة، وامتد هذا الشيوع بصورة أوسع في عصر بني أمية.

أما في العصر العباسي ومع ازدهار الكتابة الفنية وتعدد أغراضها، وحلولها محل الخطابة في كثير من شؤون الدولة وقضاياها، فأصبح الكاتب البليغ مطلباً من مطالب الدولة تحرص عليه، وتبحث عنه لتسند إليه عمل تحرير المكاتبات، وتخبير الرسائل في دواوينها التي تعددت نتيجة لاستبحارها واتساع نطاقها، وكثرة ما يُجيب من الخراج من الولايات الإسلامية الكثيرة المتباعدة، وأصبح لا يحظى بالوزارة إلا ذوو الأقلام السيالة من الكُتاب والبلغاء المترسلين.

ب - نماذج رائعة من التوقيعات الأدبية:

١ - من توقيعات عمر بن الخطاب رضي الله عنه: من أجل التوقيعات التي تُؤثر عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ما روى أنه رفعت شكوى على عمر بن الخطاب من أحد ولاته فوقع إليه: «كثر شاكوك وقل شاكروك فإما اعتدلت وإما اعتزلت».

وبعث عمر بن الخطاب رضي الله عنه، إلى عمرو بن معد كرب أن يبعث بسيفه المعروف بالصمصامة، فبعث به إليه. فلما ضرب به وجده دون ما كان يبلغه عنه فكتب إليه في ذلك فوَّع عمرو: إنما بعثتُ إلى أمير المؤمنين بالسيف ولم أبعث بالساعد الذي يضرب به.

٢ - من توقيعات خالد بن الوليد رضي الله عنه: كتب عياض بن غنم إلى خالد بن الوليد يستنجده حين كان يحاصر دومة الجندل فكتب إليه خالد: من خالد إلى عياض إياك أريد:

لبثت قليلاً تأتيك الحلائب

يحملن أساراً عليها القاشب

كتائب تتبعها كتائب

- (الحلائب النوق وهي أقوى على قطع الصحراء من سواها، القاشب: السيف الصقيل المجلو).

٣ - من توقيعات علي بن أبي طالي رضي الله عنه: كتب سلمان الفارسي إلى علي بن أبي طالب: يسأله كيف يحاسب الناس يوم القيامة فوَّع جوابه: «يحاسبون كما يرزقون».

الباب الخامس

الفصل الثامن

فن العهود

أ - العهود:

هي شكل من أشكال ورقة العمل التي يكتبها الخليفة لمن يوليه على عمل من أعمال الدولة لتكون دستوراً له، وقد ارتبطت هذه العهود بنشأة الدولة الإسلامية وتشكيل دواوينها، وتتميز بالقصر أحياناً والطول أحياناً أخرى.

ب - نماذج من العهود:

١ - نص العهدة العمرية:

هذا ما أعطى عبد الله أمير المؤمنين (عمر بن الخطاب) أهل إيلياء من الأمان، أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم وكنائسهم وصلبناهم، وسقيمها وبريئها وسائر ملتها أنه لا تسكن كنائسهم، ولا تهدم، ولا ينتقص منها، ولا من خيرها، ولا من صلبهم، ولا من شيء من أموالهم، ولا يكرهون على دينهم، ولا يضار أحد منهم ولا يسكن بإيلياء (القدس) معهم أحد من اليهود، وعلى أهل إيلياء أن يعطوا الجزية كما يعطي أهل المدائن، وعليهم أن يُخرجوا منها الروم واللصوص، فمن خرج منهم فهو آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم، ومن أقام منهم فهو آمن، وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية، ومن أحب من أهل إيلياء أن يسير بنفسه وماله مع الروم ويخلي بيعهم وصلبهم، فإنهم آمنون على أنفسهم وعلى بيعهم وعلى صلبهم حتى يبلغوا مأمنهم، ومن كان فيها من أهل الأرض، فمن شاء منهم قعد وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية، ومن شاء سار مع الروم، ومن رجع إلى أهله فإنه لا يؤخذ منهم شيء حتى يحصدوا حصادهم. على ما في الكتاب عهد الله وذمة الخفاء وذمة المؤمنين إذا أعطوا الذي عليهم الجزية.

كتب وحضر سنة خمس عشرة هجرية، شهد على ذلك الصحابة الكرام: خالد بن الوليد، عمرو بن العاص، عبد الرحمن بن عوف، معاوية بن أبي سفيان، وسلمت هذه العهدة إلى صفرونيوس بطريارك الروم.

- نص العهدة العمرية من كتاب لابن القيم الجوزية

عن عبد الرحمن بن غنم: كتبتُ لعمر بن الخطاب رضي الله عنه حين صالح نصارى الشام، وشرط عليهم فيه: ألا يُحدّثوا في مدينتهم ولا فيما حولها ديراً ولا كنيسة ولا قلاية ولا صومعة راهب ولا يجددوا ما خرب ولا يمنعوا كنائسهم من أن ينزلها أحدٌ من المسلمين ثلاث ليالٍ يطعمونهم ولا يؤوون جاسوساً ولا يكتموا غشاً للمسلمين ولا يعلموا أولادهم القرآن ولا يُظهروا شركاً ولا يمنعوا ذوي قرابتهم من الإسلام إن أرادوا وأن يوقروا المسلمين، وأن يقوموا لهم من مجالسهم إذا أرادوا الجلوس ولا يتشبهوا بالمسلمين في شيء من لباسهم ولا يتكّنوا بكنائسهم ولا يركّبوا سرجاً ولا يتقلّدوا سيفاً ولا يبيعوا الخمر وأن يجزّوا مقادير رؤوسهم وأن يلزموا زبّهم حيثما كانوا وأن يشدّوا الزنانير على أوساطهم ولا يُظهروا صليباً ولا شيئاً من كتبهم في شيءٍ من طرق المسلمين ولا يجاوروا المسلمين بموتاهم ولا يضربوا بالناقوس إلا ضرباً خفيفاً ولا يرفعوا أصواتهم بالقراءة في كنائسهم في شيء من حضرة المسلمين ولا يخرجوا شعانين ولا يرفعوا أصواتهم مع موتاهم ولا يُظهروا النيران معهم، ولا يشترّوا من الرقيق ما جرت عليه سهام المسلمين. فإن خالفوا شيئاً مما شرطوه فلا ذمّة لهم وقد حلّ للمسلمين منهم ما يحل من أهل المعادة والشقاق.

كتاب مسيحيي الشام للخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

بسم الله الرحمن الرحيم:

هذا كتاب بعثنا به نحن مسيحيو الشام إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب لما أتيتم بلدنا؟

استأمننا منكم لأنفسنا ولذوينا ولأموالنا وإخواننا في الدين؟ وتعهّدنا بألا نبني كنائس ولا صوامع ولا بيعاً؟ ولن نعمر ما أشرف على الانهدام منها؟ ولن نصلح ما يقع منها في أحياء المسلمين. نؤوي المارة والمسافرين من المسلمين في بيوتنا؟ ونضيف المسلمين أجمعين ثلاثة أيام؟ ولن نقبل جاسوساً ولا عيناً في كنائسنا ولا في دورنا؟ ولن نخفي على المسلمين ما من شأنه الإضرار بمصالحهم.

لن نعلّم أولادنا القرآن؟ ولن نحتمل بقداديسنا على مرأى الناس؟ ولن ننصح بذلك في عظاتنا؟ ولن نمنع أحداً من أهل ديننا من اعتناق الإسلام إن أراد. نعامل المسلمين بالبر والإحسان؟

ونقوم إذا جلسوا؟ ولن تشبه بهم في الملبس؟ ولن نأخذ بلسانهم؟ ولن نكني أنفسنا ولا أولادنا؟ ولن نسرج ولا نحمل سلاحاً؟ ولن نضرب في خواتمنا حروفاً عربية؟ ولن نتاجر بالمسكرات؟ ونحلق مقادم رؤوسنا؟ ولن نعرض كتبنا ولا صلباننا في أماكن المسلمين.

٢ - عهد علي رضي الله تعالى عنه لمالك بن الحارث الأشتر النخعي:

حين ولاه مصر وجباية خراجها وجهاد عدوها وإصلاح وعمارة بلادها:

(اعلم يا مالك أي قد وجهتك إلى بلاد قد جرت عليها دول قبلك من عدل وجور وأن الناس ينظرون من أمورك في مثل ما كنت تنظر فيه من أمور الولاية قبلك ويقولون فيك كما كنت تقول فيه، وإنما يستدل على الصالحين بما يجري الله على السنة عباده، فليكن أحب الذخائر إليك ذخيرة العمل الصالح فاملك هواك وشح بنفسك عما يحل لك فإن الشح بالنفس الإنصاف منها فيما أحببت أو كرهت، وأشعر قلبك الرحمة للرعية والمحبة لهم واللطف بهم، ولا تكونن عليهم سبعاً ضارياً تغتنم أكلهم فإنهم صنفان إما أخ لك في الدين وإما نظير لك في الخلق.

يفرط منهم الزلل وتعرض لهم العلل ويؤتى على أيديهم في العمد والخطأ فأعطهم من عفوك وصفحك مثل الذي تحب وترضى أن يعطيك الله من عفوه وصفحه فإنك فوقهم، ووالي الأمر عليك فوقك والله فوق من ولاك وقد استكفأك أمرهم وابتلاك بهم، ولا تنصبن نفسك لحرب الله فإنه لا يقبل لك بنقمته ولا غنى بك عن عفوه ورحمته، ولا تندمن على عفوه ولا تبجحن بعقوبة ولا تسرعن إلى بادرة وجدت عنها مندوحة، ولا تقولن إني مؤمر أميراً فأطاع فإن ذلك أدغال في القلب ومنهكة للدين وتقرب من الغير.

وإذا أحدث لك ما أنت فيه من سلطانك أبهة أو مخيلة فانظر إلى عظم ملك الله فوقك وقدرته منك على ما لا تقدر عليه من نفسك فإن ذلك يطامن إليك من طماحك ويكف عنك من غربك ويفيء إليك بما عذب عنك من عقلك، وإياك ومساماة الله في عظمته والقشبة به في جبروته فإن الله يذل كل جبار، ويهين كل مختال أنصف الله وأنصف الناس من نفسك ومن خاصة أهللك، ومن لك فيه هوى من رعيك فإنك إن لم تفعل تظلم ومن ظلم عباد الله كان الله خصمه دون عباده ومن خصمه الله أدحض حجته، وكان الله حرباً عليه حتى ينزع ويتوب

وليس شيء أدعى إلى تغيير نعمة الله وتعجيل نعمته من إقامة على ظلم فإن الله سميع دعوة المظلومين وهو للظالمين بالمرصاد.

وليكن أحب الأمور إليك أوسطها في الحق وأعمها في العدل وأجمعها لرضاء الرعية فإن سخط العامة يجحف برضاء الخاصة وإن سخط الخاصة يغتفر مع رضاء العامة، وليس أحد من الرعية أثقل على الوالي مؤونة في الرخاء وأقل معونة في البلاء وأكره للإنصاف وأسأل بالإلحاف وأقل شكراً عند الإعطاء وأبطأ عذراً عند المنع وأخف صبراً عند ملهمات الدهر من أهل الخاصة، وإنما عماد الدين وجماع المسلمين والعدة للأعداء العامة من الأمة فليكن صفوك لهم وميلك معهم، وليكن أبعد رعيته منك وأشنأهم عندك أطلبهم لمعايب الناس فإن في الناس عيوباً الوالي أحق من سترها فلا تكشفن عما غاب عنك منها فإنما عليك تظهير ما ظهر لك، والله يحكم على ما غاب عنك، فاستر العورة ما استطعت يستر الله منك ما تحب ستره من رعيته - أطلق عن الناس عقدة كل حقد واقطع عنك سبب كل وتر وتغاب عن كل ما لا يصح لك.

ولا تعجلن إلى تصديق ساع فإن الساعي غاش بالناصحين ولا تدخلن في مشورتك بخيلاً يعدل بك عن الفضل ويعدك الفقر ولا جباناً يضعفك عن الأمور ولا حريصاً يزين لك الشر بالجور فإن البخل والحرص غرائز شتى يجمعها سوء الظن بالله إن شر وزرائك من كان قبلك للأشرار وزيراً ومن شركهم في الآثام، فلا يكونن لك بطانة فإنهم أعوان الآثمة وإخوان الظلمة وأنت واجد منهم خير الخلف ممن هو مثل آرائهم ونفاذهم وليس عليه مثل آصارهم وأوزارهم ممن لا يعلون ظالماً على ظلمه أو إثماً على إثمه أولئك أخف عليك مؤونة وأحسن لك معونة وأحنى عليك عطفاً وأقل لغيرك فاتخذ أولئك خاصة لخلواتك وحفلاتك.

ثم ليكن آثرهم عندك أقولهم لك بمر الحق، وأقلهم مساعدة فيما يكون منك مما كره الله لأولياته واقعاً ذلك من هواه حيث وقع والصق بأهل الورع والصدق، ثم رضهم على أن لا يطروك ولا يبجحونك بباطل لم تفعله، فإن كثرة الإطراء تحدث الزهو وتدني من العزة ولا يكونن المحسن والمسيء عندك بمنزلة سواء، فإن في ذلك تزهيداً لأهل الإحسان في الإحسان وتدريباً لأهل الإساءة على الإساءة وألزم كلاً منهم ما ألزم نفسه.

واعلم أنه ليس شيء بأدعى إلى حسن ظن وال برعته من إحسانه إليهم وتخفيفه المؤونات عليهم وترك استكراهيته إياهم على ما ليس له قبلهم، فليكن منك في ذلك أمر يجمع لك حسن الظن برعيتك فإن حسن الظن برعيتك يقطع عنك نصباً طويلاً وإن أحق من حسن ظنك به لمن حسن بلاؤك عنده وأن أحق من ساء ظنك به لمن ساء بلاؤك عنده ولا تنقض سنة صالحة عمل بها صدور هذه الأمة واجتمعت بها الألفة وصلحت عليها الرعية، ولا تحيدن سنة تضر بشيء مما مضى من تلك السنن فيكون الأجر لمن سنّها والوزر عليك بما نقضت منها. وأكثر مدارسة العلماء ومناقشة الحكماء في تثبيت ما صلح عليه أمر بلادك وإقامة ما استقام به الناس قبلك، واعلم أن الرعية طبقات لا يصلح بعضها إلا ببعض ولا غنى ببعضها عن بعض، فمنها جنود الله ومنها كتاب العامة والخاصة ومنها قضاة العدل ومنها عمال الإنصاف والرفق، ومنها أهل الجزية والخراج من أهل الذمة ومسلمة الناس ومنها التجار وأهل الصناعات، ومنها الطبقة السفلى من ذوي الحاجة والمسكنة وكلاً قد سمى الله سهمه ووضع على حده فريضة في كتابه أو سنة نبيه صلى الله عليه وسلم وآله عهداً منه عندنا محفوظاً فالجنود بإذن الله حصون الرعية وزين الولاية وعز الدين وسبل الأمن وليس تقوم الرعية إلا بهم.

ثم لا قوام للجنود إلا بما يخرج الله تعالى لهم من الخراج الذي يقوون به في جهاد عدوهم ويعتمدون عليه فيما يصلحهم ويكون من وراء حاجتهم - ثم لا قوام لهذين الصنفين إلا بالصنف الثالث من القضاة والعمال والكتاب لما يحكمون من المعاهد ويجمعون من المنافع ويؤتمنون عليه من خواص الأمور وعوامها، ولا قوام لهم جميعاً إلا بالتجار وذوي الصناعات فيما يجتمعون عليه من مرافقهم ويقومونه من أسواقهم ويكفونهم من الترفق بأيديهم ما لا يبلغ رفق غيرهم.

ثم الطبقة السفلى من أهل الحاجة والمسكنة الذين يحق رفقهم ومعونتهم وفي الله لكل سعة ولكل على الوالي حق بقدر ما يصلحه، وليس يخرج الوالي من حقيقة ما ألزمه الله من ذلك إلا بالاهتمام والاستعانة بالله وتوطين نفسه على لزومه الحق والصبر عليه فيما خف عليه أو ثقل فول من جنودك أنصحهم في نفسك لله ولرسوله وإمامك وأظهرهم جيابص وأفضلهم حلماً ممن يبطئ عن الغضب ويستريح إلى العذر ويرأف بالضعفاء وينبو على الأقوياء ممن لا يثيره

العنف ولا يقعد به الضعف، ثم الصق بذوي المروءات والأحساب وأهل البيوتات الصالحة والسوابق الحسنة، ثم أهل النجدة والشجاعة والسخاء والسماحة فإنهم جماع من الكرم وشعب من العرف، ثم تفقد من أمورهم ما يتفقده الوالدان من ولدهما ولا يتفاقم في نفسك شيء قويتهم به ولا تحقرن لطفاً تتعاهدكم به، وإن قل فإنه داعية إلى بذل النصيحة لك وحسن الظن بك ولا تدع تفقد لطيف أمورهم اتكالا على جسيمها فإن ليسير من أثر رؤوس جنك عندك من واساهم في معونته وأفضل عليهم من جدته بما يسعهم ويسع من وراءهم من خلوف أهلهم حتى يكون همهم هماً واحداً في جهاد العدو فإن عطفك عليهم يعطف قلوبهم عليك.

وإن أفضل قرّة عين الولاية استقامة العدل في البلاد وظهور مودة الرعية وإنه لا تظهر مودتهم إلا بسلامة صدورهم ولا تصح نصيحتهم إلا بحيطتهم على ولاية أمورهم وقلة استئثار دولهم وترك استبطاء انقطاع مدتهم فأفسح في آمالهم، وواصل في حسن الشئاء عليهم وتعديل ما أبلى ذوو البلاء منهم فإن كثرة الذكر الحسن تهمز الشجاع وتحرض الناكل إن شاء الله تعالى.

ثم اعرف لكل امرئ منهم ما أبلى ولا تضيفن بلاء امرئ إلى غيره ولا تقصرن دون غاية بلائه، ولا يدعونك شرف امرئ إلى أن تعظم من بلائه ما كان صغيراً ولا ضعة امرئ أن تستصغر من بلائه ما كان عظيماً، واردد إلى الله ورسوله ما يضلحك من الخطوب ويشتهب عليك من الأمور، فقد قال سبحانه لقوم أحب إرشادهم: (يا أيها الذين امنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول) فالرد إلى الله الأخذ بمحكم كتابه، والرد إلى الرسول الأخذ بسنته الجامعة غير المفرقة.

ثم اختر للحكم بين الناس أفضل رعيته في نفسك ممن لا تضيق به الأمور ولا تحمكه الخصوم ولا يتهادى في الزلة ولا يحصر عن الفيء إلى الحق إذا عرفه ولا تشرف نفسه على طمع، ولا يكتفي بأدنى فهم دون أقصاه أوقفهم في الشبهات وأخذهم بالحجج وأقلهم تبرماً بمراجعة الخصم وأصبرهم على تكشيف الأمور وأصرمهم عند اتضاح الحكم ممن لا يزيده إطرأ ولا يستميله إغراء وأولئك قليل.

ثم أكثر تعاهد قضائه وأفسح في البذل ما يزيح علته وتقل معه حاجته إلى الناس وأعطه من المنزلة لديك ما لا يطمح فيه غيرك من خاصتك لتأمن بذلك اغتيال الرجال له عندك فانظر في ذلك نظراً بليغاً فإن هذا الدين قد كان أسيراً في أيدي الأشرار يعمل فيه بالهوى وتطلب به الدنيا.

ثم انظر في أمور عمالك فاستعملهم اختبار ولا تولهم محابة وأثرة فإن ذلك جماع من شعب الجور والخيانة وتوخ منهم أهل التجربة والحياء من أهل البيوتات الصالحة والقدم في الإسلام فإنهم أكرم أخلاقاً وأصح إعراضاً وأقل في المطامع إشرافاً وأبلغ الأمور نظراً، ثم أسبغ عليهم الأرزاق فإن ذلك قوة لهم استصلاح أنفسهم وغنى لهم عن تناول ما تحت أيديهم وحجة عليهم إن خالفوا أمرك أو خانوا أمانتك.

ثم تفقد أعمالهم وابعث العيون من أهل الصدق والوفاء عليهم تعاهدك في السر لأموهم حدوة لهم على استعمال الأمانة والرفق بالرعية وتحفظ من الأعوان فإن أحد منهم بسط يده إلى خيانة اجتمعت بها عليه عندك أخبار عيونك اكتفيت بذلك شاهداً فبسطت عليه العقوبة في بدنه وأخذته بما أصاب من عمله، ثم نصبته بمقام المذلة ووسمته بالخيانة وقلدته عار التهمة. وتفقد أمر الخراج بما يصلح أهله فإن في صلاحه صلاحهم صلاحاً لمن سواهم ولا صلاح لمن سواهم إلا بهم؛ لأن الناس كلهم عيال على الخراج وأهله، وليكن نظرك في عمارة الأرض أبلغ من نظرك في استجلاب الخراج؛ لأن ذلك لا يدرك إلا بالعمارة، ومن طلب الخراج بغير عمارة أخرج البلاد وأهلك العباد ولم يستقم أمره إلا قليلاً، فإن شكوا ثقلأ أو علة انقطاع شرب أو بآلة أو حالة أرض اعتمرها غرق أو أجحف بها عطش خففت عنهم بما ترجو أن يصلح به أمرهم ولا يثقلن عليك شيء خففت به المؤونة عنهم فإنه ذخر يعودون به عليك في عمارة بلدك وتزيين ولايتك مع استجلابك حسن ثنائهم وتبجحك باستفاضة العدل فيهم معتمداً على فضل قوتهم بما ذخرت عندهم من إجمامك لهم والثقة منهم بما عودتهم من عدلك عليهم في رفقتك بهم فربما حدث من الأمور ما إذا عول فيه عليهم من بعد احتملوه طيبة أنفسهم به، فإن العمران يحتمل ما حملته وإنما يأتي خراب الأرض من إعواز أهلها، وإنما يعوز أهلها لأشراف أنفس الولاة على الجمع وسوء ظنهم بالبقاء وقلة انتفاعهم بالعبر.

ثم انظر في حال كتابك فولاً على أمورك خيرهم واخصص رسائلك التي تدخل فيها مكائلك وأسراك بأجمعهم لوجود صالح الأخلاق ممن لا تبطره الكرامة فيجترئ في خلاف لك بحضرة ملاً ولا تقصر به الغفلة عن إيراد مكاتبات عمالك عليك وإصدار جواباتها الصواب عنك فيما يأخذ لك ويعطى منك ولا يضعف عقداً اعتقده لك ولا يعجز عن إطلاق ما عقد عليك، ولا يجهل مبلغ قدر نفسه في الأمور فإن الجاهل بقدر نفسه يكون بقدر غيره أجهل، ثم لا يكن اختيارك إياهم على فراستك واستنامتك وحسن الظن منك فإن الرجال يتعرفون لفراسات الولاية بتصنعهم وحسن خدمتهم.

وليس وراء ذلك من النصيحة والأمانة شيء ولكن اخترهم بما ولوا للصالحين قبلك فاعمد لأحسنهم في العامة أثراً واعرفهم بالأمانة وجهاً فإن ذلك دليل على نصيحتك لله ولن وليت أمره واجعل لرأس كل من أمورك رأساً منهم لا يقهره كبيرها، ولا يتسلط عليه صغيرها ومهما كان في كتابك من عيب تغايبت عنه ألزمته، ثم استوص بالتجار وذوي الصناعات وأوص بهم خيراً المقيم منهم والمضطرب بماله والمترفق ببدنه فإنهم مواد المنافع وأسباب المرافق وجلاها من المباعد والطارح في برك وبحرك وسهلك وجبلك وحيث لا يلتم الناس لمواضعها ولا يجترئون عليها، فإنهم سلم لا تخاف بائقته وصلح لا تخشى غائلته، وتفقد أمورهم بحضرتك وفي حواشي بلادك.

واعلم مع ذلك أن في كثير منهم ضيقاً فاحشاً وشحاً قبيحاً واحتكاراً للمنافع وتحكماً في البياعات وذلك باب مضررة للعامة وعيب على الولاية فامنع من الاحتكار فإن رسول الله ﷺ منع منه، وليكن البيع بيعاً سمحاً بموازين عدل وأسعار لا تجحف بالفريقين من البائع والمبتاع فمن قارف حكرة بعد نهيك إياه فنكل به وعاقب في غير إسراف، ثم الله في الطبقة السفلى من الذين لا حيلة لهم والمساكين والمحتاجين وأهل البؤس والزمن فإن في هذه الطبقة قانعاً ومعتراً وأحفظ الله ما استحفظك من حقه فيهم واجعل قسماً من بيت مالك وقسماً من غلات صوافي الإسلام في كل بلد فإن للأقصى منهم مثل الذي للأدنى وكل قد استرعيت حقه فلا يشغلنك عنهم بطرف إنك لا تعذر بتضييعك التافه لإحكامك الكثير المهم فلا تشخص همك عنهم، ولا تصعر خدك لهم وتفقد أمور من لا يصل إليك منهم ممن تقتحمه العيون وتحتقره الرجال ففرغ لأولئك من أهل الخشية والتواضع فليرفع إليك أمورهم.

ثم اعمل فيها بالأعذار إلى الله سبحانه يوم تلقاه فإن هؤلاء من بين الرعية أحوج إلى الإنصاف من غيرهم وكل فاعذر إلى الله في تأدية حقه إليه وتعهد أهل اليتيم وذوي الرقة في السن ممن لا حيلة له ولا ينصب للمسألة نفسه وذلك على الولاية ثقيل والحق كله ثقيل وقد يخففه الله على أقوام طلبوا العاقبة فصبروا أنفسهم ووثقوا بصدق موعود الله لهم، واجعل لذوي الحاجات منك قسماً تفرغ لهم فيه شخصك وتجلس لهم مجلساً عاماً فتتواضع فيه لله الذي خلقك وتعقد عنهم جندك وأعوانك من أحراسك وشرطك حتى يكلمك متكلمهم غير متعنع فإنني سمعت رسول الله ﷺ وآله يقول في غير موطن: لن تقدر أمة لا يؤخذ للضعيف فيها حقه من القوي غير متعنع.

ثم احتمال الخرق منهم والعي وسنح عنهم الضيق والأنف يبسط الله عليك بذلك أكتاف رحمته ويوجب لك ثواب طاعته وأعط ما أعطيت هنيئاً وامنع في إجمال وأعذار. ثم أمور من أمورك لا بد لك من مباشرتها منها إجابة عمالك بما يعيا عنه كتابك ومنها إصدار حاجات الناس يوم ورودها عليك مما تخرج بها صدور أعوانك وامض لكل يوم عمله فإن لكل يوم ما فيه، واجعل لنفسك فيما بينك وبين الله أفضل تلك المواقيت وأجزل تلك الأقسام وإن كانت كلها لله إذا صلحت النية وسلمت منها الرعية، وليكن في خاصة ما تخلص الله به دينك إقامة فرائضه التي هي له خاصة فأعط الله من بدنك في ليلك ونهارك ووف ما تقربت به إلى الله سبحانه من ذلك كاملاً غير مثلوم ولا منقوص بالغاً من بدنك ما بلغ، وإذا قمت في صلاتك للناس فلا تكن منفرداً ولا مضيقاً فإن في الناس من به العلة وله الحاجة: وقد سألت رسول الله ﷺ حين وجهني إلى اليمن: كيف أصلي بهم؟ فقال: ((صل بهم كصلاة أضعفهم وكن بالمؤمنين رحيماً)).

أما بعد، فلا تطولن احتجاجك عن رعبتك فإن احتجاج الولاية عن الرعية شعبة من الضيق وقلة علم بالأمر والاحتجاج منهم يقطع عنهم علم ما احتجوا به فيصغر عندهم الكبير ويعظم الصغير ويقبح الحسن ويحسن القبيح ويشاب الحق بالباطل، وإنما الوالي بشر لا يعرف ما توارى عنه الناس به من الأمور، وليست على الحق سمات تعرف بها ضروب الصدق من الكذب، وإنما أنت أحد رجلين: إما امرؤ سخت نفسك بالبذل في الحق فقيم احتجاجك

من واجب حق تعطيه أو فعل كريم تسديه أو مبتلى بالمنع فما أسرع كف الناس عن ملتك إذا أيسوا منك مع أن أكثر حاجات الناس إليك مما لا مؤنة فيه عليك من شكاة مظلمة أو طلب إنصاف في معاملة؟.

ثم إن للوالي خاصة بطانة - فيهم استئثار وتناول وقلة إنصاف في معاملة فاحسم مادة أولئك بقطع أسباب تلك الأحوال، ولا تقطعن لأحد من حاشيتك وخاصتك قطيعة، ولا يطمعن منك في اعتقاد عقدة تضر بمن يليها من الناس في شرب أو عمل مشترك يحملون مؤونته على غيرهم فيكون مهناً ذلك لهم دونك وعيبه عليك في الدنيا والآخرة والزم من لزمه من القريب والبعيد، وكن في ذلك صابراً محتسباً واقعاً ذلك محمودة وإن ظنت الرعية بك حيفاً فأصحر لهم بعذرِكَ واعدل عنك ظنونهم بإصْحارك فإن في ذلك رياضة منك لنفسك ورفقاً برعيتك وإعداداً تبلغ به حاجتك من تقويم على الحق، ولا تدفعن صلحاً دعاك إليه عدوك والله فيه رضا فإن في الصلح دعة لجنودك وراحة من همومك وأمناً لبلادك ولكن الحذر كل الحذر من عدوك بعد صلحه فإن العدو ربما قارب ليتغفل فخذ بالحزم واتهم في ذلك حسن الظن، وإن عقدت بينك وبين عدوك عقدة أو ألبسته منك ذمة فحط عهدك بالوفاء وارع ذمتك بالأمانة، واجعل نفسك جنة دون ما أعطيت فإنه ليس من فرائض الله شيء الناس أشد عليه اجتماعاً من تفرق أهوائهم وتشتت آرائهم من تعظيم الوفاء بالعهود.

وقد لزم ذلك المشركون فيما بينهم دون المسلمين لما استولوا من عواقب الغدر فلا تغدرن بذمتك ولا تحيسن بعهدك ولا تحتلن عدوك فإنه لا يجترى على الله إلا جاهل شقي، وقد جعل الله عهده وذمته أمناً أفضاه بين العباد برحمته وحصناً يسكنون إلى منعه ويستفيضون إلى جواره فلا أدغال ولا مدالة ولا خداع فيه ولا تعقد عقداً يجوز فيه الفلل ولا تعوان على لحن قول بعد التأكد والتوثقة، ولا يدعونك ضيق أمر لزمك انفراجه وفضل عاقبته خير من غدر تخاف تبعته وأن تحيط بك فيه من الله طلبه فلا تستقيم فيها دنياك ولا آخرتك.

إياك والدماء وسفكها بغير حلها فإنه ليس شيء أدعى لنقمة ولا أعظم لتبعة ولا أخرى بزوال نعمة وانقطاع مدة من سفك الدماء بغير حقها، والله سبحانه وتعالى يتولى الحكم بين العباد فيما تسافكوا من الدماء يوم القيامة فلا تقوين سلطاناتك بسفك دم حرام فإن ذلك مما

يضعفه ويوهنه، بل يزيله ويثقله، ولا عذر لك عند الله ولا عندي في قتل العمدة؛ لأن فيه قود
البدن وأن ابتليت بخطأ وأفرط عليك سوطك أو سيفك أو يدك بعقوبة فإن في الوكزة فما
فوقها مقتلة فلا تظمحن بك نخوة سلطانك عن تؤدي إلى أولياء المقتول حقهم.

وإياك والإعجاب بنفسك والثقة بما يعجبك منها وحب الإطراء فإن ذلك من أوثق فرص
الشیطان في نفسه ليمحق ما يكون من إحسان المحسنين، وإياك والمن على رعيتك بإحسانك أو
التزید فيما كان من فعلك أو أن تعدهم فتتبع موعدك بخلفك فإن المن يبطل الإحسان والتزید
يذهب بنور الحق والخلف يوجب المقت عند الله والناس، قال الله سبحانه وتعالى: (كبر مقتاً
عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون).

وإياك والعجلة بالأمر قبل أوانها أو التسقط فيما عند إمكانها، أو اللجاجة فيها إذا
تنكرت، أو الوهن عنها إذا استوضحت فضع كل أمر موضعه وأوقع كل عمل موقعه. وإياك
والاستئثار بما الناس فيه أسوة، والتغابي عما يعنى به بما قد وضح للعيون، فإنه مأخوذ منك
لغيرك وعم قليل تنكشف عنك أغطية الأمور، ويتنصف منك المظلوم واملك حمية أنفك،
وسورة حدك وسطو يدك، حتى يسكن لسانك واحترس من ذلك بكف الباردة، وتأخير
السطوة، حتى يسكن غضبك فتملك الاختيار، ولن تحكم ذلك من نفسك حتى تكثر همومك
بذكر المعاد إلى ربك والواجب عليك أن تتذكر ما مضى لمن تقدمك من حكومة عادلة أو سنة
فاضلة، أو أثر عن نبينا صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم أو فريضة في كتاب الله فتقتدي بما
شاهدت مما عملنا به فيها، وتجتهد لنفسك في اتباع ما عهدت إليك في عهدي هذا واستوثقت
به من الحجة لنفسي دليلك لكي لا يكون ذلك علة عند تسرع نفسك إلى هواها.

وأنا أسأل الله تعالى بسعة رحمته وعظيم قدرته على إعطاء كل رغبة، أن يوفقني وإياك لما فيه
رضاه من الإقامة على العذر الواضح إليه وإلى خلعه من حسن الثناء في العباد، وجميل في
البلاد، تمام النعمة وتضعيف الكرامة، وأن يختم لي ولك بالسعادة والشهادة، إنا إلى الله راغبون
والسلام على رسول الله عليه وآله الطيبين الطاهرين.

الباب الخامس

الفصل التاسع

السيرة الدينية في العصر الراشدي

أ - مَقْدَمَةٌ:

جعل الصحابة الكرام من تعلُّم السيرة النبوية عبادة، فقد جاء عن زين العابدين علي بن الحسين رضي الله عنهما أنه قال: «كنا نُعَلِّمُ مغازي النبي ﷺ وسراياه كما نُعَلِّمُ السورة من القرآن». وتعد السيرة النبوية للنبي صلي الله عليه وسلم، أعظم سيرة إنسان على وجه الأرض، حفظ الله جزءاً غير قليل منها في القرآن الكريم، وتم ذلك علماء ومحدِّثون ومؤرخون في تبويبها وتحقيقتها وشرحها وتوثيقها وحفظها. فالتصانيف التي خصت برسول الله ﷺ، أو تتعلق به آلاف مؤلَّفة.

ب - تدوين للسيرة النبوية

مرّ تدوين السيرة النبوية بمرحلتين:

أ - المرحلة الأولى: (الرواية الشفهية للسيرة النبوية)، وتبدأ هذه المرحلة بصحابة رسول الله صلي الله عليه وسلم، الذين هم على علم دقيق وواسع بالسيرة؛ لأنهم عاشوا أحداثها، وشاركوا فيها، وكانت محبتهم لرسول الله وتعلقهم به، ورغبتهم في اتباعه، وأخذهم بسنته في الأحكام، سبباً في ذبوع أخبار السيرة، ومذكراتهم فيها، وحفظهم لها... فقد اشتهر عدد من الصحابة باهتمامهم الكبير بموضوع السيرة، وقد انصب اهتمام الصحابة الكرام بمغازي النبي ﷺ، وتدوينها، حيث دونوا جزءاً غير قليل منها حياة النبي ﷺ مع جملة أحاديث الرسول ﷺ، ومن هؤلاء الصحابة:

١ - العلاء بن الحضرمي، ت: ١٤هـ أو ٢١هـ.

٢ - سهل بن أبي حثمة المدني الأنصاري ولد سنة (٣هـ - ٦٠هـ = ٦٢٤ - ... م).

٣ - سعيد بن سعد بن عبادة الخزرجي (٣ - ١٢٣ هـ = ٧٤٠ م)، ولد في حياة الرسول ﷺ، ويعد من أوائل الذين دونوا أشياء عن حياة الرسول ﷺ، وهو والد شرحبيل بن سعيد.

٤ - عبد الله بن عباس (المتوفى سنة ٧٨ هـ) وهو صحابي شهير بالرواية، حبر الأمة، وترجمان القرآن، كان يترجم لأخبار رسول الله ﷺ لتلاميذه وحواريه في مجلس علمه.

ب - المرحلة الثانية: حيث بدأت مرحلة التدوين المبكر للسيرة على يد بعض الصحابة وأشهرهم الصحابي:

١ - عبد الله بن عمرو بن العاص، رضي الله عنه الذي كان يكتب كل ما يسمع من رسول الله ﷺ في حياة رسول الله، ولم يمنعه النبي ﷺ.

٢ - البراء بن عازب، رضي الله عنه الذي أملى في مجلسه العلمي شيئاً كثيراً من مغازي رسول الله ﷺ، (الهجرة النبوية، الغزوات، كغزوة بدر وأحد، والخندق، والحديبية، وفتح مكة، وحنين).

ج - دور طبقة التابعين:

تبدأ هذه المرحلة بأولاد الصحابة والتابعين الذين تلقوا روايات السيرة شفاه من الصحابة، وذلك حتى نهاية القرن الأول، وحرص جيل كبار التابعين على تلقي السيرة النبوية بالاهتمام نفسه الذي بلغ به الصحابة هذا العلم.

١ - أبو عمرو عامر بن شراحيل شرحبيل الشعبي (ولد سنة ١٧ / ١٩ - ١٠٣ هـ = ٦٤٠ م - ٧٢١ م). ولد بالكوفة، وكان محدثاً عالماً في الفقه والمغازي عارفاً للشعر ورواية له.

٢ - أبان بن عثمان بن عفان ابن الخليفة الثالث رضي الله عنها (٢٠ - ١٠١ / ١٠٥ هـ). ولد بالمدينة وكان أبان والياً على المدينة لعبد الملك بن مروان سبع سنوات، وعرف بالحديث والفقه، أتم كتابه في السيرة والمغازي قبل سنة (٨٣ هـ)، وسيرته لم تكن إلا صحفاً فيها (أحاديث عن حياة رسول الله ﷺ، وأيامه، ومغازيه).

٣ - عروة بن الزبير بن العوام (٢٢ - ٩٣ هـ = ٦٤٣ - ٧١٢ م). أبوه حواري رسول الله ﷺ، وأمه السيدة أسماء بنت أبي بكر الصديق التي شهدت الكثير من أحداث السيرة، وكان لها عمل مشهور مذكور في الهجرة رضي الله عنها. ولد عروة بالمدينة المنورة وكان ثقة كثير

الحديث، وهو أحد الفقهاء السبعة المشهورين في المدينة، وقد خرَّج له أصحاب الصحاح وغيرهم، وقد روى الحديث عن خالته السيدة عائشة رضي الله عنها، وعن غيرها من الصحابة، وكان معروفاً بتدوين العلم والحديث (وهو أول من صنف في المغازي).

ولم يصل لنا شيء من كتب عروة، ولكن الذي وصل إلينا هو الكثير من روايته.

٤ - سعيد بن المسيب المخزومي (المتوفى سنة ٩٤هـ = ٧١٣م) وهو من شيوخ الزهري، وهو أحد العلماء الأثبات والتابعين. كتب شيئاً عن حياة الرسول ﷺ والفتوح رواه عنه الطبري في تاريخه.

٥ - وهب بن منبه اليامي الصنعاني (٣٤ - ١١٠هـ = ... - ٧٣٢م) تابعي جليل، يماني من أصل فارسي، وكان من أهل الكتاب الذين أسلموا، وكان ملماً بمعارف أهل الكتاب، كان يُعنى عناية خاصة بأحاديث أهل الكتاب.

ورجال هذه الطبقة وصل لنا الكثير من مروياتهم في السيرة.

د - مرحلة التدوين المبكرة للسيرة النبوية:

ابتدأ التأليف بالسيرة النبوية المشرفة في كتب مستقلة، بأجزاء معينة لأخبار معينة، ولم تكن شاملة أو متكاملة، فقد اقتصر الأمر لدى بعضهم على:

١ - تدوين أخبار المغازي.

٢ - تدوين أخبار المبعث.

٣ - انصرف آخرون لتدوين الوحي.

٤ - كتب آخرون عما لاقاه ﷺ في مكة قبل الهجرة.

٥ - تدوين تاريخ الهجرة...

لقد حرص كتاب السيرة وروايتها على ترتيب أحداث السيرة وفق الترتيب التاريخي وتتابع السنين، وإضافة الأشعار، وهذا الأمر خلت منه أحاديث المصطفى ﷺ، كما قام فريق من الرواة بالإيجاز والاختصار، واستبعاد بعض الأخبار التي ليس فيها الصدق، أو لا يمكن أن يقتنع بها الآخرون؛ ومثل هذا المنحى تميز به ابن هشام في كتابه السيرة.

هـ - رجال الطبقة الثانية

نشأت السيرة علي أيدي التاريخيين، والإخباريين، فقد كان أصحاب هذه الطبقة رواة أحداث، مهدت كتاباتهم لمن بعدهم كالزهري، والواقدي وابن إسحاق، وموسى بن عقبة. وصلنا الكثير من مروياتهم في السيرة. وهؤلاء جميعاً عاصروا الصحابة وأخذوا عنهم. ومنهم:

- ١ - عاصم بن عمر بن قتادة (توفي عام ١٢٠هـ = ٧٣٧م) اعتمد عليه ابن إسحاق كثيراً.
- ٢ - شرحبيل بن سعد مولى بني خزيمة (٢٣ - ١٢٣هـ = ... - ٧٤٠م). ولد ونشأ بالمدينة وتلقى عن جمع من الصحابة، ويعد من مؤرخي المغازي الأوائل..
- ٣ - محمد بن مسلم بن شهاب الزهري (٥١ - ١٢٤هـ = ٦٧١ - ٧٤٢م) ولد بالمدينة وهو من الثقات في الرواية، أجمع العلماء على جلالته، أخرج له أصحاب الصحاح، والسنن، والمسانيد، وكانت ذاكرته قوية كثير الحفظ، وإليه يرجع فضل تأسيس المدرسة التاريخية في كتابة السيرة. وهو من أوائل من دونوا الحديث. بل قيل: إنه أول من دون الحديث مطلقاً، وهو أول من أسند الحديث، وكذلك قيل أنه أول من دون في السيرة، وتوسع في جمع الروايات وتمحيصها واستخدام لفظ السيرة بدلاً من المغازي، وبذلك تكون سيرة الزهري هي أول سيرة ألفت في الإسلام، وقد روى الزهري المغازي عن عروة. ولذا تعد سيرة الزهري من أوثق السير وأصحها، ويعتمد عليه ابن إسحاق كثيراً في السيرة.
- ٤ - عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن حزم الأنصاري (المتوفى ١٣٠ - ١٣٥هـ) ولد بالمدينة وكان حجة فيما نقل وروى، وهو أحد مصادر علماء السيرة. وكان أبوه ممن قام بتدوين السنة والحديث بأمر أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز. ويعتبر عبد الله بن أبي بكر هو أول من سجل الأحداث التاريخية وفق ترتيب السنين، فجمع الغزوات مرتبة حسب السنوات، وقد أخذها عنه ابن إسحاق في السيرة.

الباب الخامس

الفصل العاشر

الدعاء في العهد الراشدي

أ - لهج الناس جميعاً بالدعاء في العهود اللاحقة لعصر الرسول ﷺ، وكثر الدعاء على ألسنة الناس لحاجاتهم الخاصة والعامة

أ - نماذج من الدعاء:

أولاً - من دعاء أبي بكر الصديق رضي الله عنه:

من دعاء سيدنا أبي بكر (رضي الله عنه) عندما أتني عليه أحد الرجال، فقال سيدنا أبو بكر:

١ - (اللهم لا تؤاخذني بما يقولون واغفر لي ما لا يعلمون واجعلني خيراً مما يظنون. وصلى الله على سيدنا محمد عدد ما مشى فوق السموات والأرضين ودرج، اللهم اجعل أوسع رزقك عليّ عند كبر سني وانقطاع عمري).

٢ - (اللهم إني أعوذ بعزتك لا إله إلا أنت أن تضلني أنت الحي الذي لا يموت والجن والإنس يموتون).

ثانياً - من دعاء عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

(اللهم! إني غليظ فليّني لأهل طاعتك بموافقة الحق ابتغاء وجهك، والدار الآخرة؛ وارزقني الغلظة، والشدة على أعدائك، وأهل الدعارة، والنفاق من غير ظلم مني لهم، ولا اعتداء عليهم.

اللهم! إني شحيح، فسحّني في نوائب المعروف قصداً عن غير سرف، ولا تبذير، ولا رياء، ولا سمعة؛ واجعلني ابتغي بذلك وجهك، والدار الآخرة.

اللهم! إني كثير الغفلة، والنسيان؛ فألهمني ذكرك على كل حال، وذكر الموت في كل حين.

اللهم! إني ضعيف العمل بطاعتك، فارزقني النشاط فيها، والقوة عليها بالنية الحسنة التي لا تكون إلا بعزتك، وتوفيقك.

اللهم! ثبتني باليقين، والبر، والتقوى، وذكر المقام بين يديك، والحياء منك؛ وارزقني الخشوع فيما يرضيك عني، والمحاسبة لنفسي، وإصلاح الساعات، والحذر من الشبهات.

اللهم! ارزقني التفكير، والتدبير كما يتلوه لساني من كتابك، والفهم له، والمعرفة بمعانيه، والنظر في عجائبه، والعمل بذلك ما بقيت إنك على كل شيء قدير).

ثالثاً - من دعاء علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

١ - اللهم لا تجعل الدنيا لي سجنًا ولا فراقها عليّ حزنًا أعوذ بك من دنيا تحرمني الآخرة ومن أمل يحرمني العمل ومن حياة تحرمني خير الممات.

٢ - إلهي ما قدر ذنوب أقابل بها كرمك وما قدر عبادة أقابل بها نعمك، وإني لأرجو أن تستغرق ذنوبي في كرمك كما استغرقت أعمالي في نعمك.

٣ - اللهم إني أسألك إخبات المحبتين وإخلاص الموقنين ومرافقة الأبرار والعزيمة في كل بر والسلامة من كل إثم والفوز بالجنة والنجاة من النار.

٤ - اللهم ارحمني رحمة الغفران إن لم ترحمني رحمة الرضا.

٥ - إلهي كيف لا يحسن مني الظن وقد حسن منك المن، إلهي إن عاملتنا بعدلك لم يبق لنا حسنة وإن أثلتنا فضلك لم يبق لنا سيئة.

٦ - اللهم إني أرى لدي من فضلك ما لم أسألك فعلمت أن لديك من الرحمة ما لا أعلم فصغرت قيمة مطلبي فيما عاينت وقصرت غاية أمني عندما رجوت فإن ألحفت في سؤالي فلفاقتي إلى ما عندك وإن قصرت في دعائي فبما عودت من ابتدائك.

٧ - اللهم كما صننت وجهي عن السجود لغيرك فصن وجهي عن مسألة غيرك.

٨ - اللهم صن وجهي باليسار ولا تبذل جاهي بالإقتار فأسترزق طالبي رزقك وأستعطف شرار خلقك وأبتلى بحمد من أعطاني وأفتتن بدم من منعني وأنت من وراء ذلك ولي الإعطاء والمنع، إنك على كل شيء قدير.

٩ - اللهم أنت خلقتني كما شئت فارحمني كيف شئت ووفني لطاعتك حتى تكون ثقتي كلها بك وخوفي كله منك.

رابعاً - أدعية متنوعة:

١ - دعاء أعرابي:

اللهم اغفر لي والجلد بارد والنفس رطبة واللسان منطلق والصحف منشورة والأقلام جارية والتوبة مقبولة والأنفس مريجة والتضرع مرجو قبل أن الفراق وحشك النفس وعلز الصدر وتزليل الأوصال ونصول الشعر واحتياف التراب وقبل أن لا أقدر على استغفارك حين يفنى العمل ويحضر الأجل وينقطع الأمل.

أعني على الموت وكربته وعلى القبر وغمته وعلى الميزان وخفته وعلى الصراط وزلته وعلى يوم القيامة وروعه اغفر لي مغفرة عزماً لا تغادر ذنباً ولا تدع كرباً اغفر لي جميع ما افترضت عليّ ولم أؤده إليك اغفر لي جميع ما تبت إليك منه، ثم عدت فيه.

يا رب تظاهرت عليّ منك النعم وتداركت عندك مني الذنوب فلك الحمد على النعم التي تظاهرت وأستغفرك للذنوب التي تداركت وأمسيت عن عذابي غنياً وأصبحت إلى رحمتك فقيراً اللهم إني أسألك نجاح الأمل عند انقطاع الأجل اللهم اجعل خير عملي ما ولي أجلي، اللهم اجعلني من الذين إذا أعطيتهم شكروا وإذا ابتليتهم صبروا وإذا أذكرتهم ذكروا واجعل لي قلباً تواباً أو اباً لا فاجراً ولا مرتاباً اجعلني من الذين إذا أحسنوا ازدادوا وإذا أساءوا استغفروا.

اللهم لا تحقق عليّ العذاب ولا تقطع بي الأسباب واحفظني في كل ما تحيط به شفقتي وتأني من ورائه سبحتي وتعجز عنه قوتي أدعوك دعاء ضعيف عمله متظاهرة ذنوبه ضنين على نفسه، دعاء من بدنه ضعيف ومنته عاجزة قد انتهت عدته وخلقت جدته وتم ظمؤه، اللهم لا تخيبي وأنا أرجوك ولا تعذبي وأنا أدعوك، والحمد لله على طول النسيئة وحسن التباعة وتشنج العروق وإساعة الريق وتأخر الشدائد والحمد لله على حلمه بعد علمه وعلى عفوه بعد قدرته، اللهم إني أعوذ بك من الفقر إلا إليك ومن الذل إلا لك وأعوذ بك أن أقول زوراً أو

أغشى فجوراً أو أكون بك مغروراً وأعوذ بك من شماتة الأعداء وعضال الداء وخيبة الرجاء
وزوال النعمة.

٢ - دعاء أعرابي:

ودعا أعرابي وهو يطوف بالكعبة فقال:

إلهي من أولى بالتقصير والزلل مني وأنت خلقتني ومن أولى بالعفو منك عني وعلمك بي
ماض وقضاؤك بي محيط أطعتك بقوتك والمنة لك وعصيتك بعلمك فأسألك يا إلهي بوجوب
رحمتك وانقطاع حجتي وافتقاري إليك وغناك عني أن تغفر لي وترحمني.

إلهي لم أحسن حتى أعطيتني فتجاوز عن الذنوب التي كتبت عليّ اللهم إنا أطعناك في
أحب الأشياء إليك شهادة أن لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك ولم نعصك في أبغض
الأشياء إليك الشرك بك فاغفر لي ما بين ذلك.

اللهم إنك آنس المؤمنين لأوليائك وأحضرهم للمتوكلين عليك إلهي أنت شاهدهم
وغائبهم والمطلع على ضرائرهم وسري لك مكشوف وأنا إليك ملهوف إذا أوحشتني الغربية
آنسني ذكرك وإذا أكبّت عليّ الغموم لجأت إلى الاستجارة بك علماً بأن أزمّة الأمور كلها بيدك
ومصدرها عن قضائك فأقللني إليك مغفوراً لي معصوماً بطاعتك بقية عمري يا أرحم
الراحمين.

٣ - دعاء أعرابي:

أعرابي يطوف بالكعبة ويقول: يا خير موفود سعى إليه الوفد قد ضعفت قوتي وذهبت
متني وأتيت إليك بذنوب لا تغسلها الأنهار ولا تحملها البحار أستجير برضاك من سخطك
وبعفوك من عقوبتك، ثم التفت فقال: أيها المشفقون ارحموا من شملته الخطايا، وغمرته
البلايا. ارحموا من قطع البلاد وخلف ما ملك من التلاد ارحموا من وبّخته الذنوب وظهرت
منه العيوب، ارحموا أسير ضر وطريد فقر أسألكم بالذي أعملتم الرغبة إليه إلا ما سألتكم الله
أن يهب لي عظيم جرمي، ثم وضع في حلقه بالباب خده وقال: ضرع خدي لك وذل مقامي
بين يديك، ثم أنشأ يقول:

عظيم الذنب مكروب من الخيرات مسلوب
وقد أصبحت ذا فقر وما عندك مطلوب

٤ - دعاء أعرابي:

وسمع أعرابي بعرفات عشية عرفة وهو يقول:

اللهم إن هذه عشية من عشايا محبتك وأحد أيام زلفتك يأمل فيها من لجأ إليك من خلقك أن لا يشرك بك شيئاً بكل لسان فيها يدعى ولكل خير فيها يرجى، أتتك العصاة من البلد السحيق ودعتك العناة من شعب المضيق رجاء ما لا خلف له من وعدك ولا انقطاع له من جزيل عطائك أبدت لك وجوهها المصونة صابرة على وهج السمائم وبرد الليالي ترجو بذلك رضوانك يا غفار يا مستزاداً من نعمه ومستعاداً من نقمه ارحم صوت حزين دعاك بزفير وشهيق.

ثم بسط كلتا يديه إلى السماء وقال: اللهم إن كنت بسطت يديَّ إليك داعياً فظالما كفيتني ساهياً بنعمتك التي تظاهرت عليّ عند الغفلة فلا أبأس بها عند التوبة لا تقطع رجائي منك لما قدمت من اقرار آثامك وإن كنت لا أصل إليك إلا بك فهب لي يا رب الصلاح في الولد، والأمن في البلد والعافية في الجسد وعافني من شر الحسد ومن شر الدهر النكد.

٥ - دعاء أعرابي:

ودعا أعرابي فقال: يا عماد من لا عماد له ويا ركن من لا ركن له ويا مجر الضعفى ويا منقذ الهلكى، ويا عظيم الرجاء أنت الذي سبّح لك سواد الليل وبياض النهار وضوء القمر وشعاع الشمس وحفيف الشجر ودوي الماء، يا محسن يا مجمل يا مفضل لا أسألك الخير بخيرهم عندك، ولكني أسألك برحمتك فاجعل العافية لي شعاراً ودثاراً وجنة دون كل بلاء.

٦ - دعاء أعرابي:

اللهم إن استغفاري إياك مع كثرة ذنوبي للؤم وإن تركي الاستغفار مع معرفتي بسعة رحمتك لعجز إلهي كم تحببت إلي بنعمتك وأنت غنيّ عنيّ وكم أتبغض إليك بذنوبي وأنا فقير إليك سبحانه من إذا توعد عفا وإذا وعد وفى.

٧ - دعاء أعرابي: اللهم إن ذنوبي إليك لا تضرك وإن رحمتك إياي لا تنقصك فاغفر لي ما لا يضرك وهب لي ما لا ينقصك.

٨ - دعاء أعرابي: اللهم إني أسألك عمل الخائفين وخوف العاملين حتى أتنعم بترك النعيم طمعاً فيهما وعدت وخوفاً مما أوعدت اللهم أعذني من سطواتك وأجرني من نقماتك سبقت لي ذنوب وأنت تغفر لمن يحوب إليك بك أتوسل ومنك إليك أفر.

٩ - دعاء أعرابي: اللهم إن قوماً آمنوا بك بألستهم ليحقتوا دماءهم فأدركوا ما أملوا وقد آمننا بك بقلوبنا لتجيرنا من عذابك فأدرك منا ما أملناه.

١٠ - دعاء أعرابي متعلق بأستار الكعبة رافعاً يديه إلى السماء وهو يقول: رب أترك معذبنا وتوحيديك في قلوبنا وما إخالك تفعل ولئن فعلت لتجمعنا مع قوم طالما أبغضناهم لك.

١١ - دعاء أعرابي يقول في صلاته: الحمد لله حمداً لا يبلى جديده ولا يحصى عديده ولا يبلغ حدوده اللهم اجعل الموت خير غائب نتظره، واجعل القبر خير بيت نعمره، واجعل ما بعده خيراً لنا منه اللهم إن عيني قد اغرورقتنا دموعاً من خشيتك فاغفر الزلة وعد بحلمك على جهل من لم يرج غيرك.

١٢ - دعاء أعرابي أخذ بحلقتي باب الكعبة وهو يقول:

سائلك عند بابك ذهبت أيامه وبقيت آثامه وانقطعت شهوته وبقيت تبعته فارض عنه وإن لم ترض عنه فاعف عنه غير راض.

١٣ - دعاء أعرابي عند الكعبة فقال: اللهم إنه لا شرف إلا بفعال ولا فعال إلا بال فأعطني ما أستعين به على شرف الدنيا والآخرة.

١٤ - دعاء أعرابي تعلق بأستار الكعبة فقال: بك أعوذ وإليك ألوذ فاجعل لي في اللهب إلى جوارك والرضا بضمائك مندوحة عن منع الباخلين وغنى عما في أيدي المستأثرين اللهم عد بفرجك القريب ومعروفك القديم وعادتك الحسنة، ثم دعا في عرفات قائماً على قدميه وهو يقول: اللهم إن كنت لم تقبل حجتي ونصبي وتعبي فلا تحرمني أجر المصاب على مصيبتيه، فلا أعلم مصيبة أعظم ممن ورد حوضك وانصرف محروماً من وجه رغبتك.

١٥ - دعاء أعرابي يطوف بالكعبة وهو يقول: إلهي عبَّت إليك الأصوات بضروب من اللغات يسألونك الحاجات وحاجتي إليك إلهي أن تذكرني على طول البكاء إذا نسيتني أهل الدنيا اللهم هب لي حَقك وأرض عني خَلقك اللهم لا تُعِينني في طلب ما لم تقدره لي وما قدرته لي فيسره لي.

١٦ - دعاء أعرابية لابن لها وجهته إلى حاجة فقالت: كان الله صاحبك في أمرك وخليفتك في أهلك وولي نَجح طلبتك امض مصاحباً مكلوئاً لا أشمت الله بك عدواً ولا أرى محبيك فيك سوءاً.

١٧ - خرجت أعرابية إلى منى فقطع بها الطريق فقالت:

يا رب أعطيت وأخذت وأنعمت وسلبت وكل ذلك منك عدل وفضل والذي عظم على الخلائق أمرك لا بسطت لساني بمسألة أحد غيرك ولا بذلت رغبتي إلا إليك يا قرّة أعين السائلين أغنني بجمود منك أتبجح في فراديس نعمته وأثقلب في رواق نضرته أحملني من الرحلة وأغنني من العيلة واسدل عليّ سترك الذي لا تحرقه الرماح ولا تزيله الرياح إنك سميع الدعاء.

سادساً - أدعية شتى

أ - مات ابن لأعرابي فقال: اللهم إني وهبت له ما قصر فيه برِّي فهب لي ما قصر فيه من طاعتك فإنك أجود وأكرم.

ب - ووقف أعرابي في بعض المواسم فقال: اللهم إن لك علي حقوقاً فتصدق بها علي وللناس تبعات قبلي فتحملها عني وقد أوجبت لكل ضيف قرى وأنا ضيفك الليلة فاجعل قرابي فيها الجنة.

ج - وهذا أعرابي يقول عشية عرفة:

اللهم لا تحرمني خير ما عندك لشر ما عندي وإن لم تتقبل تعبي ونصبي فلا تحرمني أجر المصاب على مصيبيته.

د - أعرابي يقول لرجل: أطعمك الله الذي أطعمتني له فقد أحيتني بقتل جوعي ودفعت عني سوء ظني فحفظك الله على كل جنب وفرج عنك كل كرب وغفر لك كل ذنب.

ه - أعرابي يصلي وهو يقول: أسألك الغفيرة والناقة الغزيرة والشرف في العشرة فإنها عليك يسيرة.

و - أعرابي يدعو لرجل فقال: جنبك الله الأمرين وكفأك شر الأجوفين وأذأك البردين.

ز - ودعا أعرابي فقال: اللهم إني أسألك البقاء والنماء وطيب الإثناء وحط الأعداء ورفع الأولياء.

ح - وقال أعرابي: اللهم لا تنزلي ماء سوء فأكون امرأ سوء.

ط - وقال أعرابي: اللهم قني عثرات الكرام.

ي - ووهب رجل لأعرابي شيئاً فقال: جعل الله للمعروف إليك سبيلاً وللخير عليك دليلاً وجعل عندك رفاً جزياً وأبقاك بقاء طويلاً وأبلاك بلاء جميلاً.

ك - أعرابي يدعو وهو يقول: اللهم ارزقني مالا أكبت به الأعداء وبنين أصول بهم على الأقباء.

ل - ودعت أعرابية على رجل فقالت: أمكن الله منك عدواً حسوداً وفجع بك صديقاً ودوداً وسلط عليك هما يضمنيك وجاراً يؤذيك.

م - ودعا أعرابي فقال: أعوذ بك من الفواقر والبواقر ومن جار السوء في دار المقامة والظعن ومما ينكس رأس المرء ويغري به لئام الناس.

ن - وقال أعرابي: أعوذ بك من سقم، وعداوة ذي رحم ودعواه، ومن فاجر وجدواه وعمل لا ترضاه.

ص - ودعت أعرابية لرجل فقالت: كبت الله كل عدو لك إلا نفسك.

ع - ودعا أعرابي فقال: اللهم هب لي حقل وأرض عني خلقك.

ف - وقال أعرابي: اللهم إنك أمرتنا أن نعفو عمن ظلمنا وقد ظلمنا أنفسنا فاعف عنا.

الباب السادس

الشعر في العصر الراشدي

الباب السادس

الفصل الأول

حركة الشعر في هذا العصر

صحيح أن العرب قد انشغلوا بالقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف ونشر الإسلام والجهاد في سبيل الله تعالى، ولكنهم لم يتركوا الشعر، فالعرب لا تترك الشعر حتى تترك الإبل الحنين كما تقول السيدة عائشة رضي الله عنها؛ وقد كثرت دواعي الشعر في عصر الخلفاء الراشدين استجابة لدواعي نفوس الشعراء وما وجدوه في مسيرهم للجهاد، أو تنقلهم في البلاد.

١ - في عهد أبي بكر الصديق: أثارت حروب الردة قرائح الشعراء، وخلفت شعراً كثيراً في النصح للمرتدين ووعظهم وتخويفهم، وفي الحماسة الدينية في مواقع الحروب كقول أوس بن بَجير الطائي:

فليتَ أبا بكرٍ يرى من سيوفنا وما تختلي من أذرعٍ ورقابِ
ألم تـرَ أنّ الله لا ربَّ غيـرُهُ يصبُّ على الكفارِ سوطَ عذابِ

وللمرتدين كذلك أشعار مختلفة يستثيرون بها العزائم. ولما استقر الوضع رأى أبو بكر أن يرسل الجيوش إلى خارج الجزيرة لنشر الإسلام ولإكمال الفتوح. ولما توفي رثاه الشعراء.

٢ - في عهد عمر بن الخطاب فتح الله له الفتوح. فكانت تلقانا في كل موقعة حربية أشعار حماسية كثيرة.

وكان لهذه الفتوح جانبها الإنساني عند من شارك فيها من المسلمين، ومن تخلف عنها لكبر أو عجز أو مرض. وإذا بنا بكثير من الشعراء في الفتوح لم يشتهروا بالشعر ونظمه من قبل.

وخرج الشعراء إلى الحروب مع غيرهم ممن خرج إليها مبتغين بذلك وجه الله وثواب الآخرة. اسمع النابغة الجعدي يقول لامرأته وقد أظهرت جزعها لخروجه إلى فتح فارس:

يا بنت عمي كتابُ الله أخرجني طوعاً وهل أمنعنَّ الله ما فعلا
فإن رجعتُ فربُّ الناسِ أرجعني وإن لحقتُ بربي فابتغي بدلا
ما كنتُ أعرجُ أو أعمى فيعذرني أو ضارِعاً من ضنى لم يستطع حولا

٣ - في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه استمر حال الفتوح على ما هو عليه. ثم تناول الشعراء الثورة العنيفة التي اندلعت في عهده، ولما قُتل على يد الثوار في شهر ذي الحجة سنة ٣٥هـ بكوه بكاء كثيراً من ذلك قول أيمن بن حُرَيم:

ضحوا بعثمان في الشهرِ الكريمِ ضحى وأيُّ ذنبٍ حرامٍ ويلهمُ ذبحوا
إن الذين تولوا قتله سفهاً لاقوا أثاماً وخسراناً فما ربحوا
ماذا أرادوا أضلَّ اللهُ سعيهمُ بسفحهم للدم الزاكي الذي سفحوا

٤ - وشهدت الفتنة التي حدثت في عهد علي بن أبي طالب رضي الله عنه شعراً كثيراً حفظته الكتب.

وكتب الأدب والتاريخ تزخر بما نُظِم من أشعار في صدر الإسلام، فليس هناك حدث كبير إلا ويواكبه الشعر ويرافقه.

و لم يتوقف الشعر ولم يتخلف في هذا العصر، ومن الظلم للإسلام أن يقال إنه كف العرب عن الشعر؛ فقد كان ينشد على كل لسان، وساعدت الأحداث على ازدهاره لا على خموله.

الباب السادس

الفصل الثاني

شعر الفتوح الإسلامية

أ - مقدمة:

استطاع الإسلام أن يخترق نفوس العرب، وأن يدفعهم بحثاً عن الجهاد في سبيل الله تعالى وقد خرج هؤلاء العرب من جزيرتهم بعد حروب الردة يجاهدون في سبيل الله دولتي الفرس والروم، ففضوا على الأولى، واستولوا على أهم ولايتين للثانية، وهما: الشام ومصر. وكانوا في أثناء ذلك الجهاد ينظمون في الموضوعات التالية:

- ١ - الأناشيد الحماسية التي يتغنون فيها بانتصاراتهم، ويمتدحون شجاعتهم في فتوحهم، بما يقدمونه في سبيل الله تعالى ودينه.
- ٢ - المرثي الرائعة لبعض من سقطوا من الشهداء في تلك الفتوح.
- ٣ - الحنين البالغ للديار والأهل.
- ٤ - الوصف لكثير مما شاهدوه في فتوحهم من المعامل والحصون والحيوانات، وتحدثوا عمّا نزل بهم من الأمراض والطواعين.

ب - خصائص شعر الفتوح الإسلامية:

يمثل شعر الفتوح الإسلامية خصائص متميزة من أهمها:

- ١ - الانطباع بطابع الآداب الشعبية.
- ٢ - لم يبلغ مبلغ أشعار كبار الشعراء في هذا العصر.
- ٣ - قائلو هذه الأشعار مجهولون.
- ٤ - استخدام وزن الرجز لسهولة.
- ٥ - الإيجاز.

٦ - أنه شعر اللمحات السريعة.

٧ - أنه شعر المواقف الخاطفة.

٨ - أكثره مقطوعات قصيرة.

٩ - البساطة.

١٠ - عدم التكلف.

١١ - يجري فيه الشاعر على سجيته.

١٢ - لا يدقق في المعنى.

١٣ - لا ينقح اللفظ.

١٤ - في هذا الشعر القصص الخيالية التي صاغها الشعراء عن أبطال الفتوح وجهادهم.

١٥ - استخدام الخيال في القصص والأشعار.

وإذا توقفنا مع القادسية بين المسلمين والفرس، فإننا نجد أسماء كثير من الشعراء تصايحوا بالشعر الحماسي، أشهرهم (قيس بن المكشوح المرادي) الذي أبلى في هذه المعركة بلاء حسناً، وقتل رستم قائد الفرس في تلك المعركة في مقطوعته التي يصور فيها هذا:

جلبتُ الخيلَ منْ صنعاءَ تردي	بكلِّ مدججٍ كالليثِ سامي
إلى وادي القُرى فديارِ كلِّبٍ	إلى اليرموكِ فالبلدِ الشامِ
وجئن القادسيةَ بعدَ شهرٍ	مسومةً دوابرها دوامي
فناهضنا هنالكَ جمعَ كِسرى	وأبناءَ المرازبةِ الكرامِ
فلما أن رأيتُ الخيلَ جالتُ	قصدتُ لموقفِ الملكِ الهامِ
فأضربُ رأسهُ فهوى صريعاً	بسيفٍ لا أفلَّ ولا كهامِ
وقد أبلى الإلهُ هناكَ خيراً	وفعلُ الخيرِ عندَ اللهِ نامِ

الباب السادس

الفصل الثالث

أعلام الشعر في هذا العصر الراشدي

أولاً: علي بن أبي طالب رضي الله عنه

أ - حياته ونشأته

خلافة علي بن أبي طالب

٣٥ - ٤٠ هـ / ٦٥٦ - ٦٦١ م

(١) نشأته ومبايعته بالخلافة

- نشأته وصفاته: ولد علي بن أبي طالب ابن عم الرسول ﷺ قبل البعثة النبوية بعشر- سنين، ولذا فهو أصغر من الرسول بثلاثين سنة. أقام في بيت النبوة، ونشأ في كنف الرسول على الصفات الكريمة والأخلاق الفاضلة كالشجاعة والإقدام، وإلى جانب ذلك عُرف بفصاحته وعلمه وفقهه، كما أنه لم يسجد لصنم قط. وهو أول من أسلم من الفتيان، وكان أقرب الناس إلى قلب الرسول وزوج ابنته فاطمة الزهراء التي ولدت له الحسن والحسين. ومما يؤكد رجاحة عقله وسداد رأيه، وأنه كان أحد المرشحين الستة لمنصب الخلافة بعد وفاة عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

ب - مبايعته بالخلافة:

بعد مقتل الخليفة عثمان بن عفان، أصبحت الدولة الإسلامية دون خليفة يسير أمورها ويدير شؤونها. وكان أبرز المرشحين للخلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه، حيث بادر معظم الموجودين في المدينة المنورة إلى مبايعته، وبذلك أصبح علي رضي الله عنه الخليفة الراشدي الرابع سنة ٣٥ هـ. عاش علي رضي الله عنه حياة خشونة على الرغم من كثرة الأموال التي كانت تُجبي إليه من أطراف الدولة الإسلامية.

- خلافة علي بن أبي طالب

٣٥ - ٤٠ هـ / ٦٥٦ - ٦٦١ م

(٢) ج - أعماله

١ - سياسته في الحكم:

بعد مبايعة المسلمين لعلي بن أبي طالب بالخلافة صعد المنبر ليعلن الأساليب التي سوف يتبعها في سياسته القادمة، فأشار في حكمة وبلاغة إلى النهج الذي يستقبل به عهد خلافته، مؤكداً على حرمة المسلم وعدم إهدار كرامته، والدعوة للأخذ بالخير وترك الشر. بويع علي بالخلافة في فترة تاريخية معقدة وحرجة وكان عليه: أن يكبح جماح الاضطرابات الداخلية التي تعترض طريق خلافته وأن يزيل العقبات والحواجز التي تهدد الأمة العربية الإسلامية.

٢ - أعماله الإدارية:

إلى جانب ما تميز به الخليفة علي بن أبي طالب من شجاعة وإقدام، وتفقه في الدين، وصدق وثبات في العقيدة، تميز بجليل الأعمال منها: حافظ على مبدأ الشورى في الإسلام يدل على ذلك عندما سأله بعض المسلمين وهو على فراش الموت أن يعهد لابنه الحسن بالخلافة فقال: ((لا آمركم ولا أنهاركم، أنتم أبصر)).

وعمل الخليفة علي بن أبي طالب وفق الطريقة التي سادت زمن الرسول الكريم (ﷺ) والخليفين أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما باختيار الولاة الذين عرفوا بالكفاءة والنزاهة. وقاوم الفساد فعزل الولاة الذين لم تثبت كفاءتهم. وحرص على حقوق المسلمين فطبق العدالة على الجميع. فكان أول من جلس للمظالم حيث خصص لها يوماً من كل أسبوع ليستمع إلى المظلومين لإنصافهم.

٣ - الأعمال الفكرية:

ساهم الخليفة علي بن أبي طالب وجهه في وضع أسس علم النحو للغتنا العربية وله الفضل في تقسيم الكلمة إلى اسم وفعل وحرف والأحرف المشبهة بالفعل والأسماء الظاهرة والمضمرة. وصنفت أقواله المأثورة في كتاب (نهج البلاغة).

د - شخصيته وأبعاده:

تحمل شخصية علي رضي الله عنه أبعاداً متعددة تتمثل في ثبات العقيدة والتي لا تختلف عن أقرانه من الخلفاء الراشدين الأربعة، بل نجده في بعض الأحيان يدلل على رسوخه في هذه العقيدة فقد آمن بدعوة الإسلام منذ كان صبياً ونام في فراش الرسول ﷺ حين هاجر من المدينة المنورة إلى مكة المكرمة إيماناً منه أن الموت قدر، ولو أن المشركين هاجموا فراش النبي ﷺ بالسيوف لقتلوا علياً معتردين أنه النبي، وكذلك يتميز علي بالعلم فقد جمع علوم الأولين ولم يغفل عن بعضها وخاصة علوم الدين واللغة، ويقال إنه قد لقن أبا الأسود الدؤلي مبادئ علم النحو وكذلك تميز علي برجاحة العقل وتفوقه في فهم حوادث الزمان وما يجري في عصره، بل تجده يتوقع حوادث كثيرة مستتجاً إياها من تحليل الأسباب والمسببات وتمييز علي بالشجاعة والقوة والجرأة في قتال الأعداء حتى أنه قتل الكثير من المشركين في مبارزات وقعت بين معسكري الإيمان والكفر إضافة إلى أنه حمل باب حصن خيبر ورفعته بنفسه مع العلم أن أربعين رجلاً اجتمعوا لرفع هذا الباب سوية.

وتميّز علي بالقدرة على تفسير آيات القرآن الكريم تفسيراً أبهر العرب والعجم وكذلك كان علي خطيباً بارعاً وشاعراً متميزاً وخطبه التي قالها في العهد الراشدي تُنبئ عن قدرته الخطابية التي جمعت في كتاب نهج البلاغة، وإن كان البعض يشك في نسبة بعضها إلى علي رضي الله عنه.

أما شعره الذي جمع في ديوان دون تحقيق فقد كان المثل الأعلى في قرص الشعر المعتمد على السليقة والذي كان يرتجله تبعاً للموقف الذي كان يتعرض له، لقد كان علي رضي الله عنه القائد العسكري الذي لا يعتمد الخداع والحيلة في مقارعتة لأعدائه ومعارضيه فقد شن حرباً شعواء على الكفار، وكان كفئاً لذلك وقاتل الخوارج ومزقهم شر ممزق ولم يتوان في قتال الخارجين على سلطان الخليفة في معركة حنين، ولكن يد الغدر عاجلته عندما كان يصلي صلاة الصبح ولو كان مغتاله يجرؤ على مواجهته لما صنع صنيعته غدرًا وخداعاً فقد قتل وإخوته من الصحابة غدرًا وخداعاً (قُتل ابن الخطاب عمر الفاروق غدرًا من قبل أبي لؤلؤة المجوسي وحوصر عثمان رضي الله عنه وقُتل وهو يقرأ القرآن في داره، وقتل علي رضي الله عنه من قبل

عبد الرحمن بن ملجم) ولقد انطوت بعد استشهاد هذا الصحابي الجليل صفحة ناصعة من صفحات التاريخ العامرة بالقوة والعدل والحق، ومما قاله لما بوبع بالخلافة:

أغمض عيني في أمور كثيرة وإني على ترك الغموض قدير
وما من عمى أغضى ولكن لربما تعامى وأغضى المرء وهو بصير
وأسكت عن أشياء لو شئت قلتها وليس علينا في المقال أمير
أصبر نفسي باجتهادي وطاقتي وإني بأخلاق الجميع خبير
وهذا يدل على سعة أفق علي رضي الله عنه وخبرته الواسعة بالناس والتي كَوَّنَهَا بفضل خبرته بسرائر الناس وقدرته التحليلية ومعرفته بحوادث الزمان وما ينتج عنها من مشاكل تتسع وتضيق بحسب تقلب الليل والنهار. نعم لقد كان علي رضي الله عنه خبيراً، ولكنه كان يتغاضى عن كثير من القضايا ويتغافل عنها وليس تغافله عن جهل أو عمى وإنما عن خبرة بالناس، ولذلك نجده يحاول نقل الخلافة من المدينة المنورة إلى الكوفة لتقديره أن الصراع بين الناس على الخلافة سينتج عنه سفك دماء كثيرة، وأنه يريد أن يجنّب مدينة الرسول ﷺ هذه الدماء التي كان من الأولى أن تكون في ساحات القتال مع المشركين وفي سبيل نصره الدين وقمع الأعداء، ومن هنا نجده قد دُهِش وسر عندما أقبل مع جماعته على الكوفة حيث قال:

يا حبذا مقامنا بالكوفة أرض سواء سهلة معروفة
تطرقها جماننا الملعوفة عمت صباحاً واسلمي مألوفة

هـ - ورعه وتعفّفه

تميّز علي رضي الله عنه بالإضافة إلى حكمته وعلمه وعقله الراسخ بالورع والتعفّف، فقد أُثِرَ أنه كان ورعاً متعفّفاً عاش حياته فقيراً زاهداً لم تغره أموال الخلافة ولم يمد يده إليها، فقد تربى على عزة النفس وصيانتها من أموال الخلافة ولم يسمح لأحد من أبنائه باستغلال منصب الخلافة وقد جاءه أخوه عقيل وغبرة الجوع على وجهه وطلب منه طعاماً من بيت مال المسلمين فرفض أن يعطيه دون أن يعطي جياع المسلمين من بيت المال قبله، وهذا يدل على أن الخليفة يتورع عن بيت المال ولو كان لمسلم جائع وكان أخاه.

ولقد كان من أسباب الفتنة في عهده عدم سماح علي رضي الله عنه للناس أن يأخذوا من بيت المال كيفما شاؤوا ولو أن علياً رضي الله عنه أراد الدنيا لأخذها كيفما يشاء ومتى شاء، ولكنه الإسلام الذي اتخذته سبيلاً منعه من ذلك.

و - فضائل علي رضي الله عنه

لقد جاء الإسلام ليبنى الإنسان بناءً سليماً معافى من الأمراض والأوصاب والأوجاع النفسية والعقلية والعقدية، بل ليصنع منه إنساناً يحب الأرض ويجاهد في سبيل الله تعالى لنشر دعوته ودينه ليعم السلام الصحيح على هذه الأرض ولترتفع راية التوحيد، وقد كان علي بن أبي طالب وبصرف النظر عن أن النبي محمد عليه الصلاة والسلام، قد تربى في بيت أبي طالب والد علي وعاشه إبان كفالة والد علي النبي ﷺ وأن علياً رضي الله عنه قد تربى في بيت النبي بعد موت والده أبي طالب وبصرف النظر عن أن علياً قد تزوج ریحانة النبي عليه الصلاة والسلام، بصرف النظر عن ذلك - فقد كان علي أول الصبيان إيماناً وأنه الفدائي الأول الذي نام في فراش النبي ليلة هجرته من مكة المكرمة، إلى المدينة المنورة وأنه كان دائماً من رؤوس المجاهدين في معارك الإسلام جميعها باستثناء (تبوك) وأنه قتل رؤوس المشركين في بدر وأحد والخندق وخيبر وغيرها، وأنه تولى الخلافة إبان فتنة الأمة التي سبقتها موقعة الجمل واقتتال الأمة وذهاب الكثير من الناس جراء هذه الفتنة.

ز - خطبه (موضوعاتها وخصائصها الفنية)

بعد علي رضي الله عنه الخطيب البارز بعد رسول الله ﷺ، إذ يمتلك هذا الصحابي الجليل براعة عظيمة وفصاحة بليغة وعقلاً متفتحاً، لم يترك قضية من القضايا في عصره إلا وتحدث عنها، ومن ذلك (الخطبة الشقشقية).

ح - رسائل علي رضي الله عنه

الدارس لفنون القول على مر العصور يدرك أن علياً لم يترك فناً من فنون القول في عصره إلا وكتب فيه وكان بارعاً فيه والرسائل أحد وسائل القول التي استخدمها رضي الله عنه في سبيل نشره الدعوة أو محاججة الأعداء أو الخصوم، ومن ذلك رسائله إلى عماله على الولايات أو رسائله لمعاوية رضي الله عنه، ومن ذلك كتابه الذي أرسله إلى معاوية مبيناً له براءته من دم

عثمان، ومن أهم خطبه ما قاله في النخيلة بعد أن وردت خيل معاوية الأنبار فقتلوا عاملاً له يقال له حسان بن حسان البكري.

ومن رسائله ما كتبه إلى عثمان بن حنيف الأنصاري عامله على البصرة وقد بلغه أنه دُعي إلى وليمة فمضى إليها، ومن رسائله ما كتبه إلى أمراء جيوشه، وما كتبه إلى الأشتر النخعي لما وَّلاه على مصر.

ط - شعر علي رضي الله عنه:

لم يكن الشعر في حياة علي وسيلة للتكسب أو الظهور أو محاباة الملوك والحكام من أجل حفنة من الدراهم أو مكانة من المكانات، بل هو موهبة فطرية جاءت على لسانه تعبر تعبيراً صادقاً عما يجيش في نفسه من مواقف ومشاعر وانفعالات يتعلق بأهدافه التي يتسع لها الكون؛ لأنها بحث عن الحقيقة وهداية للناس ودفاع عن الحق ورفع لراية التوحيد ونشر لكلمة (لا إله إلا الله، محمد رسول الله) على الملأ.

نعم إن المتصفح لشعر علي يجده لا يشذ عن هذه الأهداف، وقد رأينا أن معظم الشعراء في عصره وقبله كانوا يتخذون الشعر وسيلة لأهداف رخيصة وغايات وضیعة ولقد ترك لنا علي رضي الله عنه مجموعة من الأشعار تنانرت هنا وهناك فهو لم يدون شعره ولم ينقحه بعد أن قاله، بل كان يأتيه عفو الخاطر ولولا فصاحته وثقافته وخبرته في علوم ومعارف العرب لما جاءت هذه الأشعار بهذه الجزالة والقوة، كما وأن شعر علي لم تكن موضوعاته خارجة عن أهداف ومبادئ الدعوة الإسلامية:

١ - الدفاع عن الرسول.

٢ - رثاء الرسول عليه الصلاة والسلام.

٣ - رثاء الصحابة والمجاهدين.

٤ - الافتخار بالتوحيد.

ولم نجد منه ميلاً للحديث عن الغزل سواء كان فاحشاً أم عفيفاً أو اتجاهاً للهجاء سواء كان مقذعاً أو عادياً، اللهم إلا هجاء المشركين من قريش وغيرهما من القبائل أو مدحاً من

أجل المكاسب المادية، ومن هنا جاء شعره شعراً سامياً وسامقاً غايته الأولى الارتقاء بالإنسان من طبيئته الدنيوية إلى ملائكيته العالية.

ي - الخصائص الفنية لشعره:

يتميز شعر علي رضي الله عنه بجزالة الألفاظ وقوتها ونصاعة العبارة وانسيابها والقدرة على التعبير عن المعاني بشكل عقلي لا بشكل عاطفي فهو في الحماسة جزل العبارة:
أنا الذي سمنتني أمي حيدرة ضرغام آجام وليث قسورة
وهو في الرثاء هامس العبارة كما في رثائه للنبي عليه الصلاة والسلام:
فيا خير من ضم الجوانح والحشا ويا خير ميت ضمه القبر والحشا
ورقيق الجمل هامس المفردات يعبر عن الحزن المشوب بالأمل في لقاء الله تعالى ولقاء هؤلاء الأحبة يوم القيامة:

نفسني على زفرائها محبوسة ياليتها خرجت مع الزفرات
لا خير بعدك في الحياة وإنني أبكي مخافة أن تطول حياتي
وأما هجاؤه فقد كان لوماً وتقريعاً للمهجو على إغفاله المخالفة للدين كقوله في أبي لهب:
لحقت أبا جهل فأصبحت تابعا له وكذاك الرأس يتبعه الذنب
فأصبح ذاك الأمر عاراً يهيله عليك حجيج البيت في موسم العرب
أما حديثه عن الأدب الاجتماعي، فحدّث ولا حرج فقد كان علي رضي الله عنه حاذقاً في فهم النفس الإنسانية والحياة الاجتماعية فقد اعتمد على ألفاظ التقريع في مهاجمته لمن يفخر بنسبه لا بدينه بينما كانت ألفاظه يائسة في حديثه عن غدر الأصدقاء:

تغيرت المودة والإخاء وقل الصدق وانقطع الرجاء
وأسلمني الزمان إلى صديق كثير الغدر ليس له رعاء
وهكذا في جميع أغراضه فقد كان مناسباً بين عباراته وألفاظه وبين أغراضه.

ك - موضوعات شعر علي بن أبي طالب رضي الله عنه

لا شك أن شخصية كشخصية علي بن أبي طالب المتميزة بثبات العقيدة والشجاعة والعلم والحكمة والأدب والشعر والخطابة تحتاج إلى دراسة.... إذ إن علي بن أبي طالب البطل الشجاع المقاتل الفذ استفرغ طاقاته الأدبية والشعرية في قضايا العقيدة طلباً لنشر الإسلام ودفاعاً عن الرسول عليه الصلاة والسلام، ومن هنا جاء شعره مرآة حقيقية لكل ما يتعلق بالدعوة الإسلامية.

١ - أشعار الفتن:

عَبَّرَ علي رضي الله عنه عن موقفه تجاه الفتن التي عايشها والتي عصفت بالأمة الإسلامية بعد موت الرسول ﷺ ابتداءً من الخلاف حول خلافة المسلمين بعد رسول الله عليه الصلاة والسلام، وعلى الرغم من قناعة علي رضي الله عنه تعالى بأن خلافة أبي بكر رضي الله تعالى عنه وخلافة عمر وعثمان كانت موافقة للشرع والدين ورضا الناس جميعاً وبالرغم من ادعاء بعض الناس أنها لم تكن موافقة للشرع فقد كان علي وهو صاحب العقيدة الراسخة والإيمان الصادق والسلوك الذي لا يخالف جمهور المسلمين في أن أبا بكر وعمر هما من أشياخ الصحابة الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه وأن اختيار الصحابة لعثمان بعد عمر إنما كان يرضي المسلمين وأن رسول الله تعالى لم يوص بالخلافة وأن نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية تحدثت عن الشورى بمعناها الشرعي، وإنما هي برضا المسلمين بالرغم من كل ذلك فقد وقفت فتن كثيرة في عهده.

فعلي رضي الله عنه يفهم معنى احتكار السلطة وأن الخلافة شورى بين المسلمين وأن عودة السلطة إلى شخص ما وأبنائه هو نوع من الملكية والجاهلية والإسلام إنما جاء ليلغي الكثير من عادات الجاهلية وقوانينها وعلى رأسها احتكار السلطة بشخص من الأشخاص وأن مبدأ الشورى هو المبدأ الذي أقبل الناس عليه، كما أننا لم نعثر على نصوص أدبية لعلّي تثبت تدمره أو رفضه لخلافة أبي بكر وعمر وعثمان فقد بايعهم جميعاً وقبل بهم وقبل أن يكون المدافع عن المسلمين سواء أكان جندياً أم قائداً؟، ومن أشعاره التي قالها في الفتن ما قاله بذئ قار وهو متوجه إلى حرب الجمل حين بلغه ما لقيت ربيعة من القتل بمحاربتها لأصحاب السيدة

عائشة رضي الله عنها وخروج عبد القيس من ربيعة مع حكيم بن جبلة لنصرة عثمان بن حنين
عامله على البصرة:

يا لهف نفسي قتلت ربيعة ربيعة الساقمة المطيعة
قد سبقتني فيهم الوقعة حلوا بها المنزلة الرفيعة
وكذلك ما قاله بعد فراغه من حرب الجمل والتي حصدت الكثير من أرواح المسلمين:
إليك أشكو عجري وبجري ومعشراً أغشوا علي بصري
إني قتلت مضري بمضري شفيت نفسي وقتلت معشري

٢ - شعر اللوم والتبكي:

لا يشك أحد من الناس أن ما قام به علي من أعمال وحروب وخلاف مع الخوارج أو
أنصار معاوية إنما صدر عن إيمان علي رضي الله عنه وقناعته أنه إنما كان على حق، ونحن لسنا
بصدد ترجيح الرأي المصيب في تلك الخلافات والفتن وإنما قام به كان مقتنعاً به قناعة شرعية
لا شخصية، كيف لا؟ وقد وعى هذا الصحابي الجليل معاني القرآن الكريم والسنة النبوية
الشريفة وتربى في أحضان النبي عليه الصلاة والسلام واستوعب سنته المشرفة فقد لام
الصحابين معاوية وعمرو بن العاص على إعدادهما لموقعة صفين وأنكر عليهما ذلك وبين أن
الرسول ﷺ لو كان حياً لم يرض بذلك، ولما قتل أحد بصفين أظهر علي حزنه وأنه لم يكن يريد
الحرب ولم يسع لها وقال:

لهف نفسي وقليل ما أسر ما أصاب الناس من خير وشر
لم أرد في الدهر يوماً حرهم وهم الساعون في الشر المشر

ل - ديوان علي رضي الله عنه:

تعاقب المحققون على تقديم وتحقيق ديوان شعر علي رضي الله عنه، وتعاقبت دور النشر في
مختلف العواصم العربية، وخاصة القاهرة وبيروت ودمشق، على نشره بطبعات متميزة،
ونشير هنا إلى عدد من المحققين ودور النشر الذين عنوا بذلك الديوان، في السنوات الأخيرة،

على سبيل المثال لا الحصر (محمد محمود - دار الفكر اللبناني - ١٩٩٥ م - صلاح الدين الهواري - دار ومكتبة الهلال - ٢٠٠٢ م - عبد الرحمن المصطاوي دار المعرفة للطباعة والنشر - ٢٠٠٣ م - د. علي مهدي رسول - دار الجبل للطبع والنشر والتوزيع - ٢٠٠٥ م).

وقد قام بعض المحققين بتعيين البحور الشعرية وشرح المفردات ومعاني الأبيات، إضافة إلى تنظيم الفهارس التي تُعين القارئ على الحصول على المعلومات المختلفة بسهولة ويسر، مع ذكر المناسبات التي قيلت فيها العديد من القصائد والمقطوعات الشعرية.

وكذلك قامت (الموسوعة الشعرية / ٣)، وهي قرص مدمج صدر عن المجمع الثقافي في دولة الإمارات العربية المتحدة عام ٢٠٠٣ م بنشر ديوان علي، وقدمت هذه الموسوعة الديوان إلى القارئ مفهرساً على أربعة أسس هي:

١ - الأوزان (من الطويل إلى المتقارب).

٢ - القوافي (من الألف إلى الياء).

٣ - عدد الأبيات الشعرية (من بيت واحد إلى ستة وستين بيتاً).

٤ - عناوين القصائد (من الألف إلى الياء).

كما قدمت الموسوعة جدولاً إحصائياً تضمّن البحور الشعرية المستخدمة وعدد الأبيات الشعرية التي كُتبت في كل بحر.

وعدد الأبيات الشعرية التي وردت في الديوان بلغ (١٦٧٣) بيتاً، وهو مثير للانتباه، فهو يضاهي بكثرتة ما نجده عند الكثير من الشعراء البارزين في العصرين الجاهلي والإسلامي، ونُدرج فيما يأتي أسماء عدد من شعراء هذين العصرين (مع عدد الأبيات التي كتبها كل واحد منهم) تفوق عليهم علي بن أبي طالب في عدد الأبيات الشعرية التي قالها:

- ليبد بن ربيعة العامري (ت ٤١هـ): (١٣٢٢) بيتاً.

- الحطيئة (ت ٤٥هـ): (١٠٥٠) بيتاً.

- النابغة الجعدي (ت ٥٠هـ): (٩٣١) بيتاً.

- كعب بن مالك الأنصاري (ت ٥٠هـ): (٦٠٣) أبيات.

- دريد بن الصمة (ت ٨هـ): (٣٩٨) بيتاً.
- كعب بن زهير (ت ٢٦هـ): (٦٩٧) بيتاً.
- عامر بن الطفيل (ت ١١هـ): (٣٦٧) بيتاً.
- أمية بن أبي الصلت (ت ٥هـ): (٧٤٥) بيتاً.

م - مختارات من شعر علي رضي الله عنه:

١ - قال علي رضي الله عنه في الإخاء:

تغيرت المودة والاخاءُ	وقل الصدقُ وانقطع الرجاءُ
وأسلمني الزمانُ إلى صديقٍ	كثير الغدرِ ليس له رعاءُ
وربَّ أخٍ وفيتُّ له وفيَّ	ولكن لا يدومُ له وفاءُ
أخلاءٌ إذا استغنت عنهم	وأعداءٌ إذا نزل البلاءُ
يديمون المودة ما رأوني	ويبقى الودُّ ما بقي اللقاءُ
وإن غنيت عن أحد قلاني	وعاقبني بما فيه اكتفاءُ
سيعنيني الذي أغناه عنِّي	فلا فقرٌ يدومُ ولا ثراءُ
وكُلُّ مودةٍ لله تصفُو	ولا يصفو مع الفسق الإخاءُ
وكل جراحةٍ فلهادواءُ	وسوءُ الخلقِ ليس له دواءُ
وليس بدائمٍ أبدانعيمٍ	كذلك البؤسُ ليس له بقاءُ
إذا نكرت عهداً من حميمٍ	ففي نفسي التكرُّمُ والحياءُ
إذا ما رأسُ أهل البيتِ ولى	بدا لهم من الناسِ الجفاءُ

٢ - وقال في النساء:

دع ذكرهنَّ فما هنَّ وفاءُ	ريح الصبا وعهودهنَّ سواءُ
يكسرنَّ قلبك ثم لا يجبرنَّه	وقلوبهنَّ من الوفاء خلاءُ

٣ - وقال في حال الدهر:

وسجالان نعمة وبلاء
خائنه الدهر لم يخنه عزاء
في الملمات صخرة صماء
يدوم النعيم والبلاء

هي حالان شدة ورخاء
والفتى الحاذق الأديب إذا ما
إن ألمت ملممة بي فإني
عالم بالبلاء علماً بأن ليس

٤ - وقال في القضاء:

فليس يحلله إلا القضاء
وأرض الله واسمعة فضاء
من الدنيا يكون له انتهاء

إذا عقد القضاء عليك أمرا
فما لك قد أقمت بدار ذل
تبلغ باليسير فكل شيء

٥ - وقال في العيش:

ولكن ألق دلوك في الدلاء
تجئك بحمأة وقليل ماء

وما طلب المعيشة بالتمني
تجئك بملئها يوماً ويوماً

٦ - وقال في حفظ الغيب:

أجابوا وإن أغضب على القوم يغضبوا
لقومي أخرى مثلها إذ تغيبوا
وأباؤهم آباء صدق فأنجبوا

ألم تر قومي إذ دعاهم أخوهم
هم حفظوا غيبي كما كنت حافظاً
بنو الحرب لم تقعد بهم أمهاتهم

٧ - وقال في الحادثات:

وصاق بما به الصدر الرقيب
وأرست في أماكنها الخطوب
ولا أغنى بحيلته الأريب
يمنن به اللطيف المستجيب

إذا اشتملت على اليأس القلوب
وأوطنت المكاره واستقرت
ولم تر لانكشاف الضر وجهها
أتاك على قنوط منك غوث

فَمَوْضُوعٌ بِهَا فَرَجَّحَ قَرِيبٌ

وَكُلُّ الْحَادِثَاتِ إِذَا تَنَاهَتْ

٨ - وقال يصبر نفسه:

وَقَدْ أَنَاخَ عَلَيْهَا الدَّهْرَ بِالْعَجَبِ
عُقْبَى وَمَا الصَّبْرُ إِلَّا عِنْدَ ذِي الْحَسَبِ
فِيهَا لِثَلِثِكَ رَاحَاتٌ مِنَ التَّعَبِ

إِنِّي أَقُولُ لِنَفْسِي وَهِيَ ضَيِّقَةٌ
صَبْرًا عَلَى شِدَّةِ الْأَيَّامِ إِنَّ لَهَا
سَيَفْتَحُ اللَّهُ عَن قَرَبٍ بِنَافِعَةٍ
٩ - وقال:

إِلَّا جَعَلْتِكَ لِلْبُكَاسِيَا
عَيْنِي الدُّمُوعَ فَفَاضَ وَأَنَسَكَبَا
عَنْ أَنْ أَرَى لِسِوَاهُ مُكْتَبِيَا

مَا غَاضَ دَمْعِي عِنْدَ نَازِلَةٍ
وَإِذَا ذَكَرْتُكَ مَيِّتًا سَفَحَتْ
إِنِّي أَجَلٌ ثَرَى حَلَلْتُ بِهِ
١٠ - وقال في ترك الذنوب أيضاً:

لَكِنَّ تَرَكَ الذُّنُوبِ أَوْجَبُ
وَعَفْلَةُ النَّاسِ فِيهِ أَعْجَبُ
لَكِنَّ فَوْتَ الثَّوَابِ أَضْعَبُ
وَالْمَوْتَ مِنْ كُلِّ ذَلِكَ أَقْرَبُ

فَرَضُ عَلَى النَّاسِ أَنْ يَتُوبُوا
وَالدَّهْرُ فِي صَرْفِهِ عَجِيبُ
وَالصَّبْرُ فِي النَّائِبَاتِ صَعْبُ
وَكُلُّ مَا يَرْتَجَى قَرِيبُ
١١ - وقال مفتخراً:

أَنَا ابْنُ ذِي الْحَوْضَيْنِ عَبْدُ الْمَطْلَبِ
وَهَاشِمُ الْمُطْعِمُ فِي الْعَامِ السَّعْبِ
أَوْ فِي بَمِيْعَادِي وَأَخْمِي عَنْ حَسَبِ

١٢ - وقال في الوفاء:

وَالنَّاسُ بَيْنَ مَخَاتِلٍ وَمَوَارِبِ
وَقُلُوبِهِمْ مَحْشُوءَةٌ بَعْقَارِبِ

ذَهَبَ الْوَفَاءُ ذَهَابَ أَمْسِ الذَّاهِبِ
يَفْشُونَ بَيْنَهُمُ الْمَوْدَةُ وَالصِّفَا

١٣ - وَلَا تَسْأَلِ الْأَرْذَالَ فَضَلَ الرَّغَائِبِ:

تَرَدَّدَ رِدَاءُ الصَّبْرِ عِنْدَ النَّوَائِبِ
وَكُنْ صَاحِبًا لِلْحِلْمِ فِي كُلِّ مَشْهَدٍ
وَكُن حَافِظًا عَهْدَ الصَّدِيقِ وَرَاعِيًا
وَكُنْ شَاكِرًا لِلَّهِ فِي كُلِّ نِعْمَةٍ
وَمَا الْمُرءُ إِلَّا حَيْثُ يَجْعَلُ نَفْسَهُ
وَكُنْ طَالِبًا لِلرِّزْقِ مِنْ بَابِ حِلَّةٍ
وَصُنْ مِنْكَ مَاءَ الْوَجْهِ لَا تَبْدَلْنَهُ
وَكُنْ مُوجِبًا حَقَّ الصَّدِيقِ إِذَا أَتَى
وَكُن حَافِظًا لِلْوَالِدِينَ وَنَاصِرًا
١٤ - وَقَالَ أَيْضًا:

الدَّهْرُ يَخْنُقُ أَحْيَانًا قِلَادَتَهُ

عليك لا تضطرب فيه ولا تثب

حتى يفرجها في حال مدتها

١٥ - دَاوِ فَقْرَكَ بِالْغِنَى:

لَا تَطْلُبَنَّ مَعِيشَةً بِمِثْلِهَا
وَإِذَا افْتَقَرْتَ فَدَاوِ فَقْرَكَ بِالْغِنَى
فَلْيَرْجِعَنَّ إِلَيْكَ رِزْقُكَ كُلَّهُ
١٦ - إِنِّي صَبُورٌ:

وَارْتَبَا بِنَفْسِكَ عَنْ دِنِّي الْمَطْلَبِ
عن كل ذي دنس كجلد الأجر ب
لَوْ كَانَ أَبْعَدَ مِنْ مَقَامِ الْكَوْكَبِ
صَبُورٌ عَلَى رَيْبِ الزَّمَانِ صَعِيبِ
فِي شِمْتِ عَادٍ أَوْ يُسَاءِ حَبِيبِ
فَإِنْ تَسَأَلْنِي كَيْفَ أَنْتَ فَإِنِّي
حَرِيصٌ عَلَى أَنْ لَا يُرَى بِي كَابَةٌ

١٧ - كثرة المال:

يُغْطِي عِيُوبَ الْمَرْءِ كَثْرَةُ مَالِهِ
وَيُزْرِي بِعَقْلِ الْمَرْءِ قَلَّةُ مَالِهِ

١٨ - الفقر غالبني:

وَالْفَقْرُ غَالِبُنِي فَأَصْبَحَ غَالِي
يَقْتُلُ فُقُوبًا وَجَهْلًا مِنْ صَاحِبِ

غَالِبَتُ كُلِّ شَدِيدَةٍ فَعَلْبَتْهَا
إِنْ أَبَدَهُ يَصْفَحُ وَإِنْ لَمْ أَبَدَهُ

١٩ - الأرزاق حطٌ وقسمةٌ

وَفَضْلٌ وَعَقْلٌ نَلْتُ أَعْلَى الْمَرَاتِبِ
بِفَضْلِ مَلِيكَ لَا بِحَيْلَةٍ طَالِبِ

فَلَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تَنَالُ بِفِطْنَةٍ
وَلَكِنَّمَا الْأَرْزَاقُ حَطٌّ وَقِسْمَةٌ

٢٠ - يعيش الفتى في الناس بالعقل:

فَلَيْسَ مِنَ الْخَيْرَاتِ شَيْءٌ يُقَارِبُهُ
فَقَدْ كَمَلْتُ أَخْلَاقَهُ وَمَآرِبَهُ
عَلَى الْعَقْلِ يَجْرِي عِلْمُهُ وَتِجَارِبَهُ
وَإِنْ كَانَ مُحْظُورًا عَلَيْهِ مَكَاسِبُهُ

وَأَفْضَلُ قِسْمِ اللَّهِ لِلْمَرْءِ عَقْلُهُ
إِذَا أَكْمَلَ الرَّحْمَنُ لِلْمَرْءِ عَقْلَهُ
يَعِيشُ الْفَتَى فِي النَّاسِ بِالْعَقْلِ إِنَّهُ
يَزِينُ الْفَتَى فِي النَّاسِ صِحَّةُ عَقْلِهِ

٢١ - ليس الجمال بأثوابٍ تُزِينُنَا

بَلِ السَّلَامَةُ فِيهَا أَعْجَبُ الْعَجَبِ
إِنَّ الْجَمَالَ جَمَالَ الْعِلْمِ وَالْأَدَبِ
إِنَّ الْيَتِيمَ يَتِيمُ الْعِلْمِ وَالْأَدَبِ

لَيْسَ الْبَلِيَّةُ فِي أَيَّامِنَا عَجَبًا
لَيْسَ الْجَمَالَ بِأَثْوَابٍ تُزِينُنَا
لَيْسَ الْيَتِيمَ الَّذِي قَدِمَاتُ وَالِدِهِ

٢٢ - ليس الفتى من يقول كان أبي:

يُغْنِيكَ مُحَمَّدُهُ عَنِ النَّسَبِ
بَلَا لِسَانٍ لَهُ وَلَا أَدَبِ

كَنْ ابْنٍ مِنْ شَتَّى وَاكْتَسَبَ أَدَبًا
فَلَيْسَ يَغْنِي الْحَسِبَ نَسَبَتَهُ

إن الفتى من يقول ها أنا ذا
٢٣ - هَلْ سِوَى لَحْمٍ وَعَظْمٍ وَعَصَبٍ؟

أَيُّهَا الْفَاجِرُ جَهْلًا بِالنَّسَبِ
هل تراهم خلقوا من فضة
بل تراهم خلقوا من طينة
إنما الفخر لعقلٍ ثابتٍ
٢٤ - وَمَنْ دَارَى الرَّجَالَ فَقَدْ أَصَابَا:

سَلِيمُ الْعَرَضِ مَنْ حَذَرَ الْجَوَابَا
ومن هاب الرجال تهبوه
٢٥ - يَزِيدُ سَفَاهَةً وَأَزِيدُ حِلْمًا:

وَذِي سَفَفِهِ يُخَاطِبُنِي بِجَهْلٍ
يزيد سفاهةً وأزيد حلماً
٢٦ - الْبَسَ أَخَاكَ عَلَى عَيْبِهِ:

الْبَسَ أَخَاكَ عَلَى عَيْبِهِ
واصبر على ظلم السفيفه
ودع الجواب تفضلاً
٢٧ - وَقَالَ مَفْتَخِرًا:

عِلْمِي غَزِيرٌ وَأَخْلَاقِي مُهَذَّبَةٌ
لَوْ رُمْتُ أَلْفَ عَدُوِّ كُنْتُ
٢٨ - زُرْ غَيْبًا تَزِدُّ حَبًّا:

إذا رمت أن تعلى فزر متواترا

ليس الفتى من يقول كان أبي

إنما الناس لأم ولأب
أم حديد أم نحاس أم ذهب
هل سِوَى لَحْمٍ وَعَظْمٍ وَعَصَبٍ؟
وَحَيَاءٍ وَعَفْوَافٍ وَأَدَبٍ

وَمَنْ دَارَى الرَّجَالَ فَقَدْ أَصَابَا
ومن يهن الرجال فلن يهابا

فَأَكْرَهُ أَنْ أَكُونَ لَهُ مُجِيًّا
كعودٍ زاد بالإحراق طيباً

واستر وغط على ذنوبه
وللزمان على خطوبه
وكل الظلموم إلى حسيه
٢٧ - وَقَالَ مَفْتَخِرًا:

ومن تذب يروي عن مهذبه
وأجدهم ولو طلبت صديقاً ما ظفرت به

وإن شئت أن تزداد حباً فزر غيباً

منادمة الإنسان تحسن مرة
٢٩ - فقد الشباب وفرقة الأحباب:

شَيْئَانِ لَوْ بَكَتِ الدَّمَاءُ عَلَيَّهِمَا
لم تبلغ المعشار من حقيهما
٣٠ - وقال يمدح وفاء الأزدي:

الْأَزْدُ سَيْفِي عَلَى الْأَعْدَاءِ كُلِّهِمْ
قَوْمٌ إِذَا فَاجَوْا أَبْلَوْا وَإِنْ غَلِبُوا
قوم لبوسهم في كل معترك
البيض فوق رؤوس تحتها اليلب
وَأَيُّ يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ لَيْسَ لَهُمْ
الْأَزْدُ أَرِيدُ مَنْ يَمْشِي عَلَى قَدَمِ
يَا مَعْشَرَ الْأَزْدِ أَنْتُمْ مَعْشَرٌ أَنْفٌ
وفيتهم ووفاء العهد شيمتكم
إِذَا غَضِبْتُمْ يَهَابُ الْخَلْقُ سَطَوَاتِكُمْ
يَا مَعْشَرَ الْأَزْدِ إِنِّي مِنْ جَمِيعِكُمْ
لَنْ يِيَّاسَ الْأَزْدُ مِنْ رُوحٍ وَمَغْفِرَةٍ
طَبْتُمْ حَدِيثًا كَمَا قَدْ طَابَ أَوْلُكُمُ
والأزد جرثومة إن سوبقوا سبقوا
غلبوا أو كوثروا كثروا أو صوبروا صبروا
صفوا فأصفاهم الباري ولا يته
من حسن أخلاقهم طابت مجالسهم

وإن أكثروا إدمانها أفسدوا الحبا

عيناى حتى تأذنا بذهاب
فقد الشباب وفرقة الأحباب

وَسَيْفٌ أَحْمَدُ مَنْ دَانَتْ لَهُ الْعَرَبُ
لا يجمعون ولا يدرون ما الهرب
بيض رقاق ودأودية سلب
وفي الأنامل سمر الخط والقضب
فِيهِ مِنَ الْفِعْلِ مَا مِنْ دُونِهِ الْعَجَبُ
فضلاً وأعلاهم قدراً إذا ركبوا
لا يضعفون إذا ما اشتدت الحقب
وَلَمْ يُخَالِطْ قَدِيمًا صَدَقَكُمْ كَذِبُ
وقد يهون عليكم منهم الغضب
راضٍ وأنتم رؤوس الأمر لا الذنب
وَاللَّهُ يَكْلَأُهُمْ مِنْ حَيْثُ مَا ذَهَبُوا
والشوك لا يُجْتَنَى مِنْ فَرْعِهِ الْعِنَبُ
أو فوخروا فخوروا أو غولبوا غلبوا
أو سُوهِمُوا سَهَمُوا أو سُولِبُوا سَلَبُوا
فلم يشب صفوهم لهو ولا لعب
لا الجهل يُعْرَوْهُمْ فِيهَا وَلَا الصَّخْبُ

الْعَيْثُ مَا رُوِّضُوا مِنْ دُونِ نَائِلِهِمْ
أَنْدَى الْأَنَامِ أَكْفَأَ حِينَ تَسْأَلُهُمْ
فَاللَّهُ يُجْزِيهِمْ عَمَّا أَتَوْا وَحَبَّوْا
٣١ - وَالنُّصْحُ أَرْخَصُ مَا يُبَاعُ وَيُوهَبُ:

أَحْسَيْنُ إِلَيَّ وَإِعْظُ وَمُؤَدَّبُ
واحفظ وصية والدمتحنن
أبْنِيَّ إِنْ الرَّرْزُقُ مَكْفُولٌ بِهِ
لَا تَجْعَلَنَّ الْمَالَ كَسَبَكَ مُفْرَدًا
كفَلِ الْإِلَهَ بِرَّرْزُقِ كُلِّ بَرِيَّةٍ
وَالرَّرْزُقُ أَسْرَعُ مِنْ تَلَقُّتِ نَاطِرٍ
ومِن السَّيُولِ إِلَى مَقَرِّ قَرَارِهَا
أَبْنِيَّ إِنْ الذِّكْرَ فِيهِ مَوَاعِظُ
أَفْرَأُ كِتَابَ اللَّهِ جُهْدَكَ وَأَتْلُهُ
بِتَفَكُّرٍ وَتَحَشُّعٍ وَتَقَرُّبٍ
وَاعْبُدْ إلهَكَ ذَا المَعَارِجِ مَخْلَصًا
وَإِذَا مَرَرْتَ بِآيَةٍ وَعَظِيَّةٍ
يَا مَنْ يُعَدِّبُ مَنْ يَشَاءُ بِعَدْلِهِ
إِلَيَّ أَبِوِّ عَيْشِرَتِي وَخَطِيئَتِي
وَإِذَا مَرَرْتَ بِآيَةٍ فِي ذِكْرِهَا
فَاسْأَلْ إلهَكَ بِالإِنَابَةِ مَخْلَصًا
وَاجْهَدْ لَعَلَّكَ أَنْ تَحِلَّ بِأَرْضِهَا

وَالأَسَدُ تَرهَبُهُمْ يَوْمًا إِذَا غَضِبُوا
وَأَرْبَطُ النَّاسِ جَاشًا إِنْ هُمْ نُدِبُوا
بِهِ الرَّسُولَ وَمَا مِنْ صَالِحٍ كَسَبُوا

فَأَفْهَمُ فَأَنْتَ الْعَاقِلُ الْمُتَادِّبُ
يغذوك بالآداب كيلا تعطب
فعليك بالإجمال فيما تطلب
وتقى إلهك فاجعلن ما تكسب
والمال عارِيَةٌ تُجِيءُ وَتَذْهَبُ
سَبِيًّا إِلَى الْإِنْسَانِ حِينَ يَسْبَبُ
وَالطَّيْرُ لِلأَوْكَارِ حِينَ تَصَوَّبُ
فَمَنْ الَّذِي بِعِظَاتِهِ يَتَادَّبُ
فَيَمَنْ يَقُومُ بِهِ هُنَاكَ وَيُنْصَبُ
إِنْ المَقْرَبُ هُنَاكَ المَتَقَرَّبُ
وَأَنْصَبْتُ إِلَى الأمْثَالِ فِيهَا تُضْرَبُ
تَصِفُ العَدَابَ فَحِفْ وَدَمْعُكَ يُسْكَبُ
لَا تَجْعَلْنِي فِي الَّذِينَ تَعْدِبُ
هَرَبًا إِلَيْكَ وَلَيْسَ دُونَكَ مَهْرَبُ
وَصَفُ الوَسِيلَةِ وَالنَّعِيمِ المَعْجَبُ
دَارِ الخُلُودِ سَوْأَلِ مَنْ يَتَقَرَّبُ
وَتَنَالُ رُوحَ مَسَاكِينٍ لَا تُخْرَبُ

وَتَنَالُ عَيْشًا لَا انْقِطَاعَ لَوْ قَتِيهِ
بَادِرُ هَوَاكَ إِذَا هَمَمْتَ بِصَالِحٍ
وَإِذَا هَمَمْتَ بِسَيِّئٍ فَاغْمُضْ لَهُ
وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلصَّدِيقِ وَكُنْ لَهُ
وَالضَّيْفَ أَكْرِمِ مَا اسْتَطَعْتَ جَوَارَهُ
وَاجْعَلْ صَدِيقَكَ مَنْ إِذَا آخَيْتَهُ
وَاطْلُبْهُمْ طَلَبَ الْمَرِيضِ شِفَاءَهُ
وَاحْفَظْ صَدِيقَكَ فِي الْمَوَاطِنِ كُلِّهَا
وَاقْلِ الْكَذُوبَ وَفُرْبَهُ وَجَوَارَهُ
يُعْطِيكَ مَا فَوْقَ الْمَنَى بِلِسَانِهِ
وَاحْذَرِ ذَوِي الْمَلِكِ اللَّئَامِ فَإِنَّهُمْ
يَسْعَوْنَ حَوْلَ الْمَرْءِ مَا طَمَعُوا بِهِ
وَلَقَدْ نَصَحْتُكَ إِنْ قَبِلْتَ نَصِيحَتِي
٣٢ - إِذَا جَادَتِ الدُّنْيَا عَلَيْكَ فَجُدْ:

إِذَا جَادَتِ الدُّنْيَا عَلَيْكَ فَجُدْ بِهَا
فَلَا الْجُودُ يُفْنِيهَا إِذَا هِيَ أَقْبَلَتْ
٣٣ - كَأَنَّ الْمَوْتَ بِالشَّيْءِ الْعُجَابِ:

عَجِبْتُ لَجَازِعِ بَاكِ مُصَابِ
يَشْتَقُ الْجَيْبُ يَدْعُو الْوَيْلَ جَهْلًا
وَسَلَوَى اللَّهُ فِيهِ الْخَلْقُ حَتَّى
لَهُ مَلِكٌ يَنَادِي كُلَّ يَوْمٍ

وَتَنَالُ مُلْكَ كَرَامَةٍ لَا تُسَلَبُ
خَوْفَ الْغَوَالِبِ أَنْ تَجِيءَ وَتُغْلَبُ
وَتَجْنِبُ الْأَمْرَ الَّذِي يَتَجَنَّبُ
كَأَبٍ عَلَى أَوْلَادِهِ يَتَخَدَّبُ
حَتَّى يَعْذَكَ وَارِثًا يَنْتَسِبُ
حَفِظَ الْإِخَاءَ وَكَانَ ذُو نَكَ يَضْرِبُ
وَدَعَ الْكُذُوبَ فَلَيْسَ مِمَّنْ يَصْحَبُ
وَعَلَيْكَ بِالْمَرْءِ الَّذِي لَا يَكْذِبُ
إِنَّ الْكُذُوبَ مُلَطَّخٌ مَنْ يَصْحَبُ
وَيَرُوعُ مِنْكَ كَمَا يَرُوعُ الثَّعْلَبُ
فِي النَّائِبَاتِ عَلَيْكَ مِمَّنْ يَخْطُبُ
وَإِذَا نَبَادَهَرَ جَفُوا وَتَغَيَّبُوا
وَالنُّصْحُ أَرْخَصُ مَا يُبَاعُ وَيُوهَبُ

عَلَى النَّاسِ طَرَأَ إِنَّهَا تَتَقَلَّبُ
وَلَا الْبُحْلُ يُبْقِيهَا إِذَا هِيَ تَذْهَبُ

بِأَهْلِ أَوْ هَمِيمِ ذِي اكْتِسَابِ
كَأَنَّ الْمَوْتَ بِالشَّيْءِ الْعُجَابِ
نَبِيَّ اللَّهِ مِنْهُ لَمْ يُحَابِ
لِدُوا لِلْمَوْتِ وَابْنُوا لِلْخَرَابِ

٣٤ - قريح القلب من وجع الذنوب:

نَحِيلُ الْجِسْمِ يَشْهَقُ بِالنَّحِيبِ
فصار الجسم منه كالقضب
لما يلقاه من طول الكروب
أفلني عثرتي واسر عيوي
فلم أر في الخلائق من مجيب
وتكشف ضرر عبدك يا حبيبي
وهل لي مثل طبك يا طيبي

قريح القلب من وجع الذنوب
أضر بجسمه سهر الليالي
وغير لونه خوف شديد
يُنَادِي بِالتَّضَرُّعِ يَا إِلَهِي
فزعت إلى الخلائق مستغيثا
وأنت تجيب من يدعوك ربي
ودائي باطن ولديك طب
٣٥ - وَعَنْ قَلْبِي حَبِيبِي لَا يَغِيبُ:

وَمَا لِسَوَاهُ فِي قَلْبِي نَصِيبُ
وَعَنْ قَلْبِي حَبِيبِي لَا يَغِيبُ

حبيب بات يأسرني الحبيب
حبيب غاب عن عيني وجسوي
٣٦ - فلم أر كالدنيا بها اغتر أهلها:

وَلَا كَالْيَقِينِ اسْتَأْنَسَ الدَّهْرَ صَاحِبُهُ
إِذَا شِئْتُ لَا قَيْتُ أَمْرًا مَاتَ صَاحِبُهُ
أَمْرٌ عَلَى رَسْمِ امْرِئٍ لَا أَنْاسُ بِهِ
تجدد حزناً كل يوم نوادبه

فلم أر كالدنيا بها اغتر أهلها
فوالله لو لا أنني كل ساعة
أمر على رمس القريب كأنما
إذا ما اعتربت الدهر عنه بحيلة
٣٧ - اللَّهُ دَرُّ فَتَى أَنْسَابِهِ كَرَمٌ:

لعاد من فضله لما صفا ذهباً
أخلاقه وحوى الآداب والحسبا
تظفر يدك به واستعجل الطلبا
يا حبذا كرم أضحي له نسبا

لو صيغ من فضة نفس على قدر
ما للفتى حسب إلا إذا كملت
فاطلب فديتك علماً واكتسب أدبا
للله در فتى أنسابه كرم

هل المروءة إلا ما تقوم به
من لم يؤدبه دين المصطفى أدبا
٣٨ - سيكفيني المليك:

سيكفيني المليك وخذ سيفي
وأسمم من رماح الخط لذن
أذود به الكتيبة كل يوم
وحوي معشر كرموا وطأوا
ولا ينجون من حذر المنايا
فدع عنك التهدد واصل نارا
٣٩ - القصيدة الزينية:

صرمت جبالك بعد وصلك زينب
نشرت ذوائبها التي تزهو بها
واستنفرت لما رأتك وطالما
وكذاك وصل الغانيات فإنه
فدع الصبا فلقد عدك زمانه
ذهب الشباب فما له من عودة
ضيف أم اليك لم تحفل به
دع عنك ما قد فات في زمن الصبا
واخش مناقشة الحساب فإنه
لم ينسه الملكان حين نسيته
والروح فيك وديعة أودعتها

من الذمام وحفظ الجار إن عتبا
مخضاً تحير في الأحوال واضطربا

لدى الهيجاء يحسبه شهابا
شددت غرابه أن لا يجابا
إذا ما الحرب تضطرم التهابا
يرجون الغنيمة والنهابا
سؤال المال فيها والإيابا
إذا خمدت صليت لها شهابا

والدهر فيه تصرم وتقلب
سوداً وأسك كالنعامة أشيب
كانت تحن إلى لقاك وترهب
آل يلقعة وبقرق خلب
وازهد فعمرك منه ولي الأطيب
وأتى المشيب فأين منه المهرب
فترى له أسفاً ودمعاً يسكب
واذكر ذنوبك وابكها يا مذنب
لابد يخصى ما جنيت ويكتب
بل أثبتاه وأنت لاه تلعب
سنردها بالرغم منك وتسلب

دَارٌ حَقِيقَتُهَا مَتَاعٌ يَذْهَبُ
 أَنْفَاسُنَا فِيهَا نَعْدُ وَنُحْسَبُ
 حَقًّا يَقِينًا بَعْدَ مَوْتِكَ يُنْهَبُ
 وَمَشِيدَهَا عَمَّا قَلِيلٌ يَخْرَبُ
 بَرٌّ لِيَبُّ عَاقِلٌ مَتَادِبُ
 وَرَأَى الْأُمُورَ بِمَا تَوُوبُ وَتُعَقَّبُ
 فَهُوَ التَّقِيُّ اللُّوْذِعِيُّ الْأَدْرَبُ
 لَا زَالَ قَدَمًا لِلرَّجَالِ يَهْذَبُ
 مَرَّتْ يَنْذَلُ لَهَا الْأَعْزُ الْأَنْجَبُ
 إِنَّ التَّقِيَّ هُوَ الْبَهِيُّ الْأَهْيَبُ
 إِنَّ الْمَطِيْعَ لِرَبِّهِ لِقَرْبُ
 وَالْيَأْسُ مَمَاتٌ فَهُوَ الْمَطْلَبُ
 فَجَمِيعُهُنَّ مَكَائِدُ لَكَ تَنْصَبُ
 كَالْأَفْعُوَانِ يُرَاعُ مِنْهُ الْأَنْيَبُ
 يَوْمًا، وَلَوْ حَلَفْتُ يَمِينًا تَكْذِبُ
 وَإِذَا سَطَّتْ فَهِيَ الثَّقِيلُ الْأَشْطَبُ
 مِنْهُ زَمَانُكَ خَائِفًا تَرَقَّبُ
 فَاللَّيْتُ يَبْدُو نَابُهُ إِذْ يَغْضَبُ
 فَالْحَقْدُ بَاقٍ فِي الصُّدُورِ مُغَيَّبُ
 فَهُوَ الْعَدُوُّ وَحَقُّهُ يُجَنَّبُ
 حَلَوُ اللِّسَانِ وَقَلْبُهُ يَتْلَهُبُ

وَغُرُورٌ دُنْيَاكَ الَّتِي تَسْعَى لَهَا
 وَاللَّيْلُ فَاعْلَمْ وَالنَّهَارُ كِلَاهِمَا
 وَجَمِيعُ مَا حَصَلَتْهُ وَجَمَعَتْهُ
 تَبَّالِدَارٍ لَا يَدُومُ نَعِيمُهَا
 فَاسْمَعْ، هُدَيْتَ، نَصَائِحًا أَوْ لَأَكْهَا
 صَحِبَ الزَّمَانَ وَأَهْلَكَ مَسْتَبْصِرًا
 أَهْدَى النَّصِيحَةَ فَاتَّعَظْ بِمَقَالَةٍ
 لَا تَأْمَنُ الدَّهْرَ الصَّرُوفَ فَإِنَّهُ
 وَكَذَلِكَ الْأَيَّامُ فِي غَدَوَاتِهَا
 فَعَلَيْكَ تَقْوَى اللَّهِ فَالزَّمْهَا تَفْرُزُ
 وَاعْمَلْ لَطَاعَتَهُ تَنْلُ مِنْهُ الرِّضَا
 فَاقْتَعُ فَنِي بَعْضِ الْقِنَاعَةِ رَاحَةً
 وَتَوَقَّ مِنْ غَدْرِ النِّسَاءِ خِيَانَةً
 لَا تَأْمَنُ الْأُنْثَى حَيَاتِكَ إِنَّهَا
 لَا تَأْمَنُ الْأُنْثَى زَمَانِكَ كُلَّهُ
 تُغْرِي بِطَيْبِ حَدِيثِهَا وَكَلَامِهَا
 وَالْقَ عَدُوُّكَ بِالتَّحِيَّةِ لَا تَكُنْ
 وَاحْذَرُهُ يَوْمًا إِنْ أَتَى لَكَ بِاسْمَا
 وَإِذَا الْحَقُودُ وَإِنْ تَقَادَمَ عَهْدُهُ
 إِنْ الصَّدِيقُ رَأَيْتَهُ مَتَعَلِّقَا
 لَا خَيْرَ فِي وَدِّ امْرِئٍ مَتَمَلِّقٍ

تلقاه يحلف أنه بك واثق
 يعطيك من طرف اللسان حلاوة
 واختز قريتك واصطفيه مفاخرا
 إنَّ الغنيَّ من الرجال مكرمٌ
 ويُبشُّ بالترَّحيبِ عندَ قدومه
 والفقيرُ شينٌ للرجالِ فإنَّه
 واخفض جناحك للأقارب كلهم
 ودع الكذب فلا يكن لك صاحباً
 ودِّر الحسودَ ولو صفا لك مرَّةً
 وزن الكلام إذا نطقت ولا تكن
 واحفظ لسانك واحترز من لفظه
 والسِّرُّ فاكتمه ولا تنطق به
 واحرص على حفظ القلوب من الأذى
 إنَّ القلوب إذا تنافر ودُّها
 وكذلك سرُّ المرء إن لم يطوِّه
 لا تحرَّصن فالحرص ليس بزائدٍ
 ويظلل ملهوفاً يروم تحيلاً
 كم عاجز في الناس يؤتى رزقه
 أدَّ الأمانة والخيانة فاجتنب
 وإذا بليت بنكبة فاصبر لها
 وإذا أصابك في زمانك شدة

وإذا توارى عنك فهو العقرُب
 ويروغ منك كما يروغ الثعلبُ
 إنَّ القارين إلى المقارن ينسبُ
 وتراه يرجى ما لديه ويرهب
 ويقام عند سلامه ويقرب
 يُزرى به الشهم الأديب الأنسب
 بتذللٍ واسمح لهم إن أذنبوا
 إنَّ الكذب لبئس خلاً يضحَبُ
 أبعدُه عن رؤياك لا يستجلبُ
 ثرثارةً في كلِّ نادٍ تخطبُ
 فالمرء يسلم باللسان ويعطب
 فهو الأسير لديك إذ لا ينشب
 فرجوعها بعد التنافر يصعب
 شبه الزجاجة كسرُها لا يشعبُ
 نشرته ألسنة تزيد وتكذب
 في الرزق بل يشقي الحريص ويتعب
 والرزق ليس بحيلة يستجلبُ
 رغداً ويحرم كيس ويخيِّب
 وأعدل ولا تظلم، يطب لك مكسبُ
 من ذا رأيت مسلماً لا ينكب
 وأصابك الخطب الكريه الأصعب

فَادْعُ لِرَبِّكَ إِنَّهُ أَذْنَىٰ لِمَنْ
 كُنَ مَا اسْتَطَعْتَ عَنِ الْأَنَامِ بِمَعَزَلٍ
 وَاجْعَلْ جَلِيسَكَ سَيِّدًا تَحْظَىٰ بِهِ
 وَاحْذَرْ مِنَ الْمَظْلُومِ سَهْمًا صَائِبًا
 وَإِذَا رَأَيْتَ الرَّزْزَاقَ ضَاقَ بِبَلَدِهِ
 فَارْحَلْ فَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ الْفَضَا
 فَلَقَدْ نَصَحْتُكَ إِنْ قَبِلْتَ نَصِيحَتِي
 خُذْهَا إِلَيْكَ قَصِيدَةً مَنْظُومَةً
 حِكْمًا وَأَدَبًا وَجُلًّا مَوَاعِظٍ
 فَاصْغِرْ لِعَظْمَةِ قَصِيدَةٍ أَوْ لَا كَهَا
 أَعْنِي عَلِيًّا وَابْنَ عَمِّ مُحَمَّدٍ
 يَا رَبِّ صَلِّ عَلَى النَّبِيِّ وَآلِهِ
 ٤٠ - وَيَكْفِي الْمَرْءَ مِنْ دُنْيَاهُ قَوْتُ:

يَدْعُوهُ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ وَأَقْرَبُ
 إِنَّ الْكَثِيرَ مِنَ الْوَرَى لَا يُصْحَبُ
 حَبْرٌ لَيْسَ بِعَاقِلٍ مَتَادِبُ
 وَاعْلَمْ بِأَنْ دَعَاؤُهُ لَا يَجِبُ
 وَخَشِيتُ فِيهَا أَنْ يَضِيقَ الْمَكْسَبُ
 طُولًا وَعِزًّا شَرَفُهَا وَالْمَغْرِبُ
 فَالْنَصِيحَةُ أَغْلَىٰ مَا يَبِيعُ وَيُوهِبُ
 جَاءَتْكَ كَنْزُومُ الدُّرِّ بَلْ هِيَ أَعْجَبُ
 أَمْثَالُهَا لِذَوِي الْبَصَائِرِ تُكْتَبُ
 طُودُ الْعُلُومِ الشَّائِخَاتِ الْأَهْيَبُ
 مَنْ نَالَهُ الشَّرَفُ الرَّفِيعُ الْأَنْسَبُ
 عَدَدَ الْخَلَائِقِ حَضْرُهَا لَا يُحْسَبُ

حَقِيقٌ بِالتَّوَاضُعِ مِنْ يَمُوتِ
 فَمَا لِلْمَرْءِ يَصْبِحُ ذَا هَمُومٍ
 فِيهَا هَذَا سَتَرِ حَلٍ عَنِ قَرِيبٍ
 ٤١ - فَأَبْنِ بِدَارِ الْبَقَاءِ بَيْتًا:

وَيَكْفِي الْمَرْءَ مِنْ دُنْيَاهُ قَوْتُ
 وَحِرْصٌ لَيْسَ تُدْرِكُهُ النَّعُوتُ
 إِلَى قَوْمٍ كَلَامُهُمْ سَكُوتُ

قَدْ كُنْتُ مَيْتًا فَصِرْتُ حَيًّا
 بَنَيْتُ بِدَارِ الْفَنَاءِ بَيْتًا
 ٤٢ - وَمَا الْمَرْءُ إِلَّا حَيْثُ يَجْعَلُ نَفْسَهُ:

وَعَنْ قَلِيلٍ تَصِيرُ مَيْتًا
 فَأَبْنِ بِدَارِ الْبَقَاءِ بَيْتًا
 وَأَلْزَمْتُ نَفْسِي صَبْرَهَا فَاسْتَمَرَّتْ

صَبْرْتُ عَنِ الْمَلذَّاتِ لِمَا تَوَلَّتْ

وَمَا الْمَرْءُ إِلَّا حَيْثُ يَجْعَلُ نَفْسَهُ
٤٣ - الصمت در ذُّ زانه ياقوتُ:

فإن طمعت تاقَت وإلا تسَلت

إِنَّ الْقَلِيلَ مِنَ الْكَلَامِ بِأَهْلِهِ
مَا زَلَّ ذُو صَمْتٍ وَمَا مِنْ مَكْثَرٍ
إِنْ شُبَّهَ النَّطْقُ الْمُبِينُ بِفَضَّةٍ
٤٤ - الدُّنْيَا بَيْتٌ نَسَجَتْهُ الْعَنْكَبُوتُ:

حَسَنٌ وَإِنْ كَثِيرُهُ مَمْقُوتٌ
إِلَّا يَزَلُ وَمَا يَعَابُ صَمُوتٌ
فَالصَّمْتُ دَرُّ زَانِهِ يَاقُوتُ

إِنَّمَا الدُّنْيَا فَنَاءٌ
إِنَّمَا الدُّنْيَا كَبِيَّتٌ
وَلَقَدْ يَكْفِيكَ مِنْهَا
وَلَعَمْرِي عَنْ قَلِيلٍ
٤٥ - الدهر يومٌ وليلةٌ:

ليس للدنيا ثبوت
نسجته العنكبوت
أهها الطالب قوت
كُلُّ مَنْ فِيهَا يَمُوتُ

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الدَّهْرَ يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ
فَقُلْ لَجَدِيدِ الثَّوْبِ لَا بَدَّ مِنْ بَلِيٍّ
٤٦ - القلب في حسرات:

يكرآن من سبت جديد إلى سبت
وقل لاجتماع الشمل لا بد من شتّ

أَقُولُ لِعَيْنِي أَحْسِي اللَّحْظَاتِ
فَكَمْ نَظْرَةً قَادَتْ إِلَى الْقَلْبِ شَهْوَةٌ
٤٧ - عند التناهي يكونُ الفرَجُ:

ولا تنظري يا عين بالسرفات
فأصبح منها القلب في حسرات

إِذَا النَّائِبَاتُ بَلَغْنَ الْمَدَى
وَحَلَّ الْبَلَاءُ وَبَانَ الْعِزَاءُ
٤٨ - لِكُلِّ نَصِيحٍ نَصِيحٌ:

وكادت تذب هُنَّ المهج
فعند التناهي يكونُ الفرَجُ

فلا تفشس سرُّك إلا إليك

فإنَّ لِكُلِّ نَصِيحٍ نَصِيحًا

وإني رأيت غموة الرجال
٤٩ - هيهات إن الموت ذو أسهم:

لا يتركون أديماً صحيحاً

يا مؤثر الدنيا على دينه
أصبحت تزجو الخلد فيها وقد
هيهات إن الموت ذو أسهم
لا يصلح الواعظ قلب امرئ
٥٠ - في الأسفار خمس فوائد:

والتأثية الحيران عن قصده
أبرز ناب الموت عن حده
من يرمه يوماً بها يرده
لم يعزم الله على رشه

تغرب عن الأوطان في طلب العلى
تفرج هم، واكتساب معيشة
٥١ - تفكر قليلاً:

وسافر ففي الأسفار خمس فوائد
وعلم، وآداب، وصحبة ماجد

لا يستوي من يعمر المساجدا
يدأب فيها قائماً وقاعداً

ومن يبيت راعياً وساجدا
ومن يكر هكذا معانداً

و من يرى عن الغبار حائداً

٥٢ - ثن بإحسان:

مضى أمسك الباقي شهيداً معدلاً
فإن كنت في أمس اقترفت إساءة
ولا ترج فعل الخير يوماً إلى غد
ويومك إن عاينته عاد نفعه
٥٣ - القريب البعيد:

وأصبحت في يوم عليك شهيداً
فثن بإحسان وأنت حميداً
لعل غداً يأتي وأنت فقيداً
إليك وماضي أمس ليس يعوداً

ذهب الذين عليهم وجدي
من كان بينك في الثراب وبينه

وبقيت بعد فراقهم وحدي
شبران فهو بغاية البعد

لو كشفت للمرء أطباق الثرى
مَنْ كَانَ لَا يَطْأُ التُّرَابَ بِرِجْلِهِ
٥٤ - فراغ نفسي:

لم يعرف المولى من العبد
يطأ التراب بناعم الحدِّ

ما أكثر الناس لا بل ما أقلهم
إني لأفتح عيني حين أفتحها
٥٥ - لو خلّد الله خلقاً قبله خلداً:

الله يعلم أي لم أقل فنّدا
على كثير ولكن لا أرى أحداً

الموت لا والداً يُبقي ولا ولداً
مات النبي ولم يخلد لأمتيه
للموت فينا سهامٌ غير خاطئة
٥٦ - صديق ودود:

هذا السبيل إلى أن لا ترى أحدا
لو خلّد الله خلقاً قبله خلدا
من فاته اليوم سهم لم يفته غدا

ما ودّني أحدٌ إلاّ بذلتُ له
ولا قلاني وإن كان المسيء بنا
ولا اتّمننتُ على سرّ فبحثُ به
ولا أقولُ نعم يوماً فأتبعه
٥٧ - تفديّة:

صفو المودّة مني آخر الأبد
إلاّ دعوتُ له الرّحمن بالرّشد
ولا مددت إلى غير الجميل يدي
بلا ولو ذهبتُ بالمال والولد

وقيت بنفسي خير من وطئ الحصى
محمد لما خاف أن يمكروا به
وبتُّ أراعيهم متى ينشرونني
وبأت رسول الله في الغار آمنّا
٥٨ - لكّنهم رزقوها بالمقادير:

ومن طأف بالبيت العتيق وبالحجر
فوقاه ربي ذو الجلال من المكر
وقد قررت نفسي على القتل والأسر
هناك وفي حفظ الإله وفي ستر

للناس حرص على الدنيا بتدبير

وصفوها لك ممزوج بتكدير

كم من ملحَّ عليها لا تساعده
لم يُرزقوها بعقلٍ حينما رزقوا
لو كان عن قوةٍ أو مغالبةٍ
٥٩ - النَّاسُ اثْنَانِ:

وعاجز نال دنياه بتقصير
لكنَّهم رزقوها بالمشاير
طار البزاة بأرزاقِ العصافير

حرّض بنيك على الآداب في الصغر
وإنما مثل الآداب تجمعها
هي الكنوز التي تنمو ذخائرها
النَّاسُ اثْنَانِ ذُو عِلْمٍ وَمُسْتَمِعٍ
٦٠ - الدين والفقير شران:

كئيبا تقرّ بهم عيناك في الكبر
في عنفوان الصبا كالنقش في الحجر
ولأئحاف عليها حادثُ الغيرِ
واعٍ وسائرهم كاللغو والعكبر

بلوتُ صُرُوفَ الدَّهْرِ سِتِّينَ حِجَّةً
فلم أر بعد الدين خيراً من الغنى
ألم تر أن الفقير يُرجى له الغنى
٦١ - تحولت الحياة:

وجربت حاله من العسر واليسرِ
ولم أر بعد الكفرِ شراً من الفقرِ
وأن الغنى يُخشى عليه من الفقرِ

ذهب الرجال المقتدى بفعالهم
وبقيتُ في خلفٍ يُزِينُ بعضُهم
سلكوا بنيات الطريق فأصبحوا
٦٢ - أقدار:

والمُنكِرُونَ لِكُلِّ أَمْرٍ مُنكِرِ
بعضاً ليأخذ مُعَوِّزاً من معورِ
متنكبين عن الطريق الأكبر

تؤمّلُ في الدُّنيا طويلاً ولا تدري
فكم من صَحِيحٍ مَاتَ مِنْ غَيْرِ عِلَّةٍ
وَكَمْ مِنْ فَتَى يُمَسِّي وَيُصْبِحُ آمِنَا
٦٣ - الدهر يدور:

إذا جنَّ لَيْلٌ هَلْ تَعِيشُ إِلَى الْفَجْرِ
وكم من عليل عاش دهرًا إلى دهرِ
وقد نَسِجتُ أَكْفَانَهُ وَهُوَ لَا يَدْرِي

رَأَيْتِ الدَّهْرَ مُخْتَلِفًا يَدُورُ
وَقَدْ بَنَتِ الْمَلُوكُ بِهِ قِصُورًا
٦٤ - أَنَا الْعَبْدُ الْمُقْرَّبُ بِكُلِّ ذَنْبٍ:

فَلَا حَزْنَ يَدُومُ وَلَا سُرُورُ
فَلَمْ تَبْقِ الْمُلُوكُ وَلَا الْقِصُورُ

أَيَّامَنْ لَيْسَ لِي مِنْهُ مُجِيرُ
أَنَا الْعَبْدُ الْمُقْرَّبُ بِكُلِّ ذَنْبٍ
فَإِنْ عَادَبْتَنِي فَالذَّنْبُ ذَنْبِي
٦٥ - لَرُبِّمَا أَعْضَى الْمَرْءُ وَهُوَ بَصِيرُ:

بِعَفْوِكَ مِنْ عِقَابِكَ اسْتَجِيرُ
وَأَنْتَ السَّيِّدُ الصَّامِدُ الْعَفُورُ
وَإِنْ تَعَفَّرَ فَأَنْتَ بِهِ جَدِيرُ

أَعْمَضُ عَيْنِي فِي أُمُورٍ كَثِيرَةٍ
وَمَا عَنِ عَمَى أَعْضَى وَلَكِنْ لَرُبِّمَا
وَأَسْكُتُ عَنْ أَشْيَاءَ لَوْ شِئْتُ قُلْتُهَا
أَصْبَرْتُ نَفْسِي بِاجْتِهَادِي وَطَاقَتِي
٦٦ - كَانَهُمْ لَمْ يَجْلِسُوا فِي الْمَجَالِسِ !!:

وَإِنِّي عَلَى تَرْكِ الْعُمُوضِ قَدِيرُ
تَعَامَى وَأَعْضَى الْمَرْءُ وَهُوَ بَصِيرُ
وَلَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْمَقَالِ أَمِيرُ
وَإِنِّي بِأَخْلَاقِ الْجَمِيعِ خَيْرُ

سَلَامٌ عَلَى أَهْلِ الْقُبُورِ الدَّوَارِسِ
وَلَمْ يَشْرَبُوا مِنْ بَارِدِ الْمَاءِ شَرِبَةً
أَلَا خَبَرُونِي أَيَّنَ قَبْرُ ذَلِيلِكُمْ
٦٧ - كُنْ لِلْعِلْمِ مَكْتَسِبًا:

كَأَنَّهُمْ لَمْ يَجْلِسُوا فِي الْمَجَالِسِ
وَلَمْ يَأْكُلُوا مِنْ خَيْرِ رَطْبٍ وَيَابَسِ
وَقَبْرِ الْعَزِيزِ الْبَاذِخِ الْمُتَنَافِسِ

الْعِلْمُ زَيْنٌ فَكُنْ لِلْعِلْمِ مَكْتَسِبًا
ارْكُنْ إِلَيْهِ وَثِقْ بِاللَّهِ وَاعْنَبْ بِهِ
وَكَُنْ فَتَى مَاسِكًا مُحَضَّ النَّقَى وَرَعَا
فَمَنْ تَخَلَّقَ بِالْأَدَابِ ظَلَّ بِهَا
٦٨ - مَكَانَةُ الْمَالِ:

وَكَُنْ لَهُ طَالِبًا مَا عَشْتِ مُقْتَسِبًا
وَكَنْ حَلِيمًا رَزِينًا الْعَقْلَ مُحْتَرَسًا
لِلدِّينِ مُغْتَنِيًا لِلْعِلْمِ مُفْتَرَسًا
رَبِّيسَ قَوْمٍ إِذَا مَا فَارَقَ الرُّوسَا

سَأْمَنْحُ مَالِي كُلَّ مَنْ جَاءَ طَالِبًا
فَإِمَّا كَرِيمٌ صُنْتُ بِالْمَالِ عِرْضَهُ
٦٩ - هدية:

إِذَا أذِنَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ
٧٠ - عرفتم حقنا فجدتموه:

لَنَا مَا تَدْعُونَ بغيرِ حَقِّ
عَرَفْتُمْ حَقَّنَا فَجَحَدْتُمُوهُ
كِتَابُ اللَّهِ شَاهِدُنَا عَلَيْكُمْ
٧١ - الْأَرْضُ وَاسِعَةٌ وَالرِّزْقُ مَبْسُوطٌ:

اصبر على الدهر لا تغضب على أحدٍ
ولا تقمِّنْ بدارٍ لا انتفاع بها
٧٢ - من كرم الطبيعة:

الفضلُ من كرم الطبيعة
والخيرُ أَمْنٌ جانِبًا
والشَّرُّ أسرعُ جريئةً
تَرْكُ التَّعَاهُدِ لِلصَّديقِ
٧٣ - فلا تدري لمن تجمع:

دَعِ الحِرْصَ عَلَى الدُّنْيَا
وَلَا تَجْمَعْ مِنَ المَالِ
وَلَا تَدْرِي أَيُّ أَرْضِكَ
فَإِنَّ الرِّزْقَ مَقْسُومٌ

وأجعلهُ وقفاً على القرض والفرض
وإمَّا لئيمٌ صُنْتُ عَنْ لُؤْمِهِ عِرْضِي

أتاك النجاحُ بها يركضُ

إِذَا عُرِفَ الصَّحاحُ مِنَ المَرَضِ
كَمَا عُرِفَ السَّوادُ مِنَ البَيَاضِ
وقاضينا الإله فنعم قاض

فَلَا تَرَى غَيْرَ مَا فِي الدَّهْرِ مَخْطُوطٌ
فَالأَرْضُ وَاسِعَةٌ وَالرِّزْقُ مَبْسُوطٌ

وَالْمَنْ مَفْسَدَةٌ الصَّانِعِ
مِنْ قَمَّةِ الجَبَلِ المَنِيعِ
مِنْ جَرِيئةِ المَاءِ السَّريعِ
يكون داعيةً القطيعِ

وَفِي العَيْشِ فَلَا تَطْمَعُ
فَلَا تَدْرِي لِمَنْ تَجْمَعُ
أَمْ فِي غيرِهَا تصمَعُ
وَسُوءُ الظَّنِّ لَا يَنْفَعُ

فَقَيْرُ كُلِّ مَنْ يَطْمَعُ
٧٤ - كل حي أخذ من سهامها بنصيب:

اصبرن يا بني فالصبر أحجى
قد بلوناك والبلاء شديد
النبي الأغرّ ذي الحسب الثا
إن تصبك المنون فالنبل تبرى
كل حي وإن تملأ عيشا
٧٥ - ورحمة ربي من ذنوبي أوسع:

فَمَا طَمَعِي فِي صَالِحٍ قَدْ عَمِلْتُهُ
فَإِنْ يَكُ غَفْرَانٌ فَذَلِكَ بِرَحْمَةٍ
مَلِيكِي وَمَوْلَايَ وَرَبِّي وَحَافِظِي
٧٦ - ابتهاج إلى الله تعالى:

لك الحمد يا ذا الجود والمجد والعل
إلهي وخلّقي وحرزي وموئلي
إلهي لئن جلت وجمت خطيئتي
إلهي لئن أعطيت نفسي سؤلها
إلهي ترى حالي وفقري وفاقتي
بنون ولا مال هنالِكَ يَنْفَعُ
إلهي لئن عذبتني ألف حجة
إلهي أدفني طعم عفوك يوم لا
إلهي ذنوبي جازت الطود واعتلت

غَنِيُّ كُلِّ مَنْ يَفْنَعُ

كل حي مصيره لشعوب
لفداء النجيب وابن النجيب
قب والباع والكريم النجيب
فمصيب منها وغير مصيب
أخذ من سهامها بنصيب

ولكنني في رحمة الله أطمع
وإن لم يكن أجرى بما كنت أصنع
وإني له عبد أقر وأخضع

تَبَارَكْتَ تُعْطِي مَنْ تَشَاءُ وَتَمْنَعُ
إليك لدى الإعسار واليسر أفزع
فَعَفْوُكَ عَن ذَنْبِي أَجَلٌ وَأَوْسَعُ
فها أنا في أرض الندامة أرتع
وَأَنْتَ مُنَاجَاتِي الْخَفِيَّةَ تَسْمَعُ
أَسِيرٌ ذَلِيلٌ خَائِفٌ لَكَ أَخْضَعُ
فحبلى رجائي منك لا يتقطع
بنون ولا مال هناك ينفع
وَصَفْحُكَ عَن ذَنْبِي أَجَلٌ وَأَرْفَعُ

إلهي أنلني منك روحاً ورَحْمَةً
إلهي فأنشُرني على دينِ أحمدٍ
ولا تحرمني يا إلهي وسيدي
وصلِّ عليه ما دعاك موحدٌ
٧٧ - قدم لنفسك في الحياة:

فَلَسْتُ سِوَى أَبْوَابِ فَضْلِكَ أَقْرَعُ
تَقِيًّا نَقِيًّا قَانِتًا لَكَ أَخْشَعُ
شَفَاعَتَكَ الْكُبْرَى فِذَاكَ الْمَشْفَعُ
وَنَاجَاكَ أَخْيَارًا بِيَابِكَ رُكَّعُ

قدم لنفسك في الحياة تزودا
وَاهْتَمَّ لِلسَّفْرِ الْقَرِيبِ فَإِنَّهُ
واجعل تزودك المخافة والتقى
وَأَفْنَعُ بِقُوَّتِكَ، فَالْقِنَاعُ هُوَ الْغِنَى
وَأَحْذَرُ مُصَاحِبَةَ اللَّئَامِ فَإِيَّاهُمْ
لَا تُفْشِ سِرًّا مَا اسْتَطَعْتَ إِلَى امْرِئٍ
فكما تراه بسرِّ غيرك صانعا
فألصمت يحسنُ كل ظن بالفتى
وَدَعِ الْمُزَاحَ فَرُبَّ لَفْظَةٍ مَازِحٍ
وَحِفَاظُ جَارِكَ لَا تُضِعُهُ فَإِنَّهُ
وإذا اتتمنت على السرائر فاخفها
لا تجزعنَّ من الحوادث إنما
وأطع أباك بكل ما أوصى به
٧٨ - عمي صباحاً:

فلقد تفارقها وأنت مودع
أنأى من السفر البعيد واشسع
وكان حتفك من مسائك أسرع
والفقْرُ مَقْرُونٌ بِمَنْ لَا يَقْنَعُ
مَنْعُوكَ صَفْوٌ وَدَادِهِمْ وَنَصْنَعُوا
يفشي إليك سرائرأ تستودعُ
فكذا بِسِرِّكَ لَا تَحَالَةَ يَصْنَعُ
ولعله خرقُ سَفِيهٍ أَرْقَعُ
جَلَبَتُ إِلَيْكَ مَسَاوئًا لَا تُدْفَعُ
لَا يَبْلُغُ الشَّرْفَ الْجَسِيمَ مُضَيِّعُ
واستر عيوب أخيك حين تطلع
خرقُ الرجال على الحوادث يجزعُ
إنَّ المطيعَ أَبَاهُ لَا يَتَضَعُضَعُ

أرض سواء سهلة معروفة
عمي صباحاً واسلمي مألوفة

يا حبذا مقامنا بالكوفة
نظرقتها جماننا المعلوفة

٧٩ - الطَّرِيقَ مَخُوفٌ:

فَإِنَّ الْإِلَّهَ رَوْفٌ رَوْفٌ
فَإِنَّ الطَّرِيقَ مَخُوفٌ مَخُوفٌ

ألا صاحب الذنب لا تقنطن
ولا ترحلن بلا عدة
٨٠ - الموت أبرُّ بنا:

أبرُّ بنا من كل شيء وأرأف
ويُذني من الدار التي هي أشرفُ

جَزَى اللهُ عَنَّا الْمَوْتَ خَيْرًا فَإِنَّهُ
يُعَجِّلُ تَخْلِيصَ النَّفْسِ مِنَ الْأَذَى
٨١ - أْفُ عَلَى الدُّنْيَا:

فإنها للحزن مخلوقة
عن ملك فيها وعن سوقه

أَفُّ عَلَى الدُّنْيَا وَأَسْبَابِهَا
هو مهما ما تنقضي ساعة
٨٢ - كمطعمة الزهاد من كدِّ فرجها:

وأنت بحمد الله غير موفق
لك الويل، لا تزني، ولا تتصدَّقني

سَمِعْتُكَ تَبْنِي مَسْجِدًا مِنْ خِيَانَةٍ
كمطعمة الزهاد من كدِّ فرجها
٨٣ - عزيزان لا يوجدان:

من الناس هل من صديق صدوق
صديق صدوق وبئض الأنوق

تَغَرَّبْتُ أَسْأَلُ مَنْ عَنِّي لِي
فقالوا: عزيزان لا يوجدان
٨٤ - إدراك:

والبحث عن سرِّ ذات السرِّ إشراك
عن دركها عجزت جنُّ وأملاك

العَجْزُ عَن دَرَكِ الْإِدْرَاكِ إِدْرَاكٌ
وفي سرائرِ همَّاتِ الوريِّ هممٌ
٨٥ - لنا علمٌ وللجهالِ مالٌ:

لنا علمٌ وللجهالِ مالٌ
وإن العلم باقٍ لا يزالُ

رضينا قسمة الجبار فينا
فإنَّ المالَ يفنى عن قريبٍ

٨٦ - إني بري واثق وبأحمد:

لا تجزعن وشهد للترحيل
رجلٌ صدوقٌ قال عن جبريلِ
فإنَّ اللهُ يُرْدِيهِمَ عَنِ التَّنْكِيلِ
وسبيله متلاحق بسبيلي

إِنَّ الْمَنِيَّةَ شَرَبَةٌ مَوْزُودَةٌ
إِنَّ ابْنَ أَمْنَةَ النَّبِيِّ مُحَمَّدَا
أَرِخِ الزَّمَامَ وَلَا تَخَفْ مِنْ عَائِقِ
إني بري واثق وبأحمد

٨٧ - لا تجزع لما هو زائل:

فإنَّ اللَّيَالِي بِالْخُطُوبِ حَوَامِلُ
سريعاً فلا تجزع لما هو زائلُ

إِذَا مَا عَرَى خُطْبٌ مِنَ الدَّهْرِ فَاصْطَبِرْ
وكل الذي يأتي به الدهر زائلُ

٨٨ - عليلٌ من الدنيا:

وصاحبها حتى الممات عليلُ
وكل الذي دون الممات قليل

أرى علل الدنيا عليّ كثيرةٌ
وللحق أحياناً، لعمري، مرارةٌ

٨٩ - ولا تيأس فإن اليأس كُفْرٌ:

وَدَاوِ جِوَاكَ بِالصَّبْرِ الْجَمِيلِ
فقد أيسرت في الزمن الطويل
لعلَّ اللهَ يُغْنِي مِنِّي مِنْ قَلِيلِ
فإنَّ اللهَ أَوْلَى بِالْجَمِيلِ
وقول الله أصدق كل قيل
لكان الرزقُ عند ذوي العقول
سيروى من رحيق سلسبيل

أَلَا فَاصْبِرْ عَلَى الْحَدَثِ الْجَلِيلِ
وَلَا تَجْزَعْ وَإِنْ أَعْسَرَتْ يَوْمَا
وَلَا تَيْأَسْ فَإِنَّ الْيَأْسَ كُفْرٌ
وَلَا تَظُنُّنْ بِرَبِّكَ غَيْرَ خَيْرٍ
وَأَنْ الْعَسْرَ يَتْبَعُهُ يَسَارٌ
فَلَوْ أَنَّ الْعُقُولَ تَجَرُّ رِزْقَا
وَكَمْ مِنْ مُؤْمِنٍ قَدْ جَاعَ يَوْمَا

٩٠ - الدنيا كظُلٌّ زائلٌ:

أو كضيف بات ليلاً فارتحل

إنَّهَا الدُّنْيَا كَظُلٍّ زَائِلٍ

أو كطيف يراه نائم
٩١ - ذو العقل

يُمَثَّلُ ذُو الْعَقْلِ فِي نَفْسِهِ
فَإِنْ نَزَلَتْ بَعْتَهُ لَمْ يَرِعِ
رَأَى الْأَمْرَ يُفْضِي إِلَى آخِرِ
وَدُو الْجَهْلِ يَأْمَنُ أَيَّامَهُ
فَإِنْ بَدَهْتَهُ صُرُوفُ الزَّمَانِ
وَلَوْ قَدِمَ الْحَزْمُ فِي نَفْسِهِ
٩٢ - مَا أَحْسَنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالَهَا:

مَا أَحْسَنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالَهَا
مَنْ لَمْ يُوَاسِ النَّاسَ مِنْ فَضْلِهَا
كَأَنَّا لَمْ نَرِ أَعْمَالَهَا

٩٣ - صَنِ النَّفْسِ وَاحْمِلْهَا عَلَى مَا يَزِينُهَا:
يَعِزُّ غَنِيَّ النَّفْسِ إِنْ قَلَّ مَالُهُ
٩٤ - لَا تَرْجُ مَا لَمْ يَبْقَ:

هَبِ الدُّنْيَا تُسَاقُ إِلَيْكَ عَفْوًا
فَمَا تَرْجُو بِشَيْءٍ لَيْسَ بِيَقَى
٩٥ - الْإِنْسَانُ عِمْدٌ لِعَقْلِهِ:

إِذَا اجْتَمَعَ الْأَفَاكُ فَالْبُخْلُ شَرُّهَا
وَلَا خَيْرَ فِي وَعْدٍ إِذَا كَانَ كَاذِبًا
وَإِنْ كُنْتَ ذَا عَقْلٍ وَلَمْ تَكُ عَالِمًا

أو كبرق لاح في أفق الأمل

مَصَائِبُهُ قَبْلَ أَنْ تَنْزِلَا
لَمَّا كَانَ فِي نَفْسِهِ مَثَلًا
فَصَيْرَ آخِرَهُ أَوَّلًا
وَيُنْسَى مَصَارِعَ مَنْ قَدْ خَلَا
بِبَعْضِ مَصَائِبِهِ أَعْوَلًا
لَعَلَّمَهُ الصَّبْرُ عِنْدَ الْبَلَا

إِذَا أَطَاعَ اللَّهُ مَنْ نَاهَا
عَرَّضَ لِلْأَدْبَارِ إِقْبَالَهَا

وَيَغْنَى غَنِيَّ الْمَالِ وَهُوَ ذَلِيلٌ

أَلَيْسَ مَصِيرَ ذَلِكَ إِلَى الْمَزْوَالِ
وَشَيْكًا مَا تَغْيِرُهُ اللَّيَالِي

وَشَرُّ مَنْ الْبُخْلِ الْمَوَاعِيدُ وَالْمَطْلُ
وَلَا خَيْرَ فِي قَوْلٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ فَعْلُ
فَأَنْتَ كَذِي رَجُلٍ وَلَيْسَ لَهُ نَعْلُ

أَلَا إِنَّهَا الْإِنْسَانُ غَمْدٌ لِعَقْلِهِ
٩٦ - القبر صندوق العمل:

يَا مَنْ بِدُنْيَاهُ اشْتَغَلَ
الموت يأتي بغتةً
٩٧ - فَمَا طَعْمٌ أَمْرٌ مِنَ السُّؤَالِ !!:

لنقل الصخر من قلال الجبال
يَقُولُ النَّاسُ لِي فِي الْكُسْبِ عَارٌ
بَلَوْتُ النَّاسَ قَرْنًا بَعْدَ قَرْنٍ
وَذُقْتُ مَرَارَةَ الْأَشْيَاءِ طُرًّا
وَلَمْ أَرَ فِي الْخُطُوبِ أَشَدَّ هَوْلًا
٩٨ - فَإِنَّ ثَوَابَ اللَّهِ أَعْلَى وَأَنْبَلُ:

فإن تكن الدنيا تعدد نفيسةً
وإن تكن الأزواق حظاً وقسمةً
وإن تكن الأموال للترك جمعها
وإن تكن الأبدان للموت أنشئت
٩٩ - يَمُوتُ الْفَتَى فِي عَثْرَةِ بِلْسَانِهِ:

فلا تكثرن القول في غير وقته
يَمُوتُ الْفَتَى فِي عَثْرَةِ بِلْسَانِهِ
ولا تك مبثاثاً لقولك مفشياً
١٠٠ - تولى الشباب:

فَأَهْلًا وَسَهْلًا بِضَيْفٍ نَزَلَ

ولا خير في غمدي إذا لم يكن نصلُ

وَعَرَّهُ طُؤُلُ الْأَمَلِ
والقبر صندوق العمل

أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ مَنَنِ الرَّجَالِ
فقلت العار في ذل السؤال
ولم أر مثل محتالٍ بمالٍ
فَمَا طَعْمٌ أَمْرٌ مِنَ السُّؤَالِ
وأصعب من مقالات الرجال

فإن ثواب الله أعلى وأنبل
فقلة حرص المرء في الكسب أجمل
فما بال متروك به الحر يخل
فقتل امرئ لله بالسيف أفضل

وأدمن على الصمت المزين للعقل
وليس يموت المرء من عثرة الرجل
فتستجلب البغضاء من زلة النعل

وَأَسْتَوْدِعُ اللَّهَ الْفَارَّ حَلًّا

تولى الشباب كأن لم يكن
فأما المشيب كصبح بدا
سقى الله ذاك وهذا معا
١٠١ - الكريم يقدم ما يملكه:

وحلّ المشيب كأن لم يزل
وأما الشّباب فبدرٌ أقلُّ
فنعمة المولى ونعم البدل

فداري مُناخٍ لمن قد نزل
أقدم ما عندنا حاضرا
فأما الكريم فراضٍ به
١٠٢ - العلم لبس بالمنى:

وزادي مُباحٍ لمن قد أكمل
وإن لم يكن غير خبز وخل
وأما اللئيم فما قد أبُل

لو كان هذا العلم يُحصّل بالمنى
اجهد ولا تكسل ولا تك غافلاً
١٠٣ - كآسادٍ غيلٍ:

ما كان يبقَى في البريّة جاهلُ
فندامة العقبي لمن يتكاسلُ

كآسادٍ غيلٍ وأشبالٍ خيسٍ
تجيد الضراب وحزّ الرقاب
تكيد الكذوب وتُخزي الميوب
١٠٤ - صبر:

غداة الخميس بيضٍ صقالٍ
أمام العقاب غداة النزال
وتروي الكعوب دماء القذال

صبر الفتى لفقره يُجلّه
يكفي الفتى من عيشه أقله
١٠٥ - خوفاً من نجم:

وبذلّه لوجهه يُذلّه
الخبز للجائع أدم كُله

خوفاً من نجمٍ أخو خبل
فقلت دعني من أكاذيب الحيل
أدفع عن نفسي أفانين الدول

تراجع المريخ في بيت الحمل
المشترى عندي سواء وزحل
بخالقي ورازقي عز وجل

حسة فيما يسوعني لطويل
إلى الظلم لي لخلق سبيل

عتاق الطير تنجدل انجدالا
فلما شبت أفنيت الرجالا
ولم يدع السخاء لدي مالاً

إذا قيل قدمها حضين تقدا
حمام المنايا تقطر الموت والدم
أبى فيه إلا عزة وتكرماً
إذا كان أصوات الكهنة تغمغماً
لمدحج حتى أورثوها التندماً
جزى الله شراً أينما كان أظلماً
وما قرب الرحمن منها وعظماً
لدى البأس خيراً ما أعف وأكرماً
وبأس إذا لاقوا خميساً عرمرماً
بأسيفنا حتى تولى وأحجماً
ونادى كلاًعاً والكريب وانعماً
وحوشب والغاوي شريحاً وأظلماً
وصباحاً القيني يدعو وأسلاً

إن يومي من الزبير ومن طل
ظلماني ولم يكن علم الله
١٠٧ - أنا الصقر:

أنا الصقر الذي حدثت عنه
وقاسيت الحروب أنا ابن سبع
فلم تدع السيف لنا عدواً
١٠٨ - لنا الراية الحمراء:

لنا الراية الحمراء يخفق ظلها
ويدنو بها في الصف حتى يزيرها
تراه إذا ما كان يوم كريمة
وأحزم صبراً حين يدعى إلى الوعى
وقد صبرت عك ولحم وجمير
ونادت جدام يا لمدحج ويلكم
أما تتقون الله في حرماكم
جزى الله قوماً قاتلوا في لقاءهم
ربيعة أغني إتهم أهل نجد
أذقنا ابن حرب طعننا وضرابنا
وحتى ينادي زبرقان بن أظلم
وعمرراً وسفیاناً وجهماً ومالكاً
وكرز بن نهران وعمر بن جحدر

١٠٩ - الخيل تُقرعُ بالقنا:

فوارسها حمُرُ العيونِ دوامي
 غَمَامَةٌ دَجْنٍ مُلْبَسٍ بِقَتَامِ
 وكندة في لخم وحي جذام
 إِذَا نَابَ أَمْرٌ جُبِّيَّيَ وَحَسَامِي
 فوارس من همدان غير لئام
 غَدَاةَ الْوَعَى مِنْ شَاكِرٍ وَشَبَامِ
 وَرُهُمٍ وَأَحْيَاءِ السَّبِيْعِ وَيَامِ
 دَوُو نَجْدَاتٍ فِي اللَّقَاءِ كِرَامِ
 إِذَا اخْتَلَفَ الْأَقْوَامُ شُغْلَ ضِرَامِ
 سَعِيدُ بْنُ قَيْسٍ وَالْكَرِيمُ مُحَامِي
 وَكَانُوا لَدَى الْهَيْجَا كَشْرِبِ مُدَامِ
 سهام العدى في كل يوم خصام
 وَلَيْئِنْ إِذَا لَاقُوا وَحُسْنُ كَلَامِ
 تَبَّتْ عِنْدَهُمْ فِي غِبْطَةٍ وَطَعَامِ
 كَمَا عَزَّرُكُنَّ الْبَيْتِ عِنْدَ مَقَامِ
 سراع إلى الهيجاء غير كهام
 أقول لهمدان ادخلوا بسلام

وَمَا رَأَيْتُ الْخَيْلَ تُقْرَعُ بِالْقَنَا
 وَأَقْبَلَ رَهْجٍ فِي السَّمَاءِ كَأَنَّهُ
 وَنَادَى ابْنُ هِنْدٍ ذَا الْكِلَاعِ وَيَخْضَبَا
 تيممت همدان الذين هم هم
 وناديت فيهم دعوة فأجابني
 فوارس من همدان ليسوا بعزل
 ومن أرحب الشم المطاعين بالقنا
 ومن كل حي قد أتني فوارس
 بكل رديني وعصب تحاله
 يقودهم حامي الحقيقة منهم
 فحاضوا لظاها واصطلوا بشرارها
 جَزَى اللَّهُ هَمْدَانَ الْجِنَانَ فَأَيُّهُمْ
 لهمدان أخلاق ودين يزينهم
 متى تأتهم في دارهم لضيفة
 أَلَا إِنَّ هَمْدَانَ الْكِرَامِ أَعَزَّةٌ
 أَنْاسٌ يُجِبُّونَ النَّبِيَّ وَرَهْطَهُ
 إذا كنت بواباً على باب جنة
 ١١٠ - أفاطم:

فلسنت برعديد ولا بئيم
 وَمَرْضَاةَ رَبِّ بِالْعِبَادِ رَحِيمِ

أفاطم هاك السيف غير ذميم
 أفاطم قد أبليت في نصر أحمد

أُرِيدُ نَوَابَ اللَّهِ لَا شَيْءَ غَيْرَهُ
وَكُنْتُ أَمْرًا أَسْمُو إِذَا الْحَرْبُ شَمَّرَتْ
أَثَمْتُ ابْنَ عَبْدِ الدَّارِ حَتَّى ضَرَبْتُهُ
فغادرته بالقاع فارفض جمعه
وَسَيْفِي يَكْفِي كَالشَّهَابِ أَهْرَهُ
١١١ - حلاوة دنياك مسمومة:

ورضوانه في جنبةٍ ونعيم
وَقَامَتْ عَلَى سَاقٍ بَغَيْرِ مُلِيمٍ
بِذِي رَوْتِ يَفْرِي الْعِظَامَ صَمِيمٍ
وأشفيت منهم صدر كل حلیم
أَجْرُ بِهِ مِنْ عَاتِقٍ وَصَمِيمٍ

إذا كنت في نعمة فارعها
فإن تعط نفسك آملها
فأين القرون ومن حولهم
محامد دنياك مذمومة
فكم قَدَرِ دَبِّ فِي مهلة
وَكُنْ مُوسِرًا شَتَّتَ أَوْ مُعْسِرًا
دنياك بالأحزان مقرونة
١١٢ - عُصْبَةٌ أَسْلَمِيَّةٌ:

فإنَّ المعاصي تزيل النعم
فعند مناهي يحلُّ الندم
تفانوا جميعاً وربي الحكم
فلا تكسب الحمد إلا بدم
توقَّ زوالاً إذا قيلَ تم
لابدَّ في الدنيا من الغم
لا تقطع الدنيا بلا هم

جَزَى اللَّهُ عَنِّي عُصْبَةً أَسْلَمِيَّةً
شَقِيقٌ وَعَبْدُ اللَّهِ بِشُرٍّ وَمَعْبَدٌ
وعروة لا ينأى فقد كان فارساً
إِذَا اخْتَلَفَ الْأَبْطَالُ وَاشْتَبَكَ الْقَنَا
١١٣ - فلا تهلك على ما فات وجرأ:

صَبَاحَ الْوُجُوهِ صُرِّعُوا حَوْلَ هَاشِمٍ
وَسُفْيَانُ وَأَبْنَا هَاشِمٍ ذِي الْمَكَارِمِ
إذا الحرب هاجت بالقنا والصوارم
وكان حديث القوم ضرب الجماجم

فما نوب الحوادث باقيات
كما يمضي سرورٌ وهو جَمٌّ

ولا البؤس تدوم ولا النعيم
كذلك ما يسوءك لا يدوم

فلا تهلك على مافات وجدا
١١٤ - فضل مودة:

أخ طاهر الأخلاق عذب كآته
يزيد على الأيام فضل مودة
١١٥ - وعين الله لم تنم:

لا تظلمن إذا ما كنت مقتدرا
تنام عينك والمظلوم متتبه
١١٦ - السر الحقيقي:

لا تُودع السر إلا عند ذي كرم
والسر عندي في بيت له علق
١١٧ - الدهر منحل النظام:

تنزه عن مجالسة اللئام
ولا تك وإثقا بالدهر يوما
ولا تحسد على المعروف قوما
وثق بالله ربك ذي المعالي
وكن للعلم ذا طلب وبحث
وبالعوراء لا تنطق ولكن
وإن خان الصديق فلا تخنه
ولا تحمل على الإخوان ضغنا
١١٨ - عجيب:

كم من أدب فطن عالم

ولا تُفردك بالأسف الهوم

جنى النحل ممزجا بماء غمام
وشدة إخلاص ورعي ذمام

فالظلم مرتعه يُفصي إلى الندم
يدعو عليك وعين الله لم تنم

والسر عند كرام الناس مكتوم
قد ضاع مفتاحه والبيت مختوم

والمم بالكرام بني الكرام
فإن الدهر منحل النظام
وكن منهم نل دار السلام
وذي الآلاء والنعمة الجسمام
وناقش في الحلال وفي الحرام
بما يرضي الإله من الكلام
ودم بالحفظ منه وبالذمام
وخذ بالصفح تنج من الأثام

مستكمل العقل مقل عديم

وَمِنْ جَهُولٍ مُكْثِرٍ مَالَهُ
١١٩ - الغواني للبكا:

أتصبر للبلوى عزاء وحسبة
خُلقنا رجالاً للتجلد والأسى
١٢٠ - اللبيب:

وإذا طلبت إلى كريم حاجةً
وَإِذَا رَأَى مُسَلِّمًا ذَكَرَ الَّذِي
١٢١ - لأمرٍ ما تصرّفت الليالي:

أما والله إنَّ الظُّلْمَ شَوْمٌ
إِلَى الدِّيَانِ يَوْمَ الدِّينِ نَمْضِي
ستعلمُ في الحساب إذا التقينا
ستنقطع اللذاذة عن أناس
لأمرٍ ما تصرّفت الليالي
سلّ الأيام عن أمم تقضت
تَرُومُ الخُلْدَ في دارِ المَنَايا
تَنَامُ وَلَمْ تَنَمْ عَنْكَ المَنَايا
لهوت عن الفناء وأنت تفني
تموت غداً وأنت قريير عين
١٢٢ - واسترزق الله مما في خزانته:

لَا تَخْضَعَنَّ لِخَلْقٍ عَلَيَّ طَمَعٍ
واسترزق الله مما في خزانته

ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ

فَتُوجِرَ أُمَّ تَسْلُو سُلُو الْبَهَائِمِ!
وتلك الغواني للبكا والمآتم

فَلَقَاؤُهُ يَكْفِيكَ وَالتَّسْلِيمِ
حمّته فكأنه مبروم

وَلَا زَالَ المِيسِيءُ هُوَ الظُّلْمُ
وعند الله تجتمع الخصوم
غداً عند المليك من الغشوم
من الدنيا وتنقطع الهموم
لأمرٍ ما تحركت النجوم
ستخبرك المعالم والرسوم
فَكَمْ قَدَرَامٍ مِثْلَكَ مَا تَرُومُ
تنبّه للمنية يا نؤوم
فما شيء من الدنيا يدوم
مِنَ العَصَلَاتِ في الجُبْحِ تَعُومُ

فإنّ ذلك وهن منك في الدين
فإنها الأمر بين الكاف والنون

إِنَّ الَّذِي أَنْتَ تَرْجُوهُ وَتَأْمَلُهُ
مَا أَحْسَنَ الْجُودَ فِي الدُّنْيَا وَفِي الدِّينِ
مَا أَحْسَنَ الدِّينَ وَالدُّنْيَا إِذَا اجْتَمَعَا
لَوْ كَانَ بِاللُّبِّ يَزْدَادُ اللَّيْبُ غِنًى
لَكِنَّمَا الرِّزْقُ بِالْمِيزَانِ مِنْ حَكَمِ
١٢٣ - نَعَمْ اللَّهُ تَعَالَى:

لَا تَكْتُرْهُ الْمَكْرُوهَ عِنْدَ نَزْوِلِهِ
كَمْ نِعْمَةٌ لَمْ تَسْتَقِلْ بِشُكْرِهَا
١٢٤ - مَعِيَ سِلَاحِي:

قَدْ عَرَفَ الْحَرْبَ الْعَوَانَ أَنِي
سَنَحْنَحُ اللَّيْلَ كَأَنِّي جَنِي
مَعِيَ سِلَاحِي وَمَعِيَ مِحْنِي
أَقْضِي بِهِ كُلَّ الْعُدَاةِ عَنِّي
١٢٥ - لَهُمْ لِسَانَانِ وَوَجْهَانِ:

هَذَا زَمَانٌ لَيْسَ إِخْوَانُهُ
إِخْوَانُهُ كُلُّهُمْ ظَالِمٌ
يَلْقَاكَ بِالْبَشَرِ وَفِي قَلْبِهِ
حَتَّى إِذَا مَا غِبْتَ عَنْ عَيْنِهِ
هَذَا زَمَانٌ هَكَذَا أَهْلُهُ
يَا أَيُّهَا الْمَرْءُ فَكُنْ مُفْرَدًا
وَجَانِبِ النَّاسِ وَكُنْ حَافِظًا

مِنَ الْبَرِيَّةِ مُسْكِينُ ابْنِ مُسْكِينٍ
وَأَقْبَحَ الْبُخْلِ فَيَمْنُ صَيْغٌ مِنْ طِينٍ
لَا بَارَكَ اللَّهُ فِي دُنْيَا بِلَادِيْنَ
لَكَانَ كُلُّ لَبِيبٍ مِثْلَ قَارُونِ
يُعْطِي اللَّيْبَ وَيُعْطِي كُلَّ مَأْفُونِ

إِنَّ الْمَكَارَهُ لَمْ تَنْزَلْ مَتْبَابِنَهُ
لِلَّهِ فِي طَيِّ الْمَكَارِهِ كَامِنَهُ

بِأَزْلٍ عَامِلِينَ حَدِيثَ سَنٍ
اسْتَقْبَلَ الْحَرْبَ بِكُلِّ فَنٍ
وَصَارِمٍ يَذْهَبُ كُلُّ ضَغْنٍ
لِمِثْلِ هَذَا وَلِدُنِّي أُمِّي

يَا أَيُّهَا الْمَرْءُ بِإِخْوَانِ
لَهُمْ لِسَانَانِ وَوَجْهَانِ
دَاءٌ يُوَارِيهِ بِكِتْمَانِ
رَمَاكَ بِالزُّورِ وَبِهْتِمَانِ
بِالْوَدِّ لَا يَصْدُقُكَ اثْنَانِ
دَهْرَكَ لَا تَأْتِسُ بِإِنْسَانِ
نَفْسَكَ فِي بَيْتٍ وَحَيْطَانِ

١٢٦ - دُنْيَا تُحْوَلُ:

فِي كُلِّ يَوْمٍ مَرَّتَيْنِ
وَرَوَّاحُهَا لِشَتَاتِ بَيْنِ

دُنْيَا تُحْوَلُ بِأَهْلِهَا
فَعَدَّوْهَا لِتَجْمُعِ
١٢٧ - الصَّبْرُ:

وَكُلِّ خَيْرٍ بِهِ يَكُونُ
فَرُبَّمَا طَاوَعَ الْحَزُونَ

الصَّبْرُ مُفْتَاخُ مَا يُرْجَى
فَاصْبِرْ وَإِنْ طَالَتِ اللَّيَالِي
١٢٨ - خَابَ مَنْ يَطْلُبُ شَيْئًا لَا يَكُونُ:

كُلَّمَا هَوَّنَتْ إِلَّا سَيِّئُهُونُ
إِنَّمَا الْمَرْءُ سَهْوٌ وَحَزُونُ
خَابَ مَنْ يَطْلُبُ شَيْئًا لَا يَكُونُ

هَوْنِ الْأَمْرِ تَعِشْ فِي رَاحَةٍ
لَيْسَ أَمْرُ الْمَرْءِ سَهْلًا كُلَّهُ
تَطْلُبُ الرَّاحَةَ فِي دَارِ الْعِنَا
١٢٩ - أَيُّ أَحْدُوثةٍ تُحِبُّ فَكُنْهَا!؟:

وَتَوَقَّ الدُّنْيَا وَلَا تَأْمَنْتَهَا
وَأَدْخَلْتَهَا لِتَخْرُجَ عَنْهَا
أَيُّ أَحْدُوثةٍ تُحِبُّ فَكُنْهَا

عُدَّ مِنْ نَفْسِكَ الْحَيَاةَ فَصُنْهَا
إِنَّمَا جِتُّهَا لِتَسْتَقْبَلَ الْمَوْتَ
سَوْفَ يَبْقَى الْحَدِيثُ بَعْدَكَ فَانظُرْ
١٣٠ - إلهي!!!:

مُقَرَّرٌ بِالَّذِي قَدْ كَانَ مِنِّي
بِعَفْوِكَ إِنْ عَفَوْتَ وَحَسَنَ ظَنِّي
عَضَضْتَ أَنْامِلِي وَقَرَعْتَ سَنِي
لِشَرِّ الْخَلْقِ إِنْ لَمْ تَعْفُو عَنِّي
إِذَا فَكَكَّرْتُ فِي نَدَمِي وَحَزَنِي
وَأَفْنِي الْعَمْرَ مِنْهَا بِالْتَمَنِي

إِلَهِي لَا تُعَذِّبْنِي، فَإِنِّي
وَمَالِي حَيْلَةٌ، إِلَّا رَجَائِي
فَكَمْ مِنْ زَلَّةٍ لِي فِي الْبَرَايَا
يَظُنُّ النَّاسُ بِي خَيْرًا وَإِنِّي
وَبَيْنَ يَدَيَّ مَحْتَبَسٌ طَوِيلٌ
أَجْنُ بَزَهْرَةَ الدُّنْيَا جَنُونًا

فلو أني صدقتُ الزهد فيها
١٣١ - فكن بالشكر منطلق اللسان:

ومن كرمت طبائعه تحلى
ومن قلت مطاعمه تغطى
وما يدري الفتى ماذا يلاقى
فإن غدرت بك الأيام فاضرب
ولا تنك سـاكناً في دار ذل
وإن أولاك ذو كـرم جـيلاً
١٣٢ - مجرب:

الدهر أدبني واليأس أغناني
وأحكمتني من الأيام تجرّبة
١٣٣ - فحقق يا إلهي حسن ظني:

إلهي أنت ذو فضلٍ ومن
وظني فيك يا ربّي جيلاً
١٣٤ - المرأة جوهرة فاحفظها:

لا تأمنن من النساء ولو أخاً
إنّ الأمين وإن تعقف جهده
القبر أوفى من وثقت بعهده
١٣٥ - يُقاس المرء بالمرء:

فلا تصحب أخا الجهل
فكم من جاهل أردى

قلبت لها ظهر المجن

بآدابٍ مُفضّلةٍ حسانٍ
من الدنيا بأثواب الأمان
إذا ما عاش من حدّ الزمان
وكن بالله محمود المعاني
فإن النذل يقرن بالهوان
فكن بالشكر منطلق اللسان

والقوت أقتعني والصبر رباني
حتّى مهيت الذي قد كان ينهاني

وإني ذو خطايا فاعف عني
فحقق يا إلهي حسن ظني

ما في الرجال على النساء أمين
لأبد أن ينظره سـيحون
ما للنساء سوى القبور حصون

وإيّاك وإيّاها
حلياً حين أخاه

يُقَاسُ الْمَرْءُ بِالْمَرْءِ
وللقلب على القلبِ
وللشيء من الشيء
وفي العين غنى للعين
١٣٦ - ولست أرشد إلا حين أعصيتها:

إِذَا مَا هُوَ مَا شَاءَ
دَلِيلٌ حِينَ يَلْقَاهُ
مَقَامِيسٌ وَأَشْبَاهُ
أَنْ تَنْطِقَ أَفْوَاهُ

إن المكارم أخلاق مطهرة
والعلمُ ثالثُها والحلمُ رابعُها
والبر سابعها والصبر ثامنُها
والنفس تعلم أني لا أصادقها
١٣٧ - أين الملوك التي كانت مسلطنة؟!!!:

فَالدِّينُ أَوْلَاهَا وَالْعَقْلُ ثَانِيهَا
والجود خامسُها والفضل سادسُها
والشُّكْرُ تاسِعُها واللِّينُ بَاقِيهَا
ولست أرشد إلا حين أعصيتها

النفس تبكي على الدنيا وقد علمت
لا دار للمرء بعد الموت يسكنها
فإن بناها بخير طاب مسكنها
أين الملوك التي كانت مسلطنة
أموالنا لذوي الميراث نجمُها
كم من مداين في الآفاق قد بنيت
لكلِّ نفسٍ وإن كانت على وجلٍ
فالمرء يبسطها والدهر يقبضها
١٣٨ - عَجَبًا لِلزَّمَانِ:

أَنَّ السَّلَامَةَ فِيهَا تَرُكُ مَا فِيهَا
إِلَّا الَّتِي كَانَ قَبْلَ الْمَوْتِ بَانِيهَا
وإن بناها بشراً خاب بانيها
حتى سقاها بكأس الموت ساقبها
ودورنا لخراب الدهر نبيها
أمسّت خراباً ودان الموت دانها
مِنَ الْمَنِيَّةِ آمَالٌ تُقْوِيهَا
والنفس تنشرها والموت يطويها

عَجَبًا لِلزَّمَانِ فِي حَالَتِيهِ
رُبَّ يَوْمٍ بَكَيْتُ مِنْهُ فَلَمَّا

وبلاء ذهبّت من إليه
صرت في غيره بكيّت عليه

يَأْتِيكَ رِزْقُكَ حِينَ يُؤَدُّ فِيهِ
يَأْتِيكَ حِينَ الْوَقْتِ أَوْ تَأْتِيهِ
بالعبء أرأف على أبِ بنيه
يضني حشاك وأنت لا تضنيه

وأسدًا جيعاً نظماً الدهر ما تُروى
وقوماً لثاماً تأكلُ المنَّ والسَّلوى
وليس على رد القضا أحدٌ يقوى

أن لا يشمَّ مدى الزمان غواليها
صبت على الأيام عُذْنَ لياليها

كففتك القنائة شبعاً ورياً
وهامة همتته في الثريا
تراه لماً في يديه أبيتاً
دون إراقاة ماء المحيا

يدقَّ خفاه عن فهم الذكيِّ
ففرج كربة القلب الشجيِّ
وتأتيك المسرة بالعشيِّ

لا تعتبنَّ على العباد فإنها
سبق القضاء لوقته فكأنه
فتق بمولاك الكريم فإنه
وأشع غناك وكن لفقرك صائناً
١٤٠ - وليس على رد القضا أحدٌ يقوى:

أرى محمراً ترعى وتأكل ما تهوى
وأشرف قوم ما ينالون قوتهم
قضاء الخلاق الخلاق سابق

١٤١ - الغوالي!!!!

ماذا على من شمَّ تربة أحمدٍ
صبت علي مصائب لو أنها
١٤٢ - همة في الثريا:

إذا أظمأتك أكف الرجال
فكن رجلاً رجله في الثرى
أبياً لنائل ذي ثروة
فإن إراقاة ماء الحياة

١٤٣ - لطف الله تعالى:

وكم لله من لطفٍ خفيٍّ
وكم يسرٍ أنى من بعد عسرٍ
وكم أمرٍ تساء به صباحاً

إذا ضاقت بك الأحوال يوماً
توسَّل بالنبيِّ فكلَّ خطبٍ
ولا تجزع إذا ما نابَ خطبٌ
١٤٤ - محترس:

فثق بالواحد الفرد العليِّ
يُـسـوُن إذا تُوسَّل بالنبيِّ
فكم لله من لطفٍ خفي

ومحترس من نفسه خوف ذلة
فقلص برديه وأفضى بقلبه
وجانب أسباب السَّفاهة والخبثا
وصان عن الفحشاءِ نفساً كريمةً
تراه إذا ما طاش ذو الجهل والصبأ
لَهُ حِلْمٌ كَهْلٍ في صرَامَةِ حازِمٍ
يروق صفاء الماء منه بوجهه
ومن فضله يزعى ذماماً لجاره
صبوراً على صرف الليالي ودرئها
له همّةٌ تعلو كل همّةٍ
١٤٥ - ونسأل بعد ذا عن كل شيء:

تكونُ عليه حُجَّةٌ هي ما هيا
إلى البر والتقوى فنال الأمانيا
عفافاً وتنزيهاً فأصبحَ عاليًا
أبت همّةً إلا العلى والمعالييا
حليماً وقوراً صائن النفس هاديا
وفي العين إن أبصرت أبصرت ساهيا
فأصبح منه الماء في الوجه صافيا
ويحفظ منه العهد إذ ظل راعيا
كتوماً لأشرار الضمير مُداريا
كما قد علا البدرُ النجومَ الداريا

لكان الموتُ راحةً كلَّ حيِّ
ونُسال بعد ذا عن كل شيءٍ

ولو أننا إذا متنا تركنا
ولكننا إذا متنا بُعثنا

ثانياً: حسان بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه

أ - نشأته وحياته: ولد حسان بن ثابت بن المنذر بن حزام النجاري، الخزرجي في المدينة المنورة عام سبعين (٧٠ ق - هـ) وتوفي في زمن معاوية عام (٥٤ هـ) (٦٧٤ م)، وقد عاش مئة وعشرين سنة نصفها في الجاهلية ونصفها في الإسلام، وهو شاعر مخضرم وفد على الغساسنة في الشام، ووفد على المناذرة في الحيرة، ثم وقف شعره بعد قدوم الرسول إلى المدينة على المنافحة عن الدين الإسلامي الجديد.

ب - شخصيته: كان حسان بن ثابت فارساً لا يُشقُّ له غبار على الرغم من الدعايات التي أحاطت به من أنه لم يكن شجاعاً، بنى شخصيته الشعرية من القيم السامية التي استقاها أيام جاهليته، وبعد إسلامه، ولكنه بقي متميزاً بسرعة الانفعال والاعتزاز الشديد بنفسه والمبالغة في التعصب لقومه، اتهمه بعض النقاد بالجبن لعدم مشاركته مع الرسول في غزواته مع أنه كان مصاباً بعلّة إضافة إلى كبر سنّه منعه من ذلك، وقد وصفه الرسول عليه السلام بالأسد قائلاً: (قد آن لكم أن ترسلوا إلى هذا الأسد الضاري بذنبه). داعياً حسان لقتال المشركين.

ج - نماذج من شعره في العهد الراشدي:

قال حسان بن ثابت يرثي عثمان بن عفان:

أوفت بنو عمرو بن عوف نذرها	وتلوثت غدرًا بنو النجار
وتخاذلت يوم الحفيظة أنهم	ليسوا هنالك من الأخيار
ونسوا وصاة محمد في صهره	وتبدلوا بالعز دار بوار
أتركتموه مفرداً بمضيعة	تنتابه الغوغاء في الأمصار
لهفان يدعو غائباً أنصاره	يا ويحكم يا معشر الأنصار
هلاً وفيتم عندها بعهودكم	وفديتم بالسمع والأبصار
جيرانه الأدنون حول بيوته	غدروا ورب البيت ذي الأستار

تهدي أوائل جحفل جرار
حتى ينيخ جموعهم بصرار
أبدأ ولو أمنوا بحلس حمار
ذماً فبئس مواضع الأصهار
خلصت مضارب به بزناد وار
نصر الإله به على الكفار
لو شئتم في معزل وقرار
لن يطلبوا بدماء أهل الدار
كتبت مضاجعهم مع الأبرار.

إن لم تروا مدداً له وكتيبة
فعدمت ما ولد ابن عمر ومنذر
والله لا يوفون بعد إمامهم
أبلغ بني بكر إذا ما جئتهم
غدروا بأبيض كاهللال مبرأ
من خير خندف كلها بعد الذي
طاو عتم فيه العدو وكتتم
لا يحسبن المرجفون بأنهم
حاشا بني عمرو بن عوف أنهم

ثالثاً: جرول بن أوس العبسي (الحطيئة) (جاهلي - إسلامي - راشدي)

أ - حياته ونشأته:

هو جرول بن أوس العبسي، لم يضبط تاريخ ميلاده وإن كانت وفاته في ٥٩ هـ - ٦٧٨ م يقال: إن أمه بضراء وهي أمة من الإماماء، وقيل: إن نسبه كان مغموراً، فكان ينتقل بنسبه بين القبائل، أسلم في أواخر حياة الرسول، ثم ارتد مع المرتدين من قومه، ثم عاد بعد عودة المرتدين. لقب بالحطيئة لقصره ودمامة وجهه. وقد كان مضطرب النسب غير صريح القرابة طلب الالتحاق بإخوته من أبيه فلم يفلح فهجأهم والتحق بأهل امرأة أبيه من ذهل، فلم يلتق عندهم خيراً فهجأهم وانصرف عنهم.. وبقيت حياته منذ ذاك حياة تنقل دائم من قبيلة إلى قبيلة وتقلب من نسب إلى نسب.

تزوج الحطيئة أم مليكة وقد أظهر لها ولأولاده منها حباً شديداً يدل على سعة قلب هذا الإنسان كما يدل على أن حقه على الناس لم يكن من خبث أصيل في طبعه، بل كان مظهراً من مظاهر الانتقام من مجتمع رفض قبوله والاعتراف به في صفوفه.

اتخذ الحطيئة من شعره وسيلة إلى الرزق فكان يمدح من يعطيه ويهجو من يمنعه، ولذلك امتلأ ديوانه بهذين الغرضين المديح والهجاء.

ب - شخصيته:

كان لرفض المجتمع الجاهلي للحطيئة آثار بعيدة في تكوينه النفسي والخلقي، فقد حقد على هذا المجتمع وكرهه ورفض قيمه التي يؤمن بها، ومن هنا كان هجاءه المر واستهائته بكل ما هو جليل عند الآخرين وقد عاش الحطيئة شاعراً هجاءً أثر في شخصيته عاملان مهمان: الأول: قصره وضعف جسمه وقبح وجهه.

والثاني: اضطراب نسبه فليس له أب معين وأمه جارية.

عاش حياته ناقماً على المجتمع مقذعاً في هجائه، ولم يسلم من هجائه أمه التي قال عنها:

جـزاك الله شراً ممن عجزوز ولقائك العقوق ممن البينا

أغرب بالآ إذا استودعت سرّاً وكانوناً على المتحدثينا
ثم إنه هجا نفسه وسبب ذلك حرمانه من عطف الأب وحنان الأم ورعاية المجتمع، دفعه
إلى التكسب بشعره فقره وامتناع إخوته لأبيه من مشاركته بالهم، وصفه بعضهم
بالجشع والإلحاف، ولكنه كان محباً لزوجته (أم مليكة) وأولاده حباً شديداً فإذا ما صفت
نفسه، دعا إلى التقوى واعتبرها مفتاح السعادة:

ولست أرى السعادة جمع مال ولكن التقى هو السعيد
وتقوى الله خير الزاد ذخرا وعند الله للأتقى مزيد
وقد أولع الشاعر بالسخرية حتى قيل: إنه عندما حضرته الوفاة طلب أن يحمل على أتان؛
لأن الكريم لا يموت في فراشه.

ج - شعره: كتب الحطيئة معظم شعره في المديح والهجاء وأجاد في كليهما، فإذا ما تحدث
ومدح ذكر المآثر والمفاخر، كما في مدحه أحد أشرف بني شماس:

يسوسون أحلاماً بعيداً أناهم
مطاعين في الهيجا مكاشيف للدجى
ويقول في مدح بني أنف الناقة:

قوم هم الأنف والأذنان غيرهم
أما هجاؤه فقد كان مقذعاً كما في قوله في هجاء الزبرقان:

دع المكارم لا ترحل لبغيها
من يفعل الخير لا يعدم جوازيه
وقد سجنه عمر بن الخطاب بعد أن شكاه الزبرقان فقال مستعظفاً:

ماذا تقول لأفراخ بندي مرخ
ألقيت كاسيهم في قعر مظلمة
وقد أخرج عمر بن الخطاب واشترى منه أعراض الناس بخمسة آلاف درهم.

يعد الحطيئة أول من كتب القصة الشعرية عند العرب، وذلك عندما قال قصيدته التي مطلعها:

وطاوي ثلاث عاصب البطن مرمل ببيداء لم يعرف بها ساكن رسما
وهو أحد فحول الشعراء إذ إن شعره متين السبك، جيد العبارة جزل الألفاظ، وعميق المعاني.

د - عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه والحطيئة:

كانت للحطيئة مع الزبرقان بن بدر حادثة قد أضرتة كثيراً، ذلك أن الحطيئة لقي الزبرقان في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه يؤم المدينة، وكان على صدقات قومه، فلما عرفه دلّه على داره حيث زوجته وعشيرته؛ فنزل بأهله، وفزح بنو أنف الناقة؛ وكانت لهم خصومة مع (الزبرقان بن بدر)، فعملوا على إفساد العلاقة بين الشاعر والزبرقان، فاستمالوا الحطيئة إليهم، فمدحهم، وعرض للزبرقان فكان هجاؤه إليه بصورة غير مباشرة في قصيدة طويلة حيث يخاطبه فيها:

دع المكارم لا ترحل لبغيتهما واقعد فأنتك أنت الطاعم الكاسي
فشكاه الزبرقان إلى عمر بن الخطاب، فحبسه ولما طال به الحبس استعطف الحطيئة عمراً بأبياته المشهورة:

مَآذَا تَقُولُ لِأَفْرَاحِ بِنْدِي مَرَحٍ	زَغِبِ الْخَوَاصِلَ لَا مَاءً وَلَا شَجْرُ
أَلْقَيْتَ كَاسِبَهُمْ فِي قَعْرِ مُظْلِمَةٍ	فَاغْفِرْ عَلَيَّكَ سَلَامُ اللَّهِ يَا عَمْرُ
أَنْتَ الْأَمِينُ الَّذِي مِنْ بَعْدِ صَاحِبِهِ	أَلْقَيْتَ إِلَيْكَ مَقَالِيدَ النَّهْيِ الْبَشَرُ
لَمْ يَوْثُرُوا بِهَا إِذْ قَدَّمُوا لَهَا	لَكِنْ لِأَنْفُسِهِمْ كَانَتْ بِكَ الْأَثَرُ
فَامْنِ عَلَى صَبِيَةٍ بِالرَّمْلِ مَسْكُنُهُمْ	بَيْنَ الْأَبَاطِحِ يَغْشَاهُمْ بِهَا الْقَدْرُ
نَفْسِي - فِدَاؤُكَ كَمْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ	مَنْ عَرَضَ وَاذِيَّةً يَعْمَى بِهَا الْخَبْرُ

فعفا عنه بعد أن أخذ عليه العهد أن لا يعود إلى الهجاء؛ وقيل: إن الخليفة عمر بن الخطاب اشترى منه أعراض المسلمين بثلاثة آلاف درهم؛ ولكنه عاد للهجاء بعد وفاة عمر مرة أخرى.

- سبب حبسه: أن الزبرقان بن بدر التيمي سيد قومه عمِل للنبي ﷺ وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وكان يجمع زكاة قومه ويؤديها لهم. وقد اشتكى لعمر لما هجاه الحطيئة. فقال له عمر: وما قال لك، قال: قال لي:

دع المكارم لا ترحل لبغيتها واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي
فقال عمر: ما أسمع هجاء ولكنها معاتبه. فقال الزبرقان: أو لا تبلغ مروعي إلا أن أكل وألبس! والله يا أمير المؤمنين ما هُجيت بيت قط أشد عليّ منه. فدعا عمر حسان بن ثابت وسأله: أتراه هجاه؟ قال حسان: نعم وسلح عليه! فحسب عمر الحطيئة، فجعل الحطيئة يستعطفه ويرسل إليه الأبيات، فمن ذلك قوله:

ماذا تقول لأفراخٍ بذني مرخٍ زغبُ الحواصلِ لا ماءً ولا شجرُ
فلم يلتفت إليه عمر، حتى أرسل إليه الحطيئة:

غادرت كاسبهم في قعر مظلمة فارحم هداك مليك الناس يا عمرُ
أنت الإمام الذي من بعد صاحبه ألقى إليك مقاليد النهى البشرُ
لم يؤثروك بها إذ قدّموك لها لكن لأنفسهم كانت بك الأثرُ
فامنن على صبية بالرّمّل مسكنهم بين الأباطح يغشاهم بها القدرُ
نفسى فداؤك كم بيني وبينهم من عَرَضٍ واديةٍ يعمى بها الخبرُ
قال عمر: فإياك والمقذع من القول، فقال الحطيئة: وما المقذع؟ قال عمر: أن تخاير بين الناس، فتقول فلان خير من فلان وآل فلان خير من آل فلان؛ قال الحطيئة: فأنت والله أهجى مني. ثم قال له عمر: والله لولا أن تكون سنة لقطعت لسانك. فاشترى عمر منه أعراض المسلمين بثلاثة آلاف درهم، وأخذ عليه عهداً ألا يهجو أحداً ولكن يقال: إنه رجع للهجاء بعد استشهاد عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

ه - موقفه من أمه وأبيه ونفسه:

لم يتورع الحطيئة في هجائه عن تناول أمه وأبيه وأقاربه، وكل من راقته له نفسه أن يهجوه.

١ - فقد قال عن أمه:

تنحي فاقعدي مني بعيداً
ألم أوضح لك البغضاء مني
أغربالاً إذا استودعت سرّاً
جزاك الله شراً من عجوز
حياتك ما علمت حياة سوء
٢ - وهجا أباه فقال:

لحاك الله ثم لحاك حقاً
فنعم الشيخ أنت لدى المخازي
جمعت اللؤم لا حياك ربي
٣ - وقال يهجو نفسه: بعد أن رأى وجهه في الماء:

أبت شفتاي اليوم إلا تكلماً
أرى لي وجهاً شوّه الله خلقه
بسوءٍ فما أدري لمن أنا قائله
فقُبِّح من وجهه وقُبِّح حامله
٤ - وعندما مات أوصى أن يعلق هذا على كفنه:

لا أحدٌ لأُم من حطيّة
هجا بنيّه وهجا المريّة
من لؤمه مات على فريّة

و - رأي النقاد بشعره:

١ - وصفه الأصمعي فقال عنه: كان قليل الخير جشعاً سوؤلاً ملحاحاً دنيء النفس كثير الشر بخيلاً قبيح المنظر رثّ الهيئة فاسد الدين بذيئاً هجّاءً إلى درجة أنه هجا نفسه بقوله:

أبت شفتاي اليوم إلا تكلماً
أرى لي وجهاً شوّه الله خلقه
بسوءٍ فما أدري لمن أنا قائله
فقُبِّح من وجهه وقُبِّح حامله
وقيل: إنه لزم زهير بن أبي سلمى يعلمه أحكام الشعر. فاشتهر بالهجاء.

٢ - يقول بعض المؤرخين: إنه كان ناقماً على الناس لوضاعة أصله لذا نراه اشتهر بالهجاء فهجى أمه وأباه وأقاربه ومن الناس كثير وهجا نفسه، وكذلك اشتهر بالمدح والغزل.

٣ - التزم الحطيئة بالمدرسة الشعرية الجاهلية أسلوباً ومنهجاً؛ فهو من أصحاب مدرسة الصنعة الشعرية (المدرسة الأوسية) وقد التزم منهج الهجاء.

٤ - وقد اختلف الرواة في إسلامه، فمنهم من يرى أنه قدم إلى النبي ﷺ بعد فتح مكة وأعلن إسلامه؛ وقسم منهم يؤكد أنه تأخر إسلامه والتزم الصمت بعد إسلامه؛ وبعد وفاة النبي محمد ﷺ ارتد عن الإسلام ولم يسلم ثانية إلا بعد انتهاء حروب الردة. وفي ذلك يقول:

أطعنا رسول الله ما كان بيننا فيالعباد الله ما لأبي بكر
أبورثنا بكراً إذا مات بعده وتلك لعمر الله قاصمة الظهر
٥ - أغلب شعر الحطيئة يدور في المديح والهجاء، وكان قد مدح سادة القبائل بشعره منذ نشأ في الجاهلية ومنهم (عينه بن حصن الفزاري وزيد الخيل).

ز - وصية الحطيئة:

لما حضرت الحطيئة الوفاة اجتمع أصحابه إليه وطلبوا منه أن يوصي قبل وفاته، فقال لهم: ويل للشعر من رواية السوء قال له أحد أصحابه أوص يا حطيئة رحمك الله فقال: أوصيكم بأن تبلغوا قبيلة غطفان بأن الشاخ هو أشعر العرب لقوله:

إذا أنبض الرامون عنها ترنمت ترنم ثكلى أوجعتها الجنائز
٢ - قالوا له: أوص بما ينفعك.

قال: أوصيكم بأن تبلغوا أهل ضابئ أن شاعرهم ضابئ هو أشعر العرب لقوله:

لكل جديد لذة غير أنني رأيت جديد الموت غير جديد
٣ - قالوا له: ويحك يا حطيئة أوص بما ينفعك في آخرتك.

قال: أوصيكم بأن تبلغوا أهل امرئ القيس أنه أشعر العرب لقوله:

فيالك من ليل كأن نجومه بكل مغار الفتل شدت بيذبل

فضحك القوم من تصرفه هذا رغم مشاهدتهم له يحتضر على فراش الموت.

٤ - فقال له أحدهم: اتق الله، ودع عنك هذا، وأوص.

قال: أوصيكم أن تبلغوا الأنصار - ويعني به الشاعر حسان بن ثابت الأنصاري - أن صاحبهم أشعر العرب؛ لأنه القائل:

يغشون حتى ما تهزُّ كلابهم لا يسألون عن السواد المقبل
٥ - قال له صاحبه وكأنه قد ملَّ من تصرف الحطيئة: والله هذا لا يغني عنك شيئاً يا حطيئة، فاتق الله، وقل غير هذا. فالتفت الحطيئة إليهم وقال:

الشعر صعب وطويل سلمه إذا ارتقى فيه الئذي لا يعلمه
زلت به إلى الحضيض قدمه يريد أن يعرِّبه فيعجمه
٦ - وحين رأوا أن لا فائدة من نصحه وانحسر الجد من مجلسهم سأله أحدهم: من أشعر الناس يا أبا مليكة؟ قال مشيراً إلى فمه: (هذا الجحير إذا طمع في خير).

٧ - وسأله آخر قائلاً: يا حطيئة! بماذا توصي الفقراء؟

قال: أوصيهم بالإلحاح في المسألة، فإنها تجارة لا تبور.

٨ - فسأله مرة أخرى: وبماذا توصي اليتامى؟

قال: كلوا أموالهم وانكحوا أمهاتهم.

٩ - وحين شعر القوم أن لا فائدة من نصحه قرروا الانصراف عنه فسأله قبل خروجهم:

هل تريد منا شيئاً قبل انصرافنا؟

قال: نعم تحملوني على بغل، وتتركوني راكبها حتى أموت فإن الكريم لا يموت على فراشه. والبغل مركب لم يمت عليه كريم قط.

هنا أحضر أصحابه بغلاً وحملوه عليه وجعلوا يذهبون به ويحيئون حتى مات.

١٠ - وكان آخر ما قاله قبل أن يلفظ أنفاسه: (لا أحد الأُم من حُطِيَّه هجا بنيه وهجا المريه

من لومه مات على فُريه).

يتميز شعره بلهجته البدوية ولم يتأثر بالإسلام إلا قليلاً لبعده عن مركز الخلافة الإسلامية وقلة دراسته واهتمامه وتفهمه للإسلام.

ح - الحطيئة رائد الشعر القصصي:

القصة الشعرية: قصة كرم

- يعد الحطيئة أول من كتب الشعر القصصي في أدبنا العربي وأدبنا حافل بالفنون الشعرية والثرية وقصة الحطيئة هذه تمثل النموذج الأبرع في كتابة القصة الشعرية.

- أدبنا العربي بشواهد كثيرة تدل على الجود وهو أعلى صفات الكرم، ولا عجب في ذلك فالجود شرط لازم من شروط السيادة والشرف.

والحطيئة في هذه الأقصوصة الشعرية الجميلة يرسم صورة مشرقة رائعة للجود المتأصل في نفس الإنسان العربي:

وطاوي ثلاثٍ عاصب البطن مرمل	بيداء لم يعرف بها ساكن رسما
أخي جفوةٍ فيه من الأئس وحشة	يرى البؤس فيها من شراسته نعمى
وأفرد في شعب عجزوا إزاءها	ثلاثة أشباح تخالهم بهما
حفاة عراة ما اغتذوا خبز ملية	ولا عرفوا للبر مذ خلقوا طعما
رأى شبحاً وسط الظلام فراعته	فلما بدا ضيفاً تشمر واهتما
وقال هيا رباه ضيف ولا قرى	بحقك لا تحرمه تا الليلة اللحم
فقال ابنه لما رآه بحيرة	أيا أبت اذبحني ويسر له طعما
ولا تعتذر بالعدم علّ الذي طرا	يظن لنا مالا فيوسعنا ذما
فروى قليلاً ثم أحجم برهة	وإن هو لم يذبح فتاه فقد هما
فبيناهما عنت على البعد عانة	قد انتظمت من خلف مسحلها نظما
عطاشاً تريد الماء فانساب نحوها	على أنه منها إلى دمها أظما
فأمهلها حتى تروت عطاشها	فأرسل فيها من كنانته سهما

فخرت نحووص ذات جحش سمينه^٢ قد اکتنزت لحمًا وقد طبقت شحما
 فبا بشره إذ جرها نحو أهله ويا بشرهم لما رأوا كَلَمها يدمى
 وباتوا كراماً قد قضوا حق ضيفهم وما غرموا غرمًا وقد غنموا غنما
 وبات أبوهم من بشاشته أبا لضيفهم والأُم من بشرها أَمَا
 شرح المفردات:

الطُّعم: الطعام، العدم: الفقر، علّ: لعل، طرا: طرأ أي جاء، يوسعنا ذمًا: أي يكثر من
 ذمنا، روى: تمهل، أحجم: امتنع، هم: عزم، عنت: ظهرت ولاحت، العانة: القطيع من حمر
 الوحش، المسحل: الكبير من الحمر الذي يتقدمها، انساب: انسل، أظما: أظمأ أي أشد ظمًا،
 الكنانة: الجعبة، النحووص: الأتان الوحشية، الجحش: صغير الحمار، اکتنزت وطبقت:
 امتلأت، كَلَمها: جرحها، يدمى: يسيل منه الدم، غرم: خسر، غنم: ربح.

ط - نماذج من شعره:

١ - قال الخطيئة:

نَأْتِكَ أُمَامَةٌ إِلَّا سُؤْالًا وَأَبْصَرْتَ مِنْهَا بَغِيْبٍ خِيَالًا
 خِيالًا يروَعك عند المنام وَيَأْبَى مَعَ الصُّبْحِ إِلا زَوَالًا
 كِنَانِيَّةٌ دَارُهَا غَرْبَةٌ^٣ نُجْدٌ وَصَالًا وَتُبْلِي وَصَالًا
 كعاطية من ظباء السليل حُسَانَةٌ الْجِيْدِ تُزْجِي غَزَالًا
 تَعَاطَى الْعِضْءَاهُ إِذَا طَاهَا وَتَقْرُو مِنَ النَّبْتِ أَرْطَى وَصَالًا
 تَصْصِيْفُ ذُرْوَةٍ مَكْنُونَةٍ وَتَبْدُو مِصَافِ الْخَرِيْفِ الْحِيَالًا
 مُجَاوِرَةٌ مُسْتَحْيِرَ السَّارَا أَفْرَغْتَ الْغُرْفِ فِيهِ السَّجَالًا
 كَأَنَّ بِحَافَتِهِ لِلطَّرَافِ رِجَالًا لِحْمِيرٍ لَاقَتْ رِجَالًا
 فَهَلْ تَبْلَغْنِيكُهَا عَرْمَسٌ صَمُوتُ السُّرَى لا تَشْكِي الْكَلَالًا
 مَفْرَجَةٌ الضَّبْعِ مَوَارَةٌ^٤ نُجْدُ الْإِكَامِ وَتَنْفِي النَّقَالًا

إِذَا مَا النَّوَاعِجُ وَاكْبَنَهَا
 وَإِنْ غَضِبْتَ خَلْتَ بِالْمَشْفَرِينَ
 وَيَحْدُو يَدَيْهَا زَجُولاً الْحَصَى
 وَتُخَصِّفُ بَعْدَ اضْطِرَابِ النَّسْوَعِ
 تُطِيرُ الْحَصَى بِعُورَى الْمَنَسِمِينَ
 وَتَرْمِي الْعُيُوبَ بِأَوَيْتَيْنِ
 وَيَلِ تَحْطِيطُ أَهْوَالَهُ إِلَى
 طَوِيئَتُ مَهَالِكِ مَخْشِيَةٍ
 بِمِثْلِ الْحَزِيِّ بَرَاهَا الْكَلَا
 إِلَى مَالِكٍ عَادِلٍ حَكَمَهُ
 صرَى قَوْلٍ مِنْ كَانَ ذَا مِثْرَةٍ
 وَخَصِمٍ تَمَنَّى الْمَنَى
 أَمِينَ الْخَلِيفَةَ بَعْدَ الرَّسُولِ
 وَأَطْوَلَهُمْ فِي النَّدَى بِسِطَّةً
 أَتَنِّي لِسَانٌ فَكَذَّبْتُهَا
 بِأَنْ الْوَشَاةَ بِلَا جَرْمَةٍ
 فَحِثُّكَ مُعْتَذِرًا رَاجِيًا
 فَلَا تَسْمَعُنِي بِمَقَالِ الْعَدَا
 فَإِنَّكَ خَيْرٌ مِنَ الزَّبْرَقَانِ
 ٢ - وَاللَّهُ مَا رَامُوا امْرَأً جَنِبًا:

والله ما راموا امراً جنباً

جَشَمَنْ مِنَ السَّيْرِ رَبُّوْا عُضَالَا
 سَبَائِحَ قُطْنٍ وَزَيْرًا نَسَالَا
 أَمْرَهُمَا الْعَصْبُ ثُمَّ اسْتَمَالَا
 كَمَا أَحْصَفَ الْعِلْجُ يَحْدُو الْحِيَالَا
 إِذَا الْحَاقِفَاتُ أَلْفَنَ الظَّلَالَا
 أَحْدِثْنَا بَعْدَ صَقْلٍ صِقَالَا
 عَمْرٍ ارْتَجِيهِهِ ثَمَالَا
 إِلَيْكَ لَتَكْذِبَ عَنِّي الْمَقَالَا
 لُ يَنْزِعَنَّ أَلًّا وَيَرْكُضَنَّ آلَا
 فَلَمَّا وَضَعْنَا لَدَيْهِ الرَّحَالَا
 وَمَنْ كَانَ يَأْمَلُ فِي الضَّلَالَا
 لِأَنْ جَاشَ بِحَرِّ قُرَيْعٍ فَسَالَا
 وَأَوْفَى قَرِيشٍ جَمِيعًا حَبَالَا
 وَأَفْضَلَهُمْ حِينَ عَدُّوا فَعَالَا
 وَمَا كُنْتُ أَحْذَرُهَا أَنْ تَقَالَا
 أَتَوْكَ فَرَامُوا لَدَيْكَ الْمَحَالَا
 لِعَقُوكَ أَرْهَبُ مِنْكَ النَّكَالَا
 وَلَا تُوَكِّلْنِي هُدَيْتَ الرَّجَالَا
 أَشَدُّ نَكَالًا وَخَيْرٌ نَوَالَا
 مِنْ آلِ لَأَيِ بْنِ شَمَّاسٍ بِأَكْيَاسِ

في بائسٍ جاءَ يَحْدُو آخِرَ النَّاسِ
يَوْمًا يَجِيءُ بِهَا مُسْحِي وَإِسْأِي
كَيْمَا يَكُونُ لَكُمْ مَتْحِي وَإِمْرَاسِي
كَفَّارِكِ كَرِهَتْ ثَوْبِي وَإِلْبَاسِي
وَلَمْ يَكُنْ لِحِرَاحِي فَيَكُمُ آسِي
وَلَنْ تَرَى طَارِدًا لِلْحَرِّ كَالِيَّاسِ

مَا كَانَ ذَنْبُ بَغِيضٍ لَا أَبَا لَكُمْ
لَقَدْ مَرَّيْتُكُمْ لَوْ أَنَّ دَرَّتْكُمْ
وَقَدْ مَدَحْتُكُمْ عَمْدًا لِأُرْشِدِكُمْ
فَمَا مَلَكَتُ بَأْنَ كَانَتْ نَفُوسِكُمْ
حَتَّى إِذَا مَا بَدَأَ لِي غَيْبُ أَنْفِسِكُمْ
أَزْمَعْتُ يَأْسًا مَبِينًا مِنْ نَوَالِكُمْ

ذافاة عاش في مستوعر شاس

٣ - قَبَحَ الْإِلَٰهَ بَنِي بَجَادٍ إِيَّاهُمْ:

لَا يَصْلِحُونَ وَمَا اسْتَطَاعُوا أَفْسَدُوا
جَمْدٌ عَلَى مَنْ لَيْسَ عَنْهُ جَمْدٌ
عِنْدَ الصَّبَاحِ إِذَا يَعُودُ الْعُودُ
فِيهَا جَنَّتْ أَيْدِيهِمْ فَلْيَبْعُدُوا
فَبَنُوا بَجَادٍ فِي الْقَرَى لَمْ يَحْمَدُوا

قَبَحَ الْإِلَٰهَ بَنِي بَجَادٍ إِيَّاهُمْ
بُلْدُ الْحَفِیْظَةِ وَاحِدٌ مَوْلَاهُمْ
أَغْمَارُ شُمَطٍ لَا تَثُوبُ حُلُومُهُمْ
فَإِذَا تَقَطَّعَتِ الْوَسَائِلَ بَيْنَنَا
مَنْ كَانَ يَحْمَدُ فِي الْقَرَى ضَيْفَانُهُ

٤ - مَا أَدْرِي إِذَا لَاقَيْتُ عَمْرًا:

أَكْلَبِي آلَ عَمْرٍو أَمْ صَحَّاحُ
رِمَاحٍ فِي مَرَاكِزِهَا رِمَاحُ
جَفَافِ الطَّرْفِ كَلَّمَهَا السَّلَاحُ
كَمَا خَرَجَتْ مِنَ الْغُدْرِ السَّرَاحُ
بِفَضْلِ دِمَائِهِمْ حَتَّى أَرَا حَوَا

مَا أَدْرِي إِذَا لَاقَيْتُ عَمْرًا
حَوَانَا مِنْهُمْ يَوْمَ التَّقِينَا
وَجُرْدٌ فِي الْأَعْنَةِ مُلَجَّاتٌ
إِذَا ثَارَ الْغَبَارُ خَرَجْنَا مِنْهُ
وَمَا بَأُؤُوا كَمَا بَأُؤُوا عَلَيْنَا

٥ - كَدَحْتُ بِأَظْفَارِي وَأَعْمَلْتُ مِعْوَلِي:

فَصَادَفْتُ جَلْمُودًا مِنَ الصَّخْرِ أَمْلَسَا

كَدَحْتُ بِأَظْفَارِي وَأَعْمَلْتُ مِعْوَلِي

تشاغلَ لما جئتُ في وجه حاجتي
وأجمعتُ أن أنعاه حين رأيتُهُ
فقلتُ له لا بأسَ لستُ بعائدٍ
٦ - ألا أبلغ بني عوف بن كعب:

ألا أبلغ بني عوف بن كعبٍ
عطاردها وبهدلة بن عوفٍ
ألم أكُ نائياً فدعوتوني
ألم أكُ جاركم فتركتموني
وأتيتُ العشاءَ إلى سُهيلٍ
فلما كنتُ جاركم أبيتم
٧ - جزى الله خيراً والجزاء بكفه:

جزى الله خيراً والجزاء بكفه
فلو شاء إذ جنناه صد فلم يلم
تداركتنا حتى استقلت قناتنا
وكنت كذات العش جادت بعشها
٨ - هل تعرف الدار مُد عامين أو عام:

هل تعرف الدار مُد عامين أو عام
تخنو لأطلانها عين مولعة
لقد أغادي بها صفراء أنسة
خوداً لعوباً هارياً ورائحة
يا لهف نفسي على بيع هممتُ به

وأطرق حتى قلتُ قدمات أو عسى
يفوقُ فواق الموت حتى تنفساً
فأفرخ تعلقه السَّمادير مبلساً

فهل قومٌ على خلقٍ سواءٍ
فهل يشفي صدوركم الشفاء
فجاء بي المواعد والصدعاء
لكلبي في دياركم عواء
أو الشعرى فطال بي الأناء
وشر مواطن الحسب الإباء

على خير ما يجزي الرجال بغيضاً
وصادف منأى في البلاد عريضا
فعشنا وألقينا إليك جريضا
لأفرخها حتى أطقن فهو ضا

داراً لهندٍ بجزع الخرج فالدم
سفعُ الخدود بعيادات عن الدم
لا تأتلي دون نعروفٍ بأقسام
تشفي فؤاد رذي الجسم مسقام
لو نلتُه كان بيع الرياح النامي

أُرِيدُهُ إِذْ نَأَى مِنِّي وَأَتْرُكُهُ
 نَفْسِي فَدَاكَ لِنَعْمَى تَسْتَرَادُ لَهَا
 وَجَحْفَلٍ كِبْهِيمِ اللَّيْلِ مُتَنَجِّعٍ
 جَمَعَتْ مِنْ عَامِرٍ فِيهِ وَمِنْ أَسَدٍ
 وَمَا رَمَيْتَ بِهِمْ حَتَّى رَفَدْتَهُمْ
 فِيهِ الرَّمَاخُ وَفِيهِ كُلُّ سَابِغَةٍ
 وَكُلُّ أَجْرَدٍ كَالسَّرْحَانِ آزَرُهُ
 وَكُلُّ شَوْهَاءٍ طَوَّعَ غَيْرَ آيَةِ
 مَسْتَحْقَبَاتٍ رَوَايَاهَا جِحَافِلُهَا
 لَا يَزْجُرُ الطَّيْرُ إِنْ مَرَّتْ بِهِ سُنْحَا
 ٩ - وَسِرْبٌ ذَعَرْتُ بِذِي مِيعَةٍ:

مِنْ بَعْدِ مَا كَانَ مِنِّي قَيْسَ إِبْهَامِي
 وَلِلزُّحُوفِ إِذَا هَمَّتْ بِأَقْدَامِ
 أَرْضِ الْعَدُوِّ بِيُوسَى بَعْدَ إِنْعَامِ
 وَمِنْ تَمِيمٍ وَمِنْ حَاءٍ وَمِنْ حَامِ
 مِنْ وَائِلٍ رَهْطَ بَسْطَامِ بِأَصْرَامِ
 جَدَلَاءِ مِبْهَمَةٍ مِنْ صَتَعِ سَلَامِ
 مَسْحُ الْأَكْفِ وَسَقْيٌ بَعْدَ إِطْعَامِ
 عِنْدَ الصَّبَاحِ إِذَا هَمَّوْا بِالْجَامِ
 يَسْمُو بِهَا أَشْعَرِيٌّ طَرْفُهُ سَامِي
 وَلَا يُفِيضُ عَلَيَّ قَسَمٍ بِأَزْلَامِ

وَسِرْبٌ ذَعَرْتُ بِذِي مِيعَةٍ
 لَهُ مَتْنٌ عَيْرٌ وَسَاقًا ظَلِيمِ
 صَالِبِ الْحِجَاجِ سَرِيعِ اللَّجَاجِ
 أَمِينُ الْفَصُوصِ كَعِيرِ الْفَلَاةِ
 ١٥ - الْحَمْدُ لِلَّهِ إِنِّي فِي جِوَارٍ فَتَى:

تَرَى فِي الْمَغِيرَةِ مِنْهُ اعْتِزَامَا
 وَتَهْدُ الْمَعَدِّينَ يُنْبِي الْحِزَامَا
 يَجْذِبُ بَعْدَ الْحَمِيمِ اللَّجَامَا
 يَتَلَوْنَ نَحَائِصَ قَبَّأً جَسَامَا

الْحَمْدُ لِلَّهِ إِنِّي فِي جِوَارٍ فَتَى
 لَا يَرْفَعُ الطَّرْفَ إِلَّا عِنْدَ مَكْرَمَةٍ

حَامِي الْحَقِيقَةَ نَفَّاعٍ وَضَّرَارِ
 مِنَ الْحِيَاءِ وَلَا يُفْضِي عَلَيَّ عَارِ

رابعاً: الشاعر أبو الأسود الدؤلي (رحمه الله) (١٦ قبل الهجرة - ٦٩ هـ)

أ - اسمه ونسبه:

هو ظالم بن عمرو بن سفيان بن بكر بن عبد مناف بن كنانة، حيث ينتهي نسبه إلى مُضَر بن نزار، والدؤلي أو الدائل هو أحد أجداده.

ب - كنيته:

أبو الأسود، وقد طغت كنيته على اسمه فاشتهر بها، علماً بأنه لم يكن ذا بشرة سوداء على الأغلب، وليس له ولد اسمه أسود. وقد رضي أبو الأسود لنفسه هذه الكنية؛ لأن اسمه ثقيل (ظالم) على السمع، مع أنه يتنافى مع مكانته الاجتماعية وكونه قاضياً يتصف بالعدل، فأبعد اسمه عن نفسه حتى لا يؤثر على المظلوم.

ج - ولادته ونشأته:

ولد أبو الأسود سنة (١٦) قبل الهجرة، وقد وُلد على الأرجح في اليمن، وكان علي بن أبي طالب رضي الله عنه في اليمن على عهد رسول الله (ﷺ)، فصحبه وآزره بشعره منذ نعومة أظفاره.

د - إسلامه:

من الثابت أنه أسلم في عهد رسول الله (ﷺ) إلا أنه اختلف في أنه متى دخل الإسلام؛ وأغلب رجال التاريخ اعتبروه من تابعي الصحابة، فهو لم ير النبي (ﷺ)، والظاهر أنه أسلم في أواخر حياة النبي (ﷺ). لم يتشرف برؤية خاتم الأنبياء والمرسلين محمد (ﷺ) للبعد المكاني بينهما، فإنه قد وُلد باليمن، أو خارج مكة حيث كانت تقطن كنانة، ثم دخل المدينة في زمن عمر بن الخطاب في الوقت الذي كان فيه المرض والناس يموتون موتاً ذريعاً. وكان أبو الأسود الدؤلي عَلَوِيَّ المذهب، معدوداً في التابعين والفقهاء، والمحدثين والشعراء، والأشرف والفرسان، والأمراء والدُّهاة، والنُّحاة والحاضري الجواب.

قال الحافظ السيوطي في الطبقات في ترجمته: كان أبو الأسود الدؤلي من سادات التابعين، ومن أكمل الرجال رأياً، وأشدّهم عقلاً، شيعياً شاعراً، سريع الجواب ثقة في حديثه، وصحب علي بن أبي طالب وشهد معه صفين.

هـ - سيرته في عهد علي رضي الله عنه:

رُحِّل أو هاجر أبو الأسود إلى البصرة في عهد عمر بن الخطاب، ولم نسمع له ذكر أو دور هناك لا في زمن عمر ولا في عهد عثمان. وحينما بايع الناس علياً بالخلافة نشطت براعم الدؤلي بالبصرة، وتقلد أسمى مراتب الدولة، فأصبح قاضياً، ثم مدير دائرة الصدقات والجند، ثم والياً على البصرة بعد ابن عباس. وقد كان له دور كبير ورئيس في حرب الجمل، إذ قام وسيطاً بين علي رضي الله عنه والسيدة عائشة رضي الله عنها وطلحة والزبير. وبعد حرب الجمل اشترك أبو الأسود الدؤلي في حرب صفين، فقد صاحب علياً رضي الله عنه، ولم يرض بأبي موسى الأشعري في التحكيم، وبعد الانكسار المعنوي في صفين كان أبو الأسود الدؤلي قائداً للجيش الذي حارب الخوارج. ثم بعد ذلك رجع إلى البصرة وتلقّى هناك خبر استشهاد الإمام علي، فصعد المنبر وخطب الناس ونعى إليهم أمير المؤمنين وبكاه، ثم دعاهم إلى بيعة ابنه الحسن.

و - من نوادره:

١ - أكل أعرابي مع أبي الأسود الدؤلي فرأى له لقمياً منكراً وهاله ما يصنع، فقال له: ما اسمك؟ قال: لقمان، قال أبو الأسود: صدق أهلك أنك لقمان.

٢ - اشترى أبو الأسود حصاناً بتسعة دنانير، واجتاز به على رجل أعور، فقال: بكم اشتريته؟ قال: قيّمه، فقال: قيّمته أربعة دنانير ونصف. فقال أبو الأسود: معذور أنت؛ لأنك نظرت بعين واحدة فقيّمته نصف قيمته.

٣ - قال أبو الأسود الدؤلي لبني قشير: ما في العرب أحبُّ إلى طول بقاء منكم. قالوا: ولم ذاك؟ قال: لأنكم إذا ركبتُم أمراً علمت أنه نحيٌّ فأجتنبه، وإذا اجتنبتُم أمراً علمت أنه رُشدٌ، فأتبعه.

ز - آثاره العلمية:

١ - أول من وضع النحو العربي:

أبو الأسود مفعرة من مفاخر الفصاحة والبلاغة، فهو أول من وضع النحو العربي. وكان السبب في ظهور علم النحو ظهور اللحن في الكلام وفي قراءة القرآن الكريم حين ازداد الاختلاط والتشابك بين المسلمين العرب وغيرهم من المسلمين الأعاجم خاصة في البصرة، حيث أنها مركز تجاري حضاري، كثر فيه الاختلاط وظهر اللحن بأجلى صورته وشيوعه، حتى وصل إلى بيت أبي الأسود الدؤلي حين لَحَنَتْ ابنته أمامه.

كما ازداد اللحن في قراءة القرآن الكريم، وسمعت آيات عديدة لحن فيها القراءة بحيث تغيّرت معانيها، وحفاظاً على القرآن الكريم من التحريف والخطأ والانحراف، وصيانة للغة العربية وضع أبو الأسود الدؤلي أُسَسَ علم النحو.

وهذه الأسس هي التي أخذها عن علي رضي الله عنه إذ قال له: (الكلام كله ثلاثة أضرب: اسم، وفعل، وحرف، فالاسم: ما أنبأ عن المُسَمَّى، والفعل: ما أنبأ به، والحرف: ما جاء لمعنى. واعلم يا أبا الأسود، أن الأسماء ثلاثة: ظاهر، ومضمر، واسم لا ظاهر ولا مضمر وإنما يتفاضل الناس فيما لا ظاهر ولا مضمر، وأراد بذلك الاسم العلم المبهم).

قال أبو الأسود: فكان ما وقع إليَّ (إنَّ وأخواتها) ما خلا (لكن)، فلما عرضتها على علي رضي الله عنه، قال لي: (أين لكن؟)

فقلت: ما حسبتها منها، فقال رضي الله عنه: (هي منها)، فألحقها بها، ثم قال: ما أحسن هذا النحو نحوه.

وفي رواية أنه رضي الله عنه: ألقى إليه صحيفة وقال له: (أنح نحو هذا)، فلماذا سُمِّيَ النحو نحواً.

٢ - تنقيط وتشكيل القرآن الكريم:

والعمل الآخر الذي بقي خالداً هو تنقيط وتشكيل القرآن الكريم، فهو أول من نَقَطَ وَشَكَّلَ القرآن، وهناك مصحف مشكل بخط الدؤلي في خزانة الكتب الرضوية في مشهد / إيران.

- وفاته: توفي الشاعر أبو الأسود الدؤلي (رحمه الله) عام ٦٩ هـ بمدينة البصرة في العراق.

خامساً: عمرو بن أحمر بن العمرد الباهلي

من بني قَرَاص، شاعر فصيحٌ مقدّم على جميع نظرائه في فنون الشعر وغريبه.
وقد أسلم وغزا مغازي الروم وأُصيب بعينه هناك، وتوفي على عهد عثمان بن عفّان رضي
الله عنه، وهو أحد العُور المحسنين من الشعراء.

أنشد أبو العباس محمد بن يزيد المبرد لعمرو بن أحمر في عينه:

ضُمًّا وسادي فإنَّ الليلَ قد بردا وإنَّ مَنْ كان يرجو النومَ قد هَجدا
فما على الجانبِ الوحشي مرتفقٌ ولا على الظَّهر ما لم تجعللا سَندا
سُلِّتْ أناملُ مُحشِيٍّ فلا اجتبرتُ ولا استعانَ بضاحي كَفِّه أبدا
أصَارني سَهْمُهُ أعشى وغادره سيفُ ابنِ عَيْساء يشكو النحرَ والكمرا
أهوى لها مشقِصاً حَشِراً فشَبِرَ قها وكنْتُ أدعو قَذاها الإثمدا القَرِدا
قال المَبْرَدُ: الإثمدا الذي لم يُنعم سحَقُه ومثله الحَتِرُ

سادساً: عروة بن حزام - ؟ - ٣٠ هـ / ؟ - ٦٥٠ م

أ - حياته ونشأته:

عروة بن حزام بن مهاجر الضني، من بني عذرة.

شاعر، من متيمي العرب، كان يحب ابنة عم له اسمها (عفراء) نشأ معها في بيت واحد؛ لأن أباه خلفه صغيراً، فكفله عمه.

ولما كبر خطبها عروة، فطلبت أمها مهراً لا قدرة له عليه فرحل إلى عم له في اليمن، وعاد فإذا هي قد تزوجت بأموي من أهل البلقاء (بالشام) فلحق بها، فأكرمه زوجها.

فأقام أياماً وودعها وانصرف، فضنى حباً، فمات قبل بلوغ حيّه ودفن في وادي القرى (قرب المدينة).

له (ديوان شعر) صغير مطبوع.

ب - نماذج من قصائده:

لهابين جسمي والعظام ديبُ	وإني لتعروني لذكراك رعدةٌ
فأهتُ حتى ما أكادُ أُجيبُ	وما هوَ إلا أن أراها فجاءةً
وأنسى الذي حدثتُ ثمَّ تغيبُ	وأصرفُ عن رأيي الذي كنتُ أرأتني
عليَّ فما لي في الفؤاد نصيبُ	ويظهُرُ قلبي عُذرها ويُعِينها
قريباً وهل ما لا يُنال قريبُ	وقد علمت نفسي مكانَ شفائها
خشوعاً وفوق الرَّاكعين رقيبُ	حلفتُ بركبِ الرَّاكعين لربِّهم
إليَّ حبيباً، إثمها لحبيبُ	لئن كان بردُ الماءِ عطشاناً صادياً
فإنَّك إن أبرأتني لطيبُ	وقلْتُ لعرافِ اليمامةِ داوِني

سابعاً: أبو ذؤيب الهذلي

أ - حياته ونشأته:

هو خويلد بن خالد بن محرث بن زبيد بن مخزوم بن صاهلة بن كاهل بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار، وهو أحد المخضرمين مِمَّنْ أدرك الجاهليَّةَ والإسلام.

ولد أبو ذؤيب الهذلي في الجاهلية ونشأ وشب فيها وقال الشعر فيها وهو من الشعراء المخضرمين.... أدرك الجاهلية والإسلام... وهو أشعر بني قومه (هذيل).

وفد على النبي ﷺ ليلة وفاته فأدركه وهو مسجى على فراش الموت فأسلم.. وشهد دفنه. وسكن المدينة المنورة وكان شاعر مجيداً فحلاً وفارساً لا يُشق له غبار وكان مضيافاً وفي ذلك يقول:

لَا دَرَّ دَرِّيَ إِنْ أَطَعْمَتْ نَازِلَهُمْ قِرْفَ الحِثْيِيِّ وَعِنْدِي البُرُّ مَكْنُوزٌ
وشارك في الكثير من الغزوات والفتوحات الإسلامية عاصر عهد عثمان بن عفان حيث خرج غازياً في الجيش الذي توجه إلى فتح شمال إفريقيا سنة (٢٦) هجرية تحت إمرة عبدالله بن سعد بن أبي السرح وشهد فتح إفريقيا وعاد مع عبدالله بن الزبير وجماعة آخرين حاملين بشرى النصر والفتح إلى الخليفة عثمان بن عفان، وفي ذلك يقول الهذلي في عبد الله بن الزبير:

فَصَاحِبٌ صِدْقٍ كَسَيْدِ الضَّرَا ءِ يَنْهَضُ فِي الغَزْوِ مَهْضًا نَجِيحًا
وكان معه أولاده الخمسة مقاتلين مجاهدين، فلما وصلوا مصر فتك الطاعون - وكان منتشراً فيها - بأولاده الخمسة فأماتهم الواحد بعد الآخر في حياته.

عايش أبو ذؤيب الهذلي ثلاثة عصور الجاهلي والإسلامي والأموي، وقد توفي في العصر الأخير.

اشتد حزنه على أولاده فأثر ذلك في نفسيته وقوته فرتاهم كثيراً، وقد توفي أبو ذؤيب الهذلي في غزوته إلى شمال إفريقيا بعد عودة المسلمين من الانتصار والفتح فوافته المنية عام سبعة وعشرين هجرية الموافق - ٦٤٨ - ميلادية في مصر ودفن هناك.

وتعد قصيدته العينية في رثاء أولاده الخمسة من عيون الشعر العربي في الرثاء:

ب نماذج من شعره:

أَمِنَ الْمَنُونَ وَرِيْبَهَا تَتَوَجَّعُ
قَالَتْ أُمَيْمَةٌ مَا لِحِسْمِكَ شَاحِبَا
أَمْ مَا لِحَنِيبِكَ لَا يَلَائِكُمْ مَضْجَعَا
فَأَجَبْتُهَا أَنْ مَا لِحِسْمِي أَنَّهُ
أُودَى بَنِيَّ وَأَعْقَبُونِي غُصَّةً
سَبَقُوا هَوِيَّ وَأَعْتَقُوا لِهَوَاهُمْ
فَعَبَّرْتُ بَعْدَهُمْ بِعَيْشٍ نَاصِبٍ
وَلَقَدْ حَرِصْتُ بِأَنْ أَدْفَعَ عَنْهُمْ
وَإِذَا الْمَمِيَّةُ أَنْشَبَتْ أَظْفَارَهَا
فَالْعَيْنُ بَعْدَهُمْ كَأَنَّ حِدَاقَهَا
حَتَّى كَأَنِّي لِلْحَوَادِثِ مَرْوَةٌ
لَأُبَدَّ مِنْ تَلْفٍ مُقِيمٍ فَانْتَظِرْ
وَلَقَدْ أَرَى أَنَّ الْبُكَاءَ سَفَاهَةٌ
وَلِيَأْتِيَنَّ عَلَيْكَ يَوْمٌ مَرَّةً
وَتَجَلْدِي لِلشَّامِتِينَ أُرِيْبَهُمْ
وَالنَّفْسُ رَاغِبَةٌ إِذَا رَغَبَتْهَا
كَمْ مِنْ جَمِيعِ الشَّمْلِ مُلْتَمِئُ الْهَوَى
فَلَيْنَ بِهِمْ فَجَعَ الزَّمَانُ وَرَيْبُهُ
وَالدَّهْرُ لَا يَبْقَى عَلَى حَدَثَانِهِ

وَالدَّهْرُ لَيْسَ بِمُعْتَبٍ مِنْ يَجْزَعُ
مُنْذُ ابْتَدَلَتْ وَمِثْلُ مَالِكَ يَنْفَعُ
إِلَّا أَقْضَى عَلَيْكَ ذَاكَ الْمَضْجَعُ
أُودَى بَنِيَّ مِنْ الْبِلَادِ فَوَدَّعُوا
بَعْدَ الرُّقَادِ وَعَبرَةً لَا تُقْلِعُ
فَتُخْرَمُوا وَلِكُلِّ جَنْبٍ مَصْرَعُ
وَإِخَالُ أَنِّي لَا حِقُّ مُسْتَتَبِعُ
فَإِذَا الْمَمِيَّةُ أَتَبَلَّتْ لَا تُدْفَعُ
أَلْفَيْتَ كُلَّ تَمِيمَةٍ لَا تَنْفَعُ
سُمِلَتْ بِشَوْكٍ فَهِيَ عَوْرٌ تَدْمَعُ
بِصَفَا الْمُشْرِقِ كُلِّ يَوْمٍ تُقْرَعُ
أَبَارِضِ قَوْمِكَ أَمْ بِأُخْرَى الْمَصْرَعُ
وَلَسَوْفَ يَوْلَعُ بِالْبُكَاءِ مَنْ يَفْجَعُ
يُبْكِي عَلَيْكَ مُقْنَعًا لَا تَسْمَعُ
أَنِّي لَرِيْبِ الدَّهْرِ لَا أَتَضَعُّعُ
فَإِذَا تُرِدُّ إِلَى قَلِيلٍ تَقْنَعُ
بَاتُوا بِعَيْشٍ نَاعِمٍ فَتَصَدَّعُوا
إِنِّي بِأَهْلِ مَوَدَّتِي لَمُفْجَعُ
فِي رَأْسِ شَاهِقَةٍ أَعَزُّ مُمْنَعُ

وَالذَّهْرُ لَا يَبْقَى عَلَى حَدَثَانِهِ
 صَخْبُ الشَّوَارِبِ لَا يَزَالُ كَأَنَّهُ
 أَكَلَ الْجَمِيمَ وَطَوَعْتَهُ سَمَحَجَّ
 بِقَرَارِ قِيَعَانٍ سَقَاها وَابِلٌ
 فَلَبِثَ حِينًا يَمْتَلِجَنَ بِرَوْضَةٍ
 حَتَّى إِذَا جَزَزَتْ مِيَاهُ رُزُونِهِ
 ذَكَرَ الْوُرُودَ بِهَا وَشَاقَى أَمْرَهُ
 فَافْتَنَّهُنَّ مِنَ السَّوَاءِ وَمَاؤُهُ
 فَكَأَنَّمَا بِالْجَزَعِ بَيْنَ يُنَابِعِ
 وَكَأَنَّهُنَّ رَبَابَةٌ وَكَأَنَّهُ يَسَرُّ
 وَكَأَنَّمَا هُوَ مِدْوَسٌ مُتَقَلَّبٌ
 فَوَرَدَنَ وَالْعَيَّوْقُ مَقْعَدَ رَابِئِ الضُّ
 فَشَرَّعَنَ فِي حَجَرَاتٍ عَذِبٍ بَارِدٍ
 فَشَرِبَنَ ثُمَّ سَمِعَنَ حِسًّا دُونَهُ
 وَنَمِيمَةً مِنَ قَانِصٍ مُتَلَبِّبٍ
 فَانْكِرَنَهُ فَانْفَرَنَ وَامْتَرَسَتْ بِهِ
 فَرَمَى فَأَنْفَذَ مِنْ نَجُودٍ عَائِطٍ
 فَبَدَّلَهُ أَقْرَابُ هَذَا رَائِعًا
 فَرَمَى فَأَلْحَقَ صَاعِدِيًّا مَطْحَرًا
 فَأَبَدَّهُنَّ حُتُوفَهُنَّ فَهَارِبٌ
 يَعْمُرْنَ فِي حَدِّ الطُّبَاتِ كَأَنَّمَا

جَوْنُ السَّرَاةِ لَهُ جَدَائِدٌ أَرْبَعُ
 عَبْدٌ لِأَلِ أَبِي رَبِيعَةَ مُسْبَعُ
 مِثْلُ الْقِنَاةِ وَأَزَعَلَتْهُ الْأَمْرُ
 وَاهٍ فَأَنْجَمَ بُرْهَةً لَا يُقْلَعُ
 فَيَجِدُ حِينًا فِي الْعِلَاجِ وَيَسْمَعُ
 وَبِأَيِّ حِينٍ مِلَاوَةٌ تَنْتَقِعُ
 شَوْمٌ وَأَقْبَلَ حَيْنُهُ يَتَّبِعُ
 بِثُرٍّ وَعَانَدَهُ طَرِيقٌ مَهِيْعُ
 وَأُولَاتِ ذِي الْعَرَجَاءِ نَهَبٌ مُجْمَعُ
 يُفِيضُ عَلَى الْقِدَاحِ وَيَصْدَعُ
 فِي الْكَفِّ إِلَّا أَنَّهُ هُوَ أَضْلَعُ
 ضُرْبَاءِ فَوْقَ النَّظْمِ لَا يَتَتَّلَعُ
 حَصْبِ الْبِطَاحِ تَغِيْبُ فِيهِ الْأَكْرَعُ
 شَرَفُ الْحِجَابِ وَرَيْبَ قَرَعٍ يُقْرَعُ
 فِي كَفِّهِ جَشٌّ أَجَشُّ وَأَقْطَعُ
 سَطْعَاءُ هَادِيَةٌ وَهَادٍ جُرْشَعُ
 سَهْمًا فَحَرَ وَرَيْشُهُ مُتَصَمِّعُ
 عَجَلًا فَعِيَتْ فِي الْكِنَانَةِ يُرْجَعُ
 بِالْكَشْحِ فَاشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ الْأَضْلَعُ
 بِدَمَائِهِ أَوْ بَارِكٌ مُتَجَعِّعُ
 كُوسِيَتْ بُرُودَ بَنِي يَزِيدَ الْأَذْرَعُ

وَالِدَهُرُ لَا يَبْقَى عَلَى حَدَثَانِهِ
 شَعَفَ الْكِلَابُ الضَّارِيَاتُ فُؤَادَهُ
 وَيَعُوذُ بِالْأَرْضِ إِذَا مَا شَفَّهُ
 يَرْمِي بِعَيْنَيْهِ الْغُيُوبَ وَطَرْفُهُ
 فَغَدَا يُشْرِقُ مَتْنَهُ فَبَدَا لَهُ
 فَاهْتَاَجَ مِنْ فَرْعٍ وَسَدَّ فُرُوجَهُ
 يَنْهَشْنَهُ وَيَذُبُّهُنَّ وَيَحْتَمِي
 فَنَحَا لَهَا بِمُذَلِّقِينَ كَأَنَّمَا
 فَكَأَنَّ سَفُودِينَ لَمَّا يُقْتَرَا
 فَصَرَ عَنْهُ تَحْتَ الْغُبَارِ وَجَنِبُهُ
 حَتَّى إِذَا ارْتَدَّتْ وَأَقْصَدَ عَصَبَةً
 فَبَدَا لَهُ رَبُّ الْكِلَابِ بِكَمْفِهِ
 فَرَمَى لِيُنْقِذَ فَرَّهَا فَهَوَى لَهُ
 فَكَبَا كَمَا يَكْبُو فِينِقُ تَارِزُ
 وَالِدَهُرُ لَا يَبْقَى عَلَى حَدَثَانِهِ
 حَمِيَتْ عَلَيْهِ الدَّرْعُ حَتَّى وَجْهَهُ
 تَعْدُو بِهِ حَوْصَاءُ يَنْفِصُمُ جَرِيهَا
 قَصَرَ الصَّبُوحَ لَهَا فَشَرَّجَ لَحْمَهَا
 مُتَفَلِّقًا أَنْسَاؤُهَا عَنِ قَائِي
 تَأْبَى بِدُرَّتِهَا إِذَا مَا اسْتُكْرِهَتْ
 بَيْنَنَا تَعَنَّيْهِ الْكُهْمَاءُ وَرَوْغِهِ

شَبَبٌ أَفَزَتْهُ الْكِلَابُ مُرَوِّعُ
 فَإِذَا يَرَى الصُّبْحَ الْمُصَدَّقَ يَفْزَعُ
 قَطْرٌ وَرَاحَتُهُ بَلِيلٌ زَعَزَعُ
 مُغْضٍ يُصَدِّقُ طَرْفُهُ مَا يَسْمَعُ
 أَوْلَى سَوَابِقِهَا قَرِيبًا تَوَزَعُ
 غُبْرٌ ضَوَارٍ وَافِيَانٍ وَأَجْدَعُ
 عَابِلُ الشَّوَى بِالطَّرْتِينَ مُوَلَّعُ
 بِهِمَا مِنَ النَّضْحِ الْمَجْدَحِ أَيْدَعُ
 عَجَلًا لَهُ بِشَوَاءٍ شَرِبٍ يُنْزَعُ
 مُتَتَرَّبٌ وَلِكُلِّ جَنْبٍ مَصْرَعُ
 مِنْهَا وَقَامَ شَرِيدُهَا يَتَضَّرَعُ
 بِيضٌ رَهَافٌ رِيَشُهُنَّ مُقَمَّعُ
 سَاهِمٌ فَأَنْفَذَ طُرَّتِيهِ الْمِنْزَعُ
 بِالْحُبِّ إِلَّا أَنَّهُ هُوَ أَبْرَعُ
 مُسْتَشْعِرٌ خَلَقَ الْحَدِيدَ مُقَنَّعُ
 مِنْ حَرِّهَا يَوْمَ الْكَرْهِيَةِ أَسْفَعُ
 خَلَقَ الرَّحَالََةَ فَهِيَ رِخْوٌ تَمْزَعُ
 بِالنِّيِّ فَهِيَ تَشُوخُ فِيهَا الإِصْبَعُ
 كَالْقُرْطِ صَاوٍ غُبْرُهُ لَا يُرْضَعُ
 إِلَّا الْحَمِيمَ فَإِنَّهُ يَتَبَضَّعُ
 يَوْمًا أُتِيحَ لَهُ جَرِيٌّ سَلْفَعُ

يَعْدُو بِهِ نَهْشُ الْمُشَاشِ كَأَنَّهُ
فَتَنَادِيَا وَتَوَاقَفَتْ خَيَلَاهُمَا
مُتَحَامِيَيْنِ الْمَجْدِ كُلِّ وَائْتَقُ
وَعَالِيَهُمَا مَسْرُودَتَانِ قَضَاهُمَا
وَكَلاهُمَا فِي كَفِّهِ يَزِيئُهُ
وَكَلاهُمَا مُتَوَشِّحُ ذَارُونَقِي
فَتَخَالَسَا نَفْسَيْهِمَا بِنَوَافِدِي
وَكَلاهُمَا قَدْ عَاشَ عَيْشَةَ مَا جِدِ

صَدَعُ سَالِيمٍ رَجْعُهُ لَا يَظْلَعُ
وَكَلاهُمَا بَطْلُ اللَّقَاءِ مُحَدَّعُ
بِبَلَائِهِ وَالْيَوْمِ يَوْمِ أَشْنَعُ
دَاوُدُ أَوْ صَنَعُ السَّوَابِغِ تُبَعُّ
فِيهَا سِنَانٌ كَالْمَنَارَةِ أَصْلَعُ
عَضْبًا إِذَا مَسَّ الضَّرِيبَةَ يَقْطَعُ
كَنَوَافِدِ الْعُجْبِ الَّتِي لَا تُرْقَعُ
وَجَنَى الْعَلَاءِ لَوْ أَنَّ شَيْئًا يَنْفَعُ

الباب السابع
النقد في عصر
الخلفاء الراشدين

الباب السابع

الفصل الأول

الحركة النقدية في عصر الخلفاء الراشدين

لم تكن العوامل في عصر الخلفاء الراشدين مشجعة للشعر ليتطور وينهض، فما خلفته الفتوح الإسلامية والمغازي لا يعدو أن يكون نماذج مشاكلة للنموذج الجاهلي، ولكن قد نلتقي أحياناً ببعض الألفاظ الإسلامية، وبعض الأساليب التي تنحو منحى الأساليب القرآنية، وأحياناً نلتقي ببعض المقطوعات والقصائد التي تعالج موضوعات لم يطرقها الجاهليون من قبل كالموضوعات الدينية، من جهاد وقتال وحث للنفس على الخلق القويم.

وأكثر ما يُلتَمَس في الحركة النقدية في عصر الخلفاء الراشدين مواقفهم من الشعر والشعراء، وآراؤهم فيهم، والملاحظات النقدية الصادرة من بعض معاصريهم من صحابة وغيرهم كذلك، فلم يقتصر اهتمامهم على النقد وحده، بل شمل اللغة العربية عامة، والغيرة على صحتها وسلامتها من اللحن، وخاصة فيما يخص القرآن الكريم.

فالعرب عند ظهور الإسلام كانوا يعربون كلامهم على نحو ما في القرآن الكريم، إلا من خالطهم من الموالي فقد كانوا يلحنون ويخطئون في الإعراب، فكانوا يحرصون على تعليمهم.

وسار الخلفاء الراشدون على نهج الرسول وسيرته في نقد الشعر، فميّزوا بين شعرٍ وآخر، وحضّوا على ما هو حسن ومفيد، وعاقبوا على الشائن الضار، وتمثّلوا بالشعر في أقوالهم ودعوا إلى روايته والاهتمام به، وكان أولهم في هذا الميدان عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو الناقد الأول بحق في هذه الفترة، وقد قيل عنه: "كان من أنقذ أهل زمانه للشعر وأنفذهم فيه معرفة"، وقد كان ذا ثقافة أدبية عالية، ينشد الشعر في كل الموضوعات، يستمع إليه ويستروح به، ويقوم بتوجيه النقد وتطويره، فالشعر لديه هو الذي يحقق المتعة الأدبية، ويسكن به الغيظ، وتُطفأ به النائرة، ويُعطى به السائل، وينزع إلى الفضائل بصفة عامة، وما يهدف إلى عكس ذلك فهو انتكاسة وردّة إلى الجاهلية ياباها الإسلام ويقاومها.

ومن أقوال عمر المألوفة في هذا الموضوع قوله: "نعم ما تعلمته العرب الأبيات من الشعر يقدمها الرجل أمام حاجته"، وقوله: "خير صناعات العرب أبيات يقدمها الرجل بين يدي حاجته يستميل بها الكريم ويستعطف اللئيم". والشعر الخالد هو ما ينبعث من عاطفة قوية صادقة، ويخدم الحق والخير، وهذا الشعر عنده ممثل في شعر زهير بن أبي سلمى، فقد فضله على غيره من الشعراء بسبب جودته وإتقانه، ودعوته إلى السلام والخير، وإلى جانب زهير كان النابغة الذبياني قد حظي بجزء من التفضيل، وإن كان الإعجاب بزهير أشد وأعظم.

دخل النقد على يد عمر طوراً جديداً لا عهد لنا به في العصر الجاهلي، فكان حكمه أدبياً مفصلاً يقضي فيه الناقد بتفضيل شاعر على آخر معللاً حكمه بالأسباب الفنية التي دعت به إلى هذا، وقد اهتم عمر رضي الله عنه بالكلام البعيد عن الوحشية والغرابة، والبعد عن المعازلة، والصور الشعرية القريبة، والعبارات الدالة على صدق التجربة، والتعبير عن القيم السليمة في المجتمع، وأن لا يقول الشاعر إلا ما يعرف، وألا يمدح الرجل إلا بما فيه، وبالتالي يعنيه "الصدق" كأصل مهم من أصول النقد.

أما بالنسبة للخلفاء الراشدين الآخرين، فقد عُرف بعضهم بالأحكام النقدية وتفضيل شاعر على آخر، ومنهم أبو بكر رضي الله عنه الذي قدّم النابغة على غيره من الشعراء فقال: إنه أحسنهم شعراً، وأعذبهم بحراً، وأبعدهم قعراً، ويعلل حكمه بأن النابغة يستقي معانيه من معين عذب سائغ، فتقبلها النفوس تقبلاً حسناً، كما أنه في معانيه بعيد العمق والغور، وأنه يظل يُروّي فيما يغمض منها حتى يستخرجها استخراجاً واضحاً.

وعثمان بن عفان رضي الله عنه كذلك يعجب بشعر زهير لما يتجلى فيه من الصدق، والصدق في القول هو المقياس الذي اعتمده عثمان بن عفان رضي الله عنه في حكمه، ويظهر في هذا جلياً تأثره كسائر أصحابه برأي الرسول ﷺ المستمد من تعاليم الإسلام، والذي حاولوا بمقتضاه أن يتجهوا بالشعر اتجاهاً إسلامياً، بحيث يعبر عن كل ما هو حق وصدق.

نجد كذلك لعلي رضي الله عنه كلمة نقدية تدلّ على ذوقه الأدبي، وتعبّر عن رأيه في السابق من الشعراء المتقدمين، فقد حُكي عنه أنه قال: "لو أن الشعراء المتقدمين ضمّهم زمان واحد ونُصبت لهم رايةً فَجَرُوا معاً عَلِمْنَا مِنَ السابق منهم، وإذا لم يكن فالذي لم يُقل لرغبة ولا

لرهبة، فقيل: ومن هو؟ فقال: الكندي. قيل: ولم؟ قال: لأنني رأيت أحسنهم نادرةً، وأسبغهم بادرةً".

ويروى كذلك أن علياً رضي الله عنه فضل امرأ القيس، وللعلة الأولى في تفضيله الكندي، ومن هذا نلاحظ أن علياً رضوان الله عليه لم يجز مجرى النقاد في عصره بالحكم غير المعلل، بل إن أساس الحكم عنده الموازنة بين الشعراء لمعرفة السابق منهم، والأفضل هو الذي لم يقل الشعر لرغبة أو لرهبة كامرئ القيس والكندي. ويقصد علي رضي الله عنه بذلك أن الشاعر الذي ينبعث إلى القول بدافع الرغبة أو الرهبة قد ينزلق إلى الكذب تحقيقاً لرغبته أياً كانت، أو دَرءاً لخطر متوقع يرهبه ويخشاه، وبالتالي فإن الشاعر المُقَدِّم عنده هو الذي تجرّد عن الهوى والخوف وكان شعره وليد المشاعر الصادقة، وهنا يظهر ملياً تأثير علي بالرسول عليه الصلاة والسلام، فجهود عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وبعض ما قام به الخلفاء الراشدون الآخرون، وتوجيهات ابن عباس للشعر وجهة إسلامية، كلها جعلت هذا العصر يختلف فيه الشعر عن الشعر في العصر الجاهلي وعصر الرسول عليه الصلاة والسلام.

الباب السابع

الفصل الثاني

نقد الخلفاء الراشدين

لم تختلف نظرة الخلفاء الراشدين للأدب والنقد عن نظرة الرسول ﷺ وهم الذين عايشوا حياة الرسول عليه الصلاة والسلام، وعرفوا موقفه من الأدب والشعر وسمعوا تشجيعه للشعراء ونقده لهم كما وأنه نُسب لهم شيء من الشعر وشيء من النقد، واهتموا بالشعر إبداعاً ونقداً، وقد كانوا من خلال سماعهم للشعر يضيفون أفهاماً جديدة للنص الشعري.

١ - **النقد عند أبي بكر الصديق**؛ أما أبو بكر الصديق رضي الله عنه فقد كان علامة ونسابة لديه علم في قبائل العرب وأيامهم وأشعارها وأنسابها وأخبارها، وقد كان مهتماً بالشعر الجاهلي إبان معاصرتة له ولكنه في الإسلام شغل بأمر الدعوة أولاً، ثم بأمر الخلافة ثانياً، ثم بحروب الردة ثالثاً، وذهبت معظم أخباره الشعرية والنقدية في مشروعه الإسلامي ومن أخبار سماعه للشعر ما أنشده إياه متمم بن نويرة يرثي أخاه الذي قتله ضرار بن الأزور بأمر من خالد بن الوليد عند مرجعه من اليمامة يظهر الإسلام فظن به خالد بن الوليد وقد كان متمم قد حضر صلاة الصبح وأنشد الخليفة أبا بكر الصديق رضي الله عنه:

نعم القليل إذا الرياح تناوحت خلف البيوت قتلت يا ابن الأزور
أدعوته بالله ثم غدرتة لو هو دعاك بذمة لم يغدر
وقد قال أبو بكر له: والله ما دعوته ولا غدرتة، وهذا يعبر عن حرية التعبير فالخليفة يسمع اتهامه من متمم فلم يعاقبه، وكذلك كان أبو بكر رضي الله عنه يسمع الشعر وينتقده فقد سمع قول لبيد في أخيه أربد:

لعمري لئن كان الخبر صادقا لقد رزئت في حادث الدهر جعفر
فتى كان أما كل شيء سألته فيعطي وأما كل ذنب فيغفر

وقد علق أبو بكر على ذلك فقال: إنما هي أوصاف النبي (الكرم الصفح عند الذنوب لا أوصاف أربد، وهذا اقتراح من أبي بكر، ولما سمع أبو بكر شعر زهير في مدح هرم بن سنان قال: (هكذا كان رسول الله ﷺ)).

قال زهير:

أنعم مقدمك الجياع إذا خب السفير وسابئ الخمر
ولنعم حشو الدرع أنت إذا دعيت نزار ولج في الذعر
والستر دون الفاحشات وما يلقاك دون الخير من ستر
ثم يقول أبو بكر: أشعر شعرائكم زهير.
وَرُوي أنه ذكر عند أبي بكر الشعراء فقال: ((أشعر الناس النابغة، أحسنهم شعراً وأعذبهم
بحراً وأبعدهم غوراً)) وقد عبر أبو بكر نقداً عن شعر النابغة فجعله:

١ - حسن الصناعة.

٢ - عذب التدوق.

٣ - لطيف المعاني.

٤ - عميق المعاني.

٢ . النقد عند عمر بن الخطاب؛ وأما عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقد كان أكثر الخلفاء أخباراً نقدياً وشعرية وأجرأهم موقفاً وخاصة في دعوته للحرية. وقد نظر عمر للشعر على أنه جزل من كلام العرب يسكن به الغيظ، وتُطفأ به الشائبة ويتبلغ به القوم معتبراً أن وظيفة الشعر هي الإمتاع وإثارة النفوس للعطاء، وقد لقي الشعر ذو المقصد الحق ومقصد الخير ترغيباً من الخليفة، وقد كتب عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري يقول له: (مر من قبلك بتعلم الشعر فإنه يدل على معالي الأخلاق وصواب الرأي ومعرفة الأنساب) ومن هنا فإن الشعر من وجهة نظر ابن الخطاب يسعى إلى تحقيق (معالي الأخلاق - الحكمة - معرفة الأنساب).

ووظائف الشعر عند عمر:

- ١ - الحث على جميل الأفعال.
- ٢ - زرع الطموح في العقول.
- ٣ - فتح أبواب الفطنة.
- ٤ - شحذ القرية إذا أصيبت بالتبليد والخمول.
- ٥ - عدم مقارنة الأخلاق الدنيئة.

وقد نهى عن رواية شعر المهاجة بين الشعراء المشركين وشركاء الدعوة، ونهى عن شعر الغزل بالنساء وكان يتفقد إبداع الشعراء فيسأل عنهم وعن إبداعهم الجديد، فقد روي أنه طلب من المغيرة بن شعبة واليه على الكوفة أن يستنشد الشعراء فيما قالوه في الإسلام، فأرسل المغيرة بن شعبة إلى الأغلب العجلي الراجز فأنشدته.

أرجزاً سألت أم قصيدا لقد طلبت هيناً موجودا
وطلب كذلك من ليبد فكتب له ليبد سورة البقرة في صحيفة، ثم قال له: (أبدلني الله هذه في الإسلام مكان الشعر) وقد أعطى كل واحد منهم عطاء على موقفه.
وكذلك علق عمر على قول سحيم عبد بني الحسحاس:

عميرة ودع إن تجهزت غازيا كفى الشيب والإسلام للمرء ناهيا
فقال عمر: (لو قدمت الإسلام على الشيب لأجزتك).

وفي ذلك لفت انتباهه إلى أن رادع سحيم عن اللهو الشيب أولاً والإسلام ثانياً، وهذا يعني بالنسبة لعمر عدم تمكن الإسلام من نفس سحيم.

أما موقف عمر من رثاء متمم بن نويرة لأخيه حين قال:

لعمري وما دهري بتأبين مالك ولا جزع مما أصاب فأوجعا
لقد كفن المنهال تحت ثيابه فتى غير مبطان العشيات أروعا
وكننا كندماني جذيمة حقبه من الدهر حتى قيل لن يتصدعا

فلما تفرقنا كأني ومالكا لطول اجتماع لم نبت ليلة معا
فقال عمر: (هذا والله التأبين) ولوددت أني أحسن الشعر فأرثي أخي زيدا بمثل ما رثيت
به أخاك.

ولعمر بن الخطاب مع الخطيئة الشاعر موقف مميز فقد هجا الخطيئة الزبرقان بقوله:
دع المكارم لا ترحل لبغيها واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي
فاشتكى الزبرقان من الخطيئة لعمر فأمر بسجنه في نقير في بئر، فقال الخطيئة لعمر:
ماذا تقول لأفراخ بذي مرخ زغب الحواصل لا ماء ولا شجر
ألقيت كاسيهم في قعر مظلمة فاغفر عليك سلام الله يا عمر
أنت الإمام الذي من بعد صاحبه ألقى إليك مقاليد النهى البشر
لم يؤثروك بها إذ قدموك لها لكن لأنفسهم كانت بك الأثر
فأخرجه عمر ونهاه عن (هجاء الناس وعن المقذع من القول وعن المخايرة بين الناس فلان
خير من فلان - آل فلان خير من آل فلان -) فقال له الخطيئة: فأنت والله أهجى مني، كذلك
انتقد بيت الخطيئة:

متى تأته تعشوا إلى ضوء ناره تجد خير نار عندها خير موقد
فقال عمر: كذب، بل تلك نار موسى نبي الله ﷺ

إشارة إلى قوله تعالى: (فلما قضى موسى الأجل وسار بأهله آنس من جانب الطور نارا
فقال لأهله امكثوا إني آنست نارا لعلي آتيكم بخبر أو جذوة من النار لعلكم تصطلحون)
القصص ٢٩.

ورفض عمر لذلك هو كون هذه صفات الأنبياء لا صفات الناس العاديين وهو نقد قيمتي
أكثر من كونه نقداً فنياً.

ولعمر بن الخطاب رضي الله عنه موقف آخر مع أمية بن حارثان فقد خرج وولده كلاب
إلى جبهة الفتح في البصرة وأبواه عاجزان يفتقران إلى خدمته، فقال أبياتاً كشفت عن ضعفه

وحاجته، ووصلت أبياته الشاكية إلى عمر فأرسل إلى ولده ورده إليه والأبيات التي قالها أمية بن حرثان:

لمن شيخان قد نشدا كلابا كتاب الله أن حفظ الكتابا
إذا هتفت حمامة بطن وج على بيضاتها ذكرا كلابا
تركت أباك مرعشة يده وأمك ما تسيع لها شرابا
وقال أيضاً:

سأسأتادي الفاروق ربا له عمد الحجيج إلى بصاق
أن الفاروق لم يردد كلابا إلى شيخين هامهما زواقيا
وقد كان عمر قد نهى عن هجاء القبيلة كلها بعد ما هجا النجاشي بني عجلان فاستعدوا
عليه عمر فقال: ماذا قال فيكم:

إذا الله عادى أهل لؤم ورقة فعادى بني العجلان رهط ابن مقبل
فقال عمر: إنما دعا فإن كان مظلوماً استجبت له وإن كان ظالماً لم يستجب له فقالوا: وقد
قال أيضاً:

قبيلة لا يغدرون الناس بذمة ولا يظلمون الناس حبة خردل
فقال عمر: ليت آل الخطاب هكذا، فقالوا: وقد قال أيضاً:

ولا يردون الماء إلا عشية إذا صدر الورد عن كل منهل
فقال عمر: ذلك أقل اللكاك. قالوا: وقد قال أيضاً.

تعاف الكلاب الضاريات لحومهم وتأكل من كعب وعوف ونهشل
فقال عمر: أجن القوم موتاهم فلم يضيعوهم؟ قالوا: وقد قال:

ما سمي العجلان إلا لقبيلهم خذ العقب واحلب أيها العبد واعجل
فقال عمر: خير القوم خادمهم وكلنا عبيد لله فاستشار عمر حسان والحطيئة، ثم هدد
النجاشي وقال له: إن عدت قطعت لسانك، وقد كان لعمر رأي مهم في شعر زهير بن أبي

سلمى فقد وصف شعره بأنه (لا يعاظر بين الكلام ولا يتبع حوشيه ولا يمدح الرجل إلا بما يكون في الرجال) معتبراً إياه أشعر شعراء الجاهلية وربما كان عمر يرى شيئاً من شخصيته في شخصية زهير في حب العدل بين الناس وحب الحق، ومن هنا أعجب بقول زهير:

وَأَنْ الْحَقَّ مَقْطَعُهُ ثَلَاثَ يَمِينٍ أَوْ نَفَارٍ أَوْ جَلَاءٍ
وَأَخَذَ يَرُدُّ الْبَيْتَ.

وكذلك وصف الخليفة عمر بن الخطاب النابغة بقوله: هو أشعر الشعراء لما سمع قوله:
فَلَسْتُ بِمَسْتَبِقٍ أَخَا لَا تَلْمَهُ عَلَى شَعَثِ أَيِّ الرِّجَالِ الْمَهْذَبِ
وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ:

حَلَفْتُ فَلَمْ أَتْرِكْ لِنَفْسِكَ رِيْبَةً وَلَيْسَ وِرَاءَ اللَّهِ لِلْمَرْءِ مَذْهَبٌ
لَسْتُ كُنْتُ قَدْ بَلَّغْتُ عَنِي وَشَايَةً لِمَبْلَغِكَ الْوَأَشِي أَغْشَ وَأَكْذَبُ
وَقَدْ سُئِلَ عُمَرُ عَنِ رَأْيِهِ فِي أَمْرِ الْقَيْسِ فَقَالَ: (أَمْرٌ الْقَيْسِ سَابِقَهُمْ خَسَفَ لَهُمْ عَيْنُ
الشعر فافتقر عن معاني عور أصبح بصراً).

٣ . النقد عند عثمان بن عفان:

وأما نقد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه فقد تمثل في قصته مع أبي زيد حرملة الطائي وزير الملوك، حيث حضر مجلس عثمان وعنده المهاجرون والأنصار فتذاكروا مآثر العرب وأشعارها فطلب عثمان منه أن يسمعه بعض شعره فقال:

مَنْ مَبْلَغُ قَوْمِي النَّائِنِ إِذْ شَحَطُوا أَنْ الْفَوَادِ إِلَيْهِمْ شَيْقٍ وَلَعٍ
وَكَذَلِكَ مَوْقِفُهُ حِينَ احْتِجَّ إِلَى خَادِمٍ يَعِينُهُ فَعَرَضُوا عَلَيْهِ عَبْدَ بَنِي الْحَسْحَاسِ الشَّاعِرِ
وَرَغْبُوهُ فِيهِ فَقَالَ: لَا حَاجَةَ لِي بِهِ إِذْ الشَّاعِرُ لَا حَرِيمَ لَهُ إِنْ شَبِعَ تَشَبُّهُ بِنِسَاءِ أَهْلِهِ وَإِنْ جَاعَ
هَجَاهُمْ.

ومثل ذلك أن ضبابي البرجمي هجا أم قبيلة ورماها بكلب حين قال:

فَأَمَّكُمْ لَا تَتْرَكُوهَا وَكَلْبِكُمْ فَإِنَّ عَقُوقَ الْأَمْهَاتِ كَبِيرٍ
فَاشْتَكُوا لِلْخَلِيفَةِ عُثْمَانَ فَسَجَنَهُ إِذْ إِنَّهُ خَشِيَ مِنْ فِتْنَةٍ كَبِيرَةٍ إِذَا هُوَ لَمْ يَحَاكِمْهُ.

وقد مدح عثمان كسالفه أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنهم الشاعر زهير بن أبي سلمى لقوله:

ومهما تكن عند امرئ من خليقة وإن خالها تخفى على الناس تعلم
فقال: أحسن زهير وصدق فهذا وصف يشير إلى قدرة زهير في إحسان الفكرة الشعرية في المعنى والمبنى، وهذا يشير إلى صدق التعبير عند زهير، وهذا النقد عند الخليفة لم يخرج عن طريق صاحبيه في توجيه الشعر نحو القيم الإيجابية.

٤ . النقد عند علي بن أبي طالب:

أما النقد عند الخليفة الرابع علي بن أبي طالب رضي الله عنه فهو نقد جاء على شكل جوامع الكلم فقد وصف الشعر بأنه (ميزان القول) حيث يظهر الشعر العقول ويبرز الطباع والسليقة، وهذا القول يؤكد اقتران طبيعة الشعر مع وظيفته وفي اقتراح علي رضي الله عنه وهو الشاعر العالم بصناعة الشعر ومكانة الشعراء أنه لو حصل اجتماع للشعراء السابقين في وقت واحد وتسابقوا لعلمنا من السابق منهم، وهذا متعذر من وجهة نظر علي والشاعر السابق عنده من لم يقل لرغبة ولا لرهبة، وقد سُئِلَ عن تحديد شخصية شعرية تتصف بذلك فقال الكندي: يعني امرأ القيس وعلل ذلك لأنه رآه أحسنهم نادرة وأسبقهم بادرة.
وقيل: إن الناس ارتفعت أصواتهم في أشعر الناس فكلف علي أبا الأسود الدؤلي أن يحسم الموقف.

الباب الثامن
الحكمة العربية والإسلامية
في العهد الراشدي

أ - مقدمة:

الحكمة هي ميزان العقل والمنطق والحياة والشريعة، وهي باب من أبواب السعادة تدخل في كل العلوم والمعارف، ويحتاجها الإنسان في مختلف مناحي حياته الاجتماعية والإنسانية والكونية وخاصة في علاقته مع الله تعالى ومع أخيه الإنسان؛ وحيث تكون الحكمة تكون خشية الله وحيث تكون خشيته تكون رحمته.

والحكمة هي فلسفة الحياة عند الإنسان، والعهد الراشدي الميمون هو عهد الحكمة بعد عهد الرسول محمد ﷺ، ولكن هذه الحكمة كانت تجسد عملياً على الواقع، فقد طبقها الخلفاء الراشدون، والصحابة الكرام رضوان الله عليهم في واقع الحياة، وبرز هذا التطبيق للحكمة في الدين والسياسة والمجتمع، وسائر نواحي الحياة كلها؛ ولو تصفحنا حياة الخلفاء الأربعة والصحابة الكرام رضوان الله عليهم لوجدناها تطبيقاً للقرآن الكريم، والقرآن الكريم هو أعلى درجات الحكمة، وما هذه الفتوحات الإسلامية وتدفق الشعوب الأخرى للدخول في الإسلام إلا دلالة على ذلك. لقد كانت حياة أبي بكر الصديق وحياة عمر وحياة عثمان وحياة علي رضوان الله تعالى عليهم حياة حكمة، وكذلك حياة الكثير من الصحابة الكرام، وهذه نماذج من حكمهم.

ب - نماذج من حكم الصحابة الكرام:

أولاً - من حكم أبي بكر الصديق رضي الله عنه

١ - احرص على الموت توهب لك الحياة.

٢ - إذا استشرت فاصدق الحديث تصدق المشورة ولا تحزن عن المشير خبرك فتؤتى من قبل نفسك.

٣ - إذا فاتك خير فأدركه وإن أدركك فأسبقه.

٤ - أربع من كن فيه كان من خيار عباد الله: من فرح بالتائب، واستغفر للمذنب، ودعا المدبر، وأعان المحسن.

- ٥ - أصلح نفسك يصلح لك الناس.
- ٦ - أكيس الكيس التقوى، وأحمق الحمق الفجور، وأصدق الصدق الأمانة، وأكذب الكذب الخيانة.
- ٧ - إن أفواكم عندي الضعيف حتى آخذ له بحقه، وإن أضعفكم عندي القوي حتى آخذ منه الحق.
- ٨ - إن الله قرن وعده بوعيده ليكون العبد راغباً راهباً.
- ٩ - إن الله يرى من باطنك ما يرى من ظاهره.
- ١٠ - إن العبد إذا دخله العجب بشيء من زينة الدنيا مقتته الله تعالى حتى يفارق تلك الزينة.
- ١١ - إن عليك من الله عيوناً تراك.
- ١٢ - إن كثير الكلام ينسى بعضه بعضاً.
- ١٣ - إن كل من لم يهده الله ضال. وكل من لم يعافه الله مبتلى. وكل من لم يعنه الله مخذول. فمن هدى الله كان مهتدياً. ومن أضله الله كان ضالاً.
- ١٤ - ثلاث من كن فيه كن عليه: البغي والنكث والمكر.
- ١٥ - حق لميزان يوضع فيه الحق أن يكون ثقيلاً، وحق لميزان يوضع فيه الباطل أن يكون خفيفاً.
- ١٦ - خير الخصلتين لك أبغضهما إليك.
- ١٧ - ذل قوم أسندوا رأيهم إلى امرأة.
- ١٨ - رحم الله امرأ أعان أخاه بنفسه.
- ١٩ - صنائع المعروف تقي مصارع السوء.
- ٢٠ - لا خير في خير بعده نار، ولا شر في شر بعده الجنة.
- ٢١ - لا دين لأحد لا إيمان له، ولا أجر لمن لا حسبة له، ولا عمل لمن نية له.

٢٢ - لا يكونن قولك لغواً في عفو ولا عقوبة.

٢٣ - ليتني كنت شجرة تعضد ثم تؤكل .

٢٤ - ليست مع العزاء مصيبة .

٢٥ - الموت أهون مما بعده وأشد مما قبله .

٢٦ - وكان يأخذ بطرف لسانه ويقول:

(هذا الذي أوردني الموارد).

ثانياً - من حكم عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

أ - قال الأحنف:

قال عمر بن الخطاب:

١ - من كثر ضحكك قلت هيبته .

٢ - ومن مزح استخف به .

٣ - ومن أكثر من شيء عرف به .

٤ - ومن كثر كلامه كثر سقطه .

٥ - ومن كثر سقطه قلّ حياؤه .

٦ - ومن قلّ حياؤه قلّ ورعه .

٧ - ومن قلّ ورعه قلّ خيره .

٨ - ومن كثر أكله لم يجد لذكر الله لذة .

٩ - ومن كثر نومه لم يجد في عمره بركة .

١٠ - ومن كثر كلامه في الناس سقط حقه عند الله وخرج من الدنيا على غير الاستقامة .

ب - ومن أقوال عمر رضي الله عنه:

١ - إنّ الكذوب لا ينفعك خيره وإن صدقك في بعض ، والغاش عيّن عليك وليس عيناً

لك .

٢ - ثلاثٌ من الفواقر: جارٌ مُقامةٌ إن رأى حسنةً سترها، وإن رأى سيئةً أذاعها، وامرأةٌ إن دخلتَ عليها لستتكَ، وإن غبتَ عنها لم تأمنها، وسلطانٌ إن أحسنتَ لم يحمذك، وإن أسأتَ قتلك.

٣ - اقتصادٌ في سنةٍ خيرٌ من اجتهادٍ في بدعة.

٤ - سيفان في غمدٍ إذا لا يصطحبان.

٥ - لو أنَّ الصبرَ والشكرَ بعيران ما باليتُ أيُّهما أركب.

٦ - أضلِّحوا سرائركم تصلح علانيتكم.

٧ - من اتقى الله وقاه، ومن توكلَ عليه كفاه.

٨ - ترك الخطيئة خيرٌ من معالجة التوبة، ورُبَّ نظرةٍ زرعت شهوةً، وشهوةٍ ساعةٍ أورثت حزنًا طويلًا.

٩ - حاسبوا أنفسكم قبل أن تُحاسبوا، وزِنوا أنفسكم قبل أن توزنوا.

١٠ - ما وجد أحدٌ في نفسه كبرًا إلاَّ من مهانةٍ يجدها في نفسه.

١١ - أعقلُ الناسِ أَعذرُهم للناسِ.

١٢ - إياكم والدين، فإنَّ أوله همٌّ وآخره حربٌ.

١٣ - حرفةٌ يُعاش بها خيرٌ من مسألة الناسِ.

١٤ - من رَقَّ وجهُهُ رَقَّ عِلْمُهُ.

١٥ - بحسب المرء من الكذب أن يُحدِّث بكلِّ ما سَمِعَ.

ج - ومن أقوال عمر رضي الله عنه في الحكم والسياسة:

١ - إنَّ هذا الأمرَ لا يُصلِّحه إلاَّ لِينٌ في غيرِ ضعفٍ، وشدةٌ في غيرِ عنفٍ.

٢ - إنك والله، ما عاقبتَ من عصى الله فيك بمثلٍ أن تُطيعَ الله فيه.

٣ - ادْرؤوا الحدود عن المسلمين ما استطعتم، فإنَّ الإمامَ أن يُخطىءَ في العفوِ خيرٌ له من أن يُخطىءَ في العقوبةِ.

٤ - إذا زاغ العامل زاغت رعيته، وإنَّ أشقى الناس من شقيته به رعيته.

ثالثاً - من حكم عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه:

١ - قال رضي الله عنه: لو طهرت قلوبنا، ما شبعتم من كلام ربكم.

٢ - وقال رضي الله عنه: ما أسر أحد سريره إلا أبداها الله تعالى على صفحات وجهه،

وفلتات لسانه.

٣ - وقال رضي الله عنه: إن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن.

٤ - وكان رضي الله عنه لا يقيم للدنيا وزناً، فقال: هم الدنيا ظلمة في القلب، وهم الآخرة

نور في القلب

٥ - ومن حكمه البالغة: يكفيك من الحاسد أنه يغتم وقت سرورك.

٦ - وقال رضي الله عنه في أيام الفتنه: أستغفر الله إن كنت ظلمت، وقد عفوت إن كنت

ظلمت.

٧ - ومن حكمه، ومواعظه رضي الله عنه: إن لكل شيء آفة، ولكل نعمة عاهة، وإن آفة

هذا الدين، وعاهة هذه النعمة عيابون ضغانون، يرونكم ما تحبون، ويسرون ما تكرهون،

طغام مثل النعام.

٨ - أنتم إلى إمام فعال أحوج منكم إلى إمام أقوال.

رابعاً - من حكم علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

المتصفح لحياة سيدنا علي بن أبي طالب يكتشف مدى عمق الحكمة التي كانت توجهه،

فقد كان حكيماً في طفولته وشبابه وكهولته، في سياسته وفي إدارته للخلافة وفي دفاعه عن

المسلمين، ولو أردنا أن نصنف حكمه لوجدنا أنها تشمل نظريات جديدة في التربية والسلوك

والمجتمع وعلم النفس والسياسة واللغة والأدب، وهذه بعض من حكمه:

١ - ما خاف امرؤ عدل في حكمه وأطعم من قوته وذخر من دنياه لآخرته.

٢ - أفضل على من شئت تكن أميره واستغن عن من شئت تكن نظيره واحتج إلى من شئت

تكن أسيره.

٣ - لو لا ضعف اليقين ما كان لنا أن نشكو محنة يسيرة نرجو في العاجل سرعة زوالها وفي الآجل عظيم ثوابها بين أضعاف نعم لو اجتمع أهل السموات والأرض على إحصائها ما وفوا بها فضلاً عن القيام بشكرها

٤ - الفسق نجاسة في الهمة و كلب في الطبيعة.

٥ - قلوب الجهال تستفزها الأطماع وترتهن بالأمانى وتتعلق بالخدائع.

٦ - وكثرة الصمت زمام اللسان وحسم الفطنة وإماطة الخاطر وعذاب الحس.

٧ - عداوة الضعفاء للأقوياء والسفهاء للحلماء والأشرار للأخيار طبع لا يستطيع تغييره.

٨ - العقل في القلب والرحمة في الكبد والتنفس في الرئة.

٩ - إذا أراد الله بعبد خيراً حال بينه وبين شهوته وحجز بينه وبين قلبه، وإذا أراد به شراً وكَلَّه إلى نفسه.

١٠ - الصبر مطية لا تكبو والقناعة سيف لا ينبو.

١١ - ثلاث منجيات: خشية الله في السر والعلانية والقصد في الفقر والغنى والعدل في الغضب والرضا.

١٢ - إياكم والفحش فإن الله لا يحب الفحش وإياكم والشح فإنه أهلك من كان قبلكم هو الذي سفك دماء الرجال وهو الذي قطع أرحامها فاجتنبوه.

١٣ - إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية وعلم كان علمه الناس فانتفعوا به وولد صالح يدعو له.

١٤ - إذا فعلت كل شيء فكن كمن لم يفعل شيئاً.

١٥ - سأله رجل فقال: بماذا أسوء عدوي فقال: بأن تكون على غاية الفضائل.

١٦ - إذا قذفت بشيء فلا تتهاون به وإن كان كذباً، بل تحرز من طرق القذف جهديك فإن القول وإن لم يثبت يوجب ريبة وشكاً.

١٧ - عدم الأدب سبب كل شر.

- ١٨ - الجهل بالفضائل عدل الموت.
- ١٩ - ما أصعب على من استعبدته الشهوات أن يكون فاضلاً.
- ٢٠ - من لم يقهر جسده كان جسده قبراً لنفسه.
- ٢١ - احمد من يغلظ عليك ويعظك لا من يزكك ويتملقك.
- ٢٢ - اختر أن تكون مغلوباً وأنت منصف ولا تختار أن تكون غالباً وأنت ظالم.
- ٢٣ - لا تمضمن محاسنك بالفخر والتكبر.
- ٢٤ - لا تنفك المدنية من شر حتى يجتمع مع قوة السلطان قوة دينه وقوة حكمته.
- ٢٥ - إذا أردت أن تحمد فلا يظهر منك حرص على الحمد.
- ٢٦ - من كثر همه سقم بدنه ومن ساء خلقه عذب نفسه ومن لاحى الرجال سقطت مروءته وذهبت كرامته وأفضل إيمان العبد أن يعلم أن الله معه حيث كان.
- ٢٧ - كن ورعاً تكن من أعبد الناس وارض بما قسم الله لك تكن من أغنى الناس وأحسن جوار من جاورك تكن مسلماً ولا تكثرن الضحك فإن كثرت تميت القلب وأخرس لسانك واجلس في بيتك وابك على خطيئتك.
- ٢٨ - التجارب علم مستأنف والاعتبار يفيدك الرشاد وكفاك أدباً لنفسك ما كرهته من غيرك وعليك لأخيك مثل الذي عليه لك.
- ٢٩ - الغضب يثير كامن الحقد ومن عرف الأيام لم يغفل الاستعداد ومن أمسك عن الفضول عدلت رأيه العقول.
- ٣٠ - اسكت واستر تسلم وما أحسن العلم يزينه العمل وما أحسن العمل يزينه الرفق.
- ٣١ - أكبر الفخر ألا تفخر.
- ٣٢ - ما أصعب اكتساب الفضائل وأيسر إتلافها.
- ٣٣ - لا تنازع جاهلاً ولا تشايح مائتقاً ولا تعاد مسلطاً.

٣٤ - الموت راحة للشيخ الفاني من العمل وللشاب السقيم من السقم وللغلام الناشئ من استقبال الكد والجمع لغيره، ولن ركه الدين لغرمائه وللمطلوب بالوتر وهو في جملة الأمر أمنية كل ملهوف مجهود.

٣٥ - ما كنت كاتمه عدوك من سر فلا تطلعن عليه صديقك واعرف قدرك يستعمل أمرك وكفى ما مضى مخبراً عما بقي.

٣٦ - لا تعدن عدة تحقرها قلة الثقة بنفسك ولا يغرنك المرتقى السهل إذا كان المنحدر وعراً.

٣٧ - اتق العواقب عالماً بأن للأعمال جزاء وأجرأ واحذر تبعات الأمور بتقديم الحزم فيها.

٣٨ - من استرشد غير العقل أخطأ منهاج الرأي ومن أخطأته وجوه المطالب خذلته الحيل ومن أخل بالصبر أخل به حسن العاقبة فإن الصبر قوة من قوى العقل وبقدر مواد العقل وقوتها يقوى الصبر.

٣٩ - العشق مرض ليس فيه أجر ولا عوض.

٤٠ - أعظم الخطايا عند الله اللسان الكذوب وقائل كلمة الزور ومن يمد بحبلها في الإثم سواء.

٤١ - الخصومة تمحق الدين.

٤٢ - الجهاد ثلاثة: جهاد باليد وجهاد باللسان وجهاد بالقلب، فأول ما يغلب عليه من الجهاد يدك، ثم لسانك، ثم يصير إلى القلب فإن كان لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً نكس فجعل أعلاه أسفله.

٤٣ - ما أنعم الله على عبد نعمة فشكرها بقلبه إلا استوجب المزيد عليها قبل ظهورها على لسانه.

٤٤ - الحاجة مسألة والدعاء زيادة والحمد شكر والندم توبة.

٤٥ - لا تكن معجباً فتمقت وتمتهن.

٤٦ - ما لي أرى الناس إذا قرب إليهم الطعام ليلاً تكلفوا إنارة المصابيح ليصروا ما يدخلون بطونهم ولا يهتمون بغذاء النفس بأن ينيروا مصابيح ألبابهم بالعلم ليسلموا من لواحق الجهالة والذنوب في اعتقاداتهم وأعمالهم.

٤٧ - الفقر هو أصل حسن سياسة الناس وذلك أنه إذا كان من حسن السياسة أن يكون بعض الناس يسوس وبعضهم يساس، وكان من يساس لا يستقيم أن يساس من غير أن يكون فقيراً محتاجاً فقد تبين أن الفقر هو السبب الذي به يقوم حسن السياسة.

٤٨ - لا تتكلم بين يدي أحد من الناس دون أن تسمع كلامه وتقيس ما في نفسك من العلم إلى ما في نفسه، فإن وجدت ما في نفسه أكثر فحيثئذ ينبغي لك أن تروم زيادة الشيء الذي به يفضل على ما عندك.

٤٩ - إذا كان اللسان آلة لترجمة ما يخطر في النفس فليس ينبغي أن تستعمله فيما لم يخطر فيها.

٥٠ - إذا كان الآباء هم السبب في الحياة فمعلمو الحكمة والدين هم السبب في جودتها.

٥١ - وشكا إليه رجل تعذر الرزق فقال: مه!! لا تجاهد الرزق جهاد المغالب ولا تتكل على القدر اتكال المستسلم فإن ابتغاء الفضل من السنة والإجمال في الطلب من العفة وليست العفة دافعة رزقاً ولا الحرص جالباً فضلاً؛ لأن الرزق مقسوم وفي شدة الحرص اكتساب المآثم.

٥٢ - إذا استغنيت عن شيء فدعه وخذ ما أنت محتاج إليه.

٥٣ - العمر أقصر من أن تعلم كل ما يحسن بك علمه فتعلم الأهم فالأهم.

٥٤ - من رضي بما قسم له استراح قلبه وبدنه.

٥٥ - أبعد ما يكون العبد من الله إذا كان همه بطنه وفرجه.

٥٦ - ليس في الحواس الظاهرة شيء أشرف من العين فلا تعطوها سؤلها فيشغلكم عن ذكر الله.

٥٧ - ارحموا ضعفاءكم فالرحمة لهم سبب رحمة الله لكم.

٥٨ - إزالة الجبال أسهل من إزالة دولة قد أقبلت فاستعينوا بالله واصبروا فإنَّ الأَرْضَ لله يُورثُهَا مَنْ يَشَاءُ.

٥٩ - أوثق سلم يتسلق عليه إلى الله تعالى أن يكون خيراً.

٦٠ - ليس الموسر من كان يساره باقياً عنده زماناً يسيراً وكان يمكن أن يغتصبه غيره منه ولا يبقى بعد موته له لكن اليسار على الحقيقة هو الباقي دائماً عند مالكة، ولا يمكن أن يؤخذ منه ويبقى له بعد موته وذلك هو الحكمة.

٦١ - الشرف اعتقاد المنن في أعناق الرجال.

٦٢ - يضر الناس أنفسهم في ثلاثة أشياء الإفراط في الأكل اتكالاً على الصحة وتكلف حمل ما لا يطاق اتكالاً على القوة والتفريط في العمل اتكالاً على القدر.

٦٣ - أحزم الناس من ملك جده هزله وقهر رأيه هواه وأعرب عن ضميره فعله ولم يخذعه رضاه عن حظه ولا غضبه عن كيده.

٦٤ - من لم يصلح خلائقه لم ينفع الناس تأديبه.

٦٥ - من اتبع هواه ضل ومن حاد ساد وخمود الذكر أجمل من ذميم الذكر.

٦٦ - هب الشوق أخف محملاً من مقاساة الملالة.

٦٧ - بالرفق تنال الحاجة وبحسن التأي تسهل المطالب.

٦٨ - عزيمة الصبر تطفى نار الهوى ونفي العجب يؤمن به كيد الحساد.

٦٩ - ما شيء أحق بطول سجن من لسان.

٧٠ - لا نذر في معصية ولا يمين في قطيعة.

٧١ - لكل شيء ثمرة وثمره المعروف تعجيل السراح.

٧٢ - إياكم والكسل فإنه من كسل لم يؤد الله حقاً.

٧٣ - احسبوا كلامكم من أعمالكم وأقلوه إلا في الخير.

٧٤ - أحسنوا صحبة النعم فإنها تزول وتشهد على صاحبها بما عمل فيها.

٧٥ - أكثروا ذكر الموت ويوم خروجكم من قبوركم ويوم وقوفكم بين يدي الله عز وجل
بين عليكم المصاب.

٧٦ - ما استقصى كريم قط قال تعالى في وصف نبيه: (عَرَفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَن بَعْضٍ)

٧٧ - رب كلمة يخترعها حلیم مخافة ما هو شر منها وكفى بالحلم ناصراً.

٧٨ - من استحيا من الناس ولم يستحي من نفسه فليس لنفسه عند نفسه قدر.

٧٩ - غاية الأدب أن يستحيي الإنسان من نفسه.

٨٠ - البلاغة النصر بالحجة والمعرفة بمواضع الفرصة ومن البصر بالحجة أن تدع
الإفصاح بها إلى الكناية عنها إذا كان الإفصاح أوعر طريقة وكانت الكناية أبلغ في الدرك
وأحق بالظفر.

٨١ - إياك والشهوات وليكن مما تستعين به على كفها علمك بأنها ملهية لعقلك مهجنة
لرأيك شائنة لغرضك شاغلة لك عن معازم أمورك مشتدة بها التبعة عليك في آخرتك، إنما
الشهوات لعب فإذا حضر اللعب غاب الجد ولن يقام الدين وتصلح الدنيا إلا بالجد، فإذا
نازعتك نفسك إلى اللهو واللذات فاعلم أنها قد نزعت بك إلى شر منزع وأرادت بك أفضح
الفضوح فغالبتها مغالبة ذلك وامتنع منها امتناع ذلك، وليكن مرجعك منها إلى الحق فإنك
مهما ترك من الحق لا تتركه إلا إلى الباطل ومهما تدع من الصواب لا تدعه إلا إلى الخطأ فلا
تداهنن هواك في اليسير فيطمع منك في الكثير، وليس شيء مما أوتيت فاضلاً عما يصلحك
وليس لعمرك وإن طال فضل عما ينوبك من الحق اللازم لك ولا ببالك وإن كثر فضل عما
يجب عليك فيه ولا بقوتك وإن تمت فضل عن أداء حق الله عليك ولا برأيك وإن حزم فضل
عما لا تعذر بالخطأ فيه فليمنعك علمك بذلك من أن تطيل لك عمراً في غير نفع أو تضيع لك
مالاً في غير حق أو أن تصرف لك قوة في غير عبادة أو تعدل لك رأياً في غير رشد.

٨٢ - وكل ثلاث بثلاث الرزق بالحرق والحرم بالهمل والبلاء بالمنطق ليعلم ابن آدم أن
ليس له من الأمر شيء.

٨٣ - ثلاثة إن لم تظلمهم ظلموك عبدك وزوجتك وابنك. وقد روينا هذه الكلمة لعمر
فيما تقدم.

٨٤ - للمنافقين علامات يعرفون بها تحيتهم لعنة وطعامهم تهمة وغنيمتهم غلول لا
يعرفون المساجد إلا هجراً ولا يأتون الصلاة إلا دبراً مستكبرون لا يألون ولا يؤلفون خشب
بالليل صخب بالنهار.

٨٥ - الحسد حزن لازم وعقل هائم ونفس دائم والنعمة على المحسود نعمة وهي على
الحاسد نقمة.

٨٦ - يا حملة العلم أتحملونهم؟ فإنما العلم لمن علم، ثم عمل ووافق عمله علمه وسيكون
أقوام يحملون العلم لا يجاوز تراقيهم تخالف سريرتهم علانيتهم ويخالف عملهم علمهم
يقعدون حلقةً فيباهي بعضهم بعضاً حتى إن الرجل ليغضب على جلسه أن يجلس إلى غيره
أولئك لا تصعد أعمالهم في مجالسهم تلك إلى الله سبحانه.

٨٧ - تعلموا العلم صغاراً تسودوا به كباراً تعلموا العلم ولو لغير الله فإنه سيصير الله
العلم ذكر لا يجبه إلا ذكر من الرجال.

٨٨ - ليس شيء أحسن من عقل زانه علم ومن علم زانه حلم ومن حلم زانه صدق ومن
صدق زانه رفق ومن رفق زانه تقوى إن ملاك العقل ومكارم الأخلاق صون العرض والجزاء
بالفرض والأخذ بالفضل والوفاء بالعهد والإنجاز للوعد ومن حاول أمراً بالمعصية كان
أقرب إلى ما يخاف وأبعد مما يرجو.

٨٩ - إذا جرت المقادير بالمكارة سبقت الآفة إلى العقل فحيرته وأطلقت الألسن بما فيه
تلف الأنفس.

٩٠ - لا تصحبوا الأشرار فإنهم يمنون عليكم بالسلامة منهم.

٩١ - لا تقسروا أولادكم على آدابكم فإنهم مخلوقون لزمان غير زمانكم.

٩٢ - لا تطلب سرعة العمل واطلب تجويده فإن الناس لا يسألون في كم فرغ من العمل؟
إنما يسألون عن جودة صنعته.

٩٣ - ليس كل ذي عين يبصر ولا كل ذي أذن يسمع فتصدقوا على أولي العقول الزمينة والألباب الخائرة بالعلوم التي هي أفضل صدقاتكم، ثم تلا: (إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ عَنَّا).
٩٤ - من أتت عليه الأربعون من السنين قيل له: خذ حذرک من حلول المقدور فإنک غير معذور وليس أبناء الأربعين بأحق بالحذر من أبناء العشرين فإن طالبهما واحد وليس عن الطلب براقده وهو الموت فاعمل لما أمامک من الهول ودع عنک زخرف القول.

٩٥ - سُئِلَ عن القدر، فقال: أقصر أم أطيل؟ قيل: بل تقصر، فقال: جل الله أن يريد الفحشاء وعز عن أن يكون له في الملك إلا ما يشاء.
٩٦ - من علم أنه يفارق الأحباب ويسكن التراب ويواجه الحساب ويستغني عما ترك ويفتقر إلى ما قدم كان حرياً بقصر الأمل وطول العمل.
٩٧ - المؤمن لا تختله كثرة المصائب وتواتر النوائب عن التسليم لربه والرضا بقضائه كالحمامة التي تؤخذ فراخها من وكرها، ثم تعود إليه.
٩٨ - ما مات من أحياء علماء ولا افتقر من ملك فهاً.

٩٩ - العلم صبغ النفس وليس يفوق صبغ الشيء حتى ينظف من كل دنس.
١٠٠ - اعلم أن الذي مدحك بما ليس فيك إنما هو مخاطب غيرك وثوابه وجزاؤه قد سقطا عنك.
١٠١ - إحسانك إلى الحرِّ يحركه على المكافأة وإحسانك إلى النذل يبعثه على معاودة المسألة.
١٠٢ - الأشرار يتبعون مساوئ الناس ويتركون محاسنهم كما يتتبع الذباب المواضع الفاسدة.

١٠٣ - موت الرؤساء أسهل من رئاسة السفلة.
١٠٤ - ينبغي لمن ولي أمر قوم أن يبدأ بتقويم نفسه قبل أن يشرع في تقويم رعيته وإلا كان بمنزلة من رام استقامة ظل العود قبل أن يستقيم ذلك العود.

١٠٥ - إذا قوي الوالي في عمله حركته ولايته على حسب ما هو مركز في طبعه من الخير والشر.

١٠٦ - وصول معدم خير من جاف مكثر ومن أراد أن ينظر ما له عند الله فليُنظر ما لله عنده.

١٠٧ - لقد سبق إلى جنات عدن أقوام ما كانوا أكثر الناس صلاة ولا صياماً ولا حجاً ولا اعتباراً ولكن عقلوا عن الله أمره فحسنت طاعتهم وصح ورعهم وكمل يقينهم، ففاقوا غيرهم بالحظوة ورفيع المنزلة.

١٠٨ - ما من عبد إلا ومعه ملك يقيه ما لم يقدر له فإذا جاء القدر خلاه وإياه.

١٠٩ - إن الله سبحانه أدب نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله: {خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ}، فلما علم أنه قد تأدب قال له: {وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ}، فلما استحکم له من رسوله ما أحب قال: {وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا}.

١١٠ - كنت أنا والعباس وعمر نتذاكر المعروف فقلت أنا: (خير المعروف ستره)، وقال العباس: (خير تصغيره)، وقال عمر:

(خير تعجيله)، فخرج علينا رسول الله ﷺ، فقال (فيم أنتم؟ فذكرنا له فقال: خيره أن يكون هذا كله فيه).

١١١ - العفو يفسد من اللئيم بقدر ما يصلح من الكريم.

١١٢ - إذا خبت الزمان كسدت الفضائل وضرت ونفقت الرذائل ونفعت وكان خوف الموسر أشد من خوف المعسر.

١١٣ - انظر إلى المنتصح إليك فإن دخل من حيث يضار الناس فلا تقبل نصيحته وتحرز منه وإن دخل من حيث العدل والصلاح فاقبلها منه.

١١٤ - أعداء الرجل قد يكونون أنفع من إخوانه؛ لأنهم يهدون إليه عيوبه فيتجنبها ويخاف شمتهم به فيضبط نعمته ويتحرز من زوالها بغاية طوقه.

- ١١٥ - المرأة التي ينظر الإنسان فيها إلى أخلاقه هي الناس؛ لأنه يرى محاسنه من أوليائه منهم ومساويه من أعدائه فيهم.
- ١١٦ - انظر وجهك كل وقت في المرأة فإن كان حسناً فاستقبح أن تضيف إليه فعلاً قبيحاً وتشينه به وإن كان قبيحاً فاستقبح أن تجمع بين قبحين.
- ١١٧ - موقع الصواب من الجهال مثل موقع الخطأ من العلماء.
- ١١٨ - ذكّ قلبك بالأدب كما تذكّي النار بالحطب.
- ١١٩ - كفر النعمة لؤم وصحبة الجاهل شؤم.
- ١٢٠ - عادت من ماريت.
- ١٢١ - تصرم أخاك على ارتياب ولا تقطعه دون استعتاب.
- ١٢٢ - خير المقال ما صدقه الفعال.
- ١٢٣ - إذا لم ترزق غنى فلا تحرم من تقوى.
- ١٢٤ - من عرف الدنيا لم يحزن للبلوى.
- ١٢٥ - دع الكذب تكراً إن لم تدعه تأثماً.
- ١٢٦ - الدنيا طواحة طراحة فضاحة آسية جراحة.
- ١٢٧ - الدنيا جمة المصائب مُرّة المشارب لا تمتع صاحباً بصاحب.
- ١٢٨ - المعتذر من غير ذنب يوجب على نفسه الذنب.
- ١٢٩ - من كسل لم يؤد حقاً.
- ١٣٠ - كثرة الجدال تورث الشك.
- ١٣١ - خير القلوب أوعاها.
- ١٣٢ - لا تصحب الشرير فإن طبعك يسرق من طبعه شراً وأنت لا تعلم.
- ١٣٣ - موت الصالح راحة لنفسه وموت الطالح راحة للناس.
- ١٣٤ - ينبغي للعاقل أن يتذكر عند حلاوة الغذاء مرارة الدواء.

١٣٥ - إذا أردت أن تعرف طبع الرجل فاستشره فإنك تقف من مشورته على عدله وجوره وخيره وشره.

١٣٦ - يجب عليك أن تشفق على ولدك أكثر من إشفاه عليك.

١٣٧ - زمان الجائر من السلاطين والولاة أقصر من زمان العادل، لأن الجائر مفسد والعادل مصلح وإفساد الشيء أسرع من إصلاحه.

١٣٨ - إذا خدمت رئيساً فلا تلبس مثل ثوبه ولا تتركب مثل مركوبه ولا تستخدم كخدمه فعساك تسلم منه.

١٣٩ - لا تحدث بالعلم السفهاء فيكذبوك ولا الجهال فيستثقلوك ولكن حدث به من يتلقاه من أهله بقبول وفهم يفهم عنك ما تقول ويكتم عليك ما يسمع فإن لعلمك عليك حقاً كما أن عليك في مالك حقاً بذله لمستحقه ومنعه عن غير مستحقه.

١٤٠ - اليقين فوق الإيثار والصبر فوق اليقين ومن أفرط رجاءه غلبت الأمانى على قلبه واستعبدته.

١٤١ - إياك وصاحب السوء فإنه كالسيف كالمسلول يروق منظره ويقبح أثره.

١٤٢ - يا ابن آدم احذر الموت في هذه الدار قبل أن تصير إلى دار تتمنى الموت فيها فلا تجده.

١٤٣ - من أخطأه سهم المنية قيده الهرم.

١٤٤ - من سمع بفاحشة فأبداها كان كمن أتاها.

١٤٥ - العاقل من اتهم رأيه ولم يثق بما سولته له نفسه.

١٤٦ - من سامح نفسه فيما يجب أتعبها فيما لا يجب.

١٤٧ - كفى ما مضى مخبراً عما بقي وكفى عبراً لذوي الألباب ما جربوا.

١٤٨ - أمر لا تدري متى يغشاك ما يمنعك أن تستعد له قبل أن يفجأك.

١٤٩ - ليس في البرق الخاطف مستمتع لمن يخوض في الظلمة.

١٥٠ - إذا أعجبك ما يتواصفه الناس من محاسنك فانظر فيما بطن من مساوئك ولتكن معرفتك بنفسك أوثق عندك من مدح المادحين لك.

١٥١ - من مدحك بما ليس فيك من الجميل وهو راض عنك ذمك بما ليس فيك من القبيح وهو ساخط عليك.

١٥٢ - إذا تشبه صاحب الرياء بالمخلصين في الهيئة كان مثل الوارم الذي يوهم الناس أنه سمين فيظن الناس ذلك فيه وهو يستر ما يلقي من الألم التابع للورم.

١٥٣ - إذا قويت نفس الإنسان انقطع إلى الرأي وإذا ضعفت انقطع إلى البخت.

١٥٤ - الرغبة إلى الكريم تحركه على البذل وإلى الخسيس تغريه بالمنع.

١٥٥ - خيار الناس يترفعون عن ذكر معائب الناس ويتهمون المخبر بها ويؤثرون الفضائل ويتعصبون لأهلها ويستعرضون مآثر الرؤساء وإفضالهم عليهم ويطالبون أنفسهم بالمكافأة عليها وحسن الرعاية لها.

١٥٦ - لكل شيء قوت وأنتم قوت الهوام ومن مشى على ظهر الأرض فإن مصيره إلى بطنها.

١٥٧ - من كرم المرء بكاؤه على ما مضى من زمانه وحنينه إلى أوطانه وحفظه قديم إخوانه.

١٥٨ - أصابت الدنيا من أمنها وأصاب الدنيا من حذرها.

١٥٩ - مكارم الأخلاق عشر خصال (السخاء والحياء، والصدق وأداء الأمانة، والتواضع والغيرة، والشجاعة والحلم، والصبر والشكر).

١٦٠ - من أداء الأمانة المكافأة على الصنيعة؛ لأنها كالوديعة عندك.

١٦١ - البخلاء من الناس يكون تغافلهم عن عظيم الجرم أسهل عليهم من المكافأة على يسير الإحسان.

١٦٢ - من صحب السلطان وجب أن يكون معه كراكب البحر إن سلم بجسمه من الغرق لم يسلم بقلبه من الفرق.

١٦٣ - إذا استشارك عدوك فجرد له النصيحة؛ لأنه باستشارتك قد خرج من عدواتك ودخل في مودتك.

١٦٤ - العدل صورة واحدة والجور صور كثيرة، ولهذا سهل ارتكاب الجور وصعب تحري العدل وهما يشبهان الإصابة في الرماية والخطأ فيها وإن الإصابة تحتاج إلى ارتياض وتعهد والخطأ لا يحتاج إلى شيء من ذلك.

١٦٥ - لا يخطئ المخلص في الدعاء إحدى ثلاث: ذنب يُغفر أو خير يُعجل أو شر يُؤجل.

١٦٦ - لا ينتصف ثلاثة من ثلاثة: بر من فاجر وعاقل من جاهل وكريم من لئيم.

١٦٧ - أشرف الملوك من لم يخالطه البطر ولم يحل عن الحق وأغنى الأغنياء من لم يكن للحرص أسيراً وخير الأصدقاء من لم يكن على إخوانه مستصعباً وخير الأخلاق أعونها على التقى والورع.

١٦٨ - أربعة من الشقاء: جار السوء وولد السوء وامرأة السوء والمنزل الضيق.

١٦٩ - أربعة تدعو إلى الجنة: كتمان المصيبة وكتمان الصدقة وبر الوالدين والإكثار من قول لا إله إلا الله.

١٧٠ - لا تصحب الجاهل فإن فيه خصالاً فاعرفوه بها يغضب من غير غضب ويتكلم في غير نفع ويعطي في غير موضع الإعطاء ولا يعرف صديقه من عدوه ويفشي سره إلى كل أحد.

١٧١ - إياك ومواقف الاعتذار فرب عذر أثبت الحجة على صاحبه وإن كان بريئاً.

١٧٢ - الصراط ميدان يكثر فيه العثار فالسالم ناج والعائر هالك.

١٧٣ - الرزق مقسوم والأيام دول والناس شرع سواء آدم أبوهم وحواء أمهم.

١٧٤ - قوت الأجسام الغذاء وقوت العقول الحكمة فمتى فقد واحد منهما قوته بار واضمحل.

١٧٥ - الصبر على مشقة العباد يترقى بك إلى شرف الفوز الأكبر.

١٧٦ - الروح حياة البدن والعقل حياة الروح.

- ١٧٧ - حقيق بالإنسان أن يخشى الله بالغيب ويحرس نفسه من العيب ويزداد خيراً مع الشيب.
- ١٧٨ - أفضل الولاية من بقي بالعدل ذكره واستمده من يأتي بعده.
- ١٧٩ - قدم العدل على البطش تظفر بالمحبة ولا تستعمل الفعل حيث ينجع القول.
- ١٨٠ - البخيل يسخو من عرضه بمقدار ما يبخل به من ماله والسخي يبخل من عرضه بمقدار ما يسخو به من ماله.
- ١٨١ - فضل العقل على الهوى؛ لأن العقل يملكك الزمان والهوى يستعبدك للزمان.
- ١٨٢ - كل ما حملت عليه الحر احتمله ورآه زيادة في شرفه إلا ما حظه جزءاً من حرته فإنه يأباه ولا يجيب إليه.
- ١٨٣ - إذا منعك اللئيم البر مع إعظامه حقك كان أحسن من بذل السخي لك إياه مع الاستخفاف بك.
- ١٨٤ - الملك كالنهر العظيم تستمد منه الجداول فإن كان عذباً عذبت وإن كان ملحاً ملحت.
- ١٨٥ - الفرق بين السخاء والتبذير أن السخي يسمح بما يعرف مقداره ومقدار الرغبة فيه إليه ويضعه بحيث يحسن وضعه وتزكو عارفته، والمبذر يسمح بما لا يوازن به رغبة الراغب ولا حق القاصد ولا مقدار ما أولى ويستفزه لذلك خطرة من خطراته والتصدي لإطراء مُطْرٍ له بينها بون بعيد.
- ١٨٦ - لا تلاح الغضبان فإنك تقلقه باللجاج ولا ترده إلى الصواب.
- ١٨٧ - لا تفرح بسقطة غيرك فإنك لا تدري ما تتصرف الأيام بك.
- ١٨٨ - قليل العلم إذا وقر في القلب كالطل يصيب الأرض المطمئنة فتعشب.
- ١٨٩ - سوء الظن يدوي القلوب ويتهم المأمون ويوحش المستأنس ويغير مودة الإخوان.
- ١٩٠ - إذا لم يكن في الدنيا إلا محتاج فأغنى الناس أقنعهم بما رزق.

- ١٩١ - إنما الناس في نفس معدود وأمل ممدود وأجل محدود فلا بد للأجل أن يتناهى وللنفس أن يحصى وللأمل إن ينقضي، ثم قرأ: {وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لِحَافِظِينَ كِرَامًا كَاتِبِينَ}.
- ١٩٢ - تعطروا بالاستغفار لا تفضحكم رائحة الذنوب.
- ١٩٣ - للنكبات غايات تنتهي إليها ودواؤها الصبر عليها وترك الحيلة في إزالتها فإن الحيلة في إزالتها قبل انقضاء مدتها سبب لزيادتها.
- ١٩٤ - لا يرضى عنك الحاسد حتى يموت أحدكما.
- ١٩٥ - لا يكون الرجل سيد قومه حتى لا يبالي أي ثوبيه لبس.
- ١٩٦ - كتب إلى عامل له: اعمل بالحق ليوم لا يقضى فيه إلا بالحق.
- ١٩٧ - نظر إلى رجل يغتاب آخر عند ابنه الحسن فقال: يا بني نزه سمعك عنه فإنه نظر إلى أحب ما في وعائه فأفرغه في وعائك.
- ١٩٨ - لا تقبل الرئاسة على أهل مدينتك فإنهم لا يستقيمون لك إلا بما تخرج به من شرط الرئيس الفاضل.
- ١٩٩ - لا تهزأ بخطأ غيرك فإن المنطق لا يملكه وأقلل من الخطأ الذي أنت فيه بقدر الصبر واجعل العقل والحق إماميك تنل البغية بهما.
- ٢٠٠ - الرأي يريك غاية الأمر ومبدأه.
- ٢٠١ - الخير من الناس من قدر على أن يصرف نفسه كما يشاء ويدفعها عن الشرور والشري من لم يكن كذلك.
- ٢٠٢ - السلطان الفاضل هو الذي يحرس الفضائل ويجود بها لمن دونه ويرعاها من خاصته وعامته حتى تكثر في أيامه ويتحسن بها من لم تكن فيه.
- ٢٠٣ - للكريم رباطان أحدهما الرعاية لصديقه وذوي الحرمة به والآخر الوفاء لمن ألزمه الفضل ما يجب له عليه.
- ٢٠٤ - إذا تحركت صورة الشر ولم تظهر ولدت الفرع فإذا ظهرت ولدت الألم، وإذا تحركت صورة الخير ولم تظهر ولدت الفرع فإذا ظهرت ولدت اللذة.

٢٠٥ - الفرق بين الاقتصاد والبخل أن الاقتصاد تمسك الإنسان بما في يده خوفاً على حريته وجاهه من المسألة فهو يضع الشيء موضعه ويصبر عما لا تدعو ضرورة إليه ويصل صغير بره بعظيم بشره ولا يستكثر من المواد خوفاً من فرط الإجحاف به، والبخيل لا يكافئ على ما يسدى إليه ويمنع أيضاً اليسير من استحق الكثير ويصبر لصغير ما يجري عليه على كثير من الذلة.

٢٠٦ - لا تحتقرن صغيراً يمكن أن يكبر ولا قليلاً يمكن أن يكثر.

٢٠٧ - أقتل الأشياء لعدوك ألا تعرفه أنك اتخذته عدواً.

٢٠٨ - الخيرة في ترك الطيرة.

٢٠٩ - شفيح المذنب إقراره وتوبته اعتذاره.

٢١٠ - قصم ظهري رجلان جاهل متنسك وعالم متهتك.

٢١١ - إذا غضب الكريم فألن له الكلام وإذا غضب اللئيم فخذ له العصا.

٢١٢ - غضب العاقل في فعله وغضب الجاهل في قوله.

٢١٣ - إياك وكثرة الاعتذار فإن الكذب كثيراً ما يخالط المعاذير.

٢١٤ - اشكر لمن أنعم عليك وأنعم على من شكرك.

٢١٥ - سل مسألة الحمقى واحفظ حفظ الأكياس.

٢١٦ - مروا الأحداث بالمراء والجدال والكهول بالفكر والشيوخ بالصمت.

٢١٧ - عود نفسك الصبر على جليس السوء فليس يكاد يخطئك.

٢١٨ - يا بني إن الشر تاركك إن تركته.

٢١٩ - لا تطلبوا الحاجة إلى ثلاثة: إلى الكذوب فإنه يقربها وإن كانت بعيدة ولا إلى أحق

فإنه يريد أن ينفعك فيضرك ولا إلى رجل له إلى صاحب الحاجة حاجة فإنه يجعل حاجتك وقاية لحاجته.

٢٢٠ - إياك وصدر المجلس فإنه مجلس قلعة.

- ٢٢١ - احذروا صولة الكريم إذا جاع و صولة اللئيم إذا شبع.
- ٢٢٢ - سرك دمك فلا تجربينه إلا في أوداجك.
- ٢٢٣ - المعروف كنز فانظر عند من تودعه.
- ٢٢٤ - إذا وقع في يدك يوم السرور فلا تخله فإنك إذا وقعت في يد يوم الغم لم يخلك.
- ٢٢٥ - إذا أردت أن تصادق رجلاً فانظر من عدوه.
- ٢٢٦ - الانقباض من الناس مكسبة للعداوة والانبساط مجلبة لقرين السوء، فكن بين المنقبض والمسترسل فإن خير الأمور أوساطها.
- ٢٢٧ - بلوغ أعلى المنازل بغير استحقاق من أكبر أسباب الهلكة.
- ٢٢٨ - الكلمة إذا خرجت من القلب وقعت في القلب وإذا خرجت من اللسان لم تجاوز الأذان.
- ٢٢٩ - الكرم حسن الفطنة واللؤم سوء التغافل.
- ٢٣٠ - أسوأ الناس حالاً من اتسعت معرفته وبعدت همته وضاعت قدرته.
- ٢٣١ - أمران لا ينفكان من الكذب كثرة المواعيد وشدة الاعتذار.
- ٢٣٢ - العافية الملك الخفي.
- ٢٣٣ - سوء حمل الغنى يورث مقتاً وسوء حمل الفاقة يضع شرفاً.
- ٢٣٤ - لا ينبغي لأحد أن يدع الحزم لظفر ناله عاجز ولا يسامح نفسه في التفريط لنكبة دخلت على حازم.
- ٢٣٥ - ليس من حسن التوكل أن يقال العاثر عشرة، ثم يركبها ثانية.
- ٢٣٦ - سوء القالة في الإنسان إذا كان كذباً نظير الموت لفساد دنياه فإن كان صدقاً فأشد من الموت لفساد آخرته.
- ٢٣٧ - ترضى الكرام بالكلام وتصاد اللئام بالمال وتستصلح السفلة بالهوان.
- ٢٣٨ - لا يزال المرء مستمراً ما لم يعثره فإذا عثر مرة ليج به العثار ولو كان في جدد.

٢٣٩ - المتواضع كالوهدة يجتمع فيها قطرها وقطر غيرها والمتكبر كالربوة لا يقر عليها قطرها ولا قطر غيرها.

٢٤٠ - لا يصبر على الحرب ويصدق في اللقاء إلا ثلاثة: مستبصر في دين أو غيران على حرمة أو ممتعض من ذل.

٢٤١ - مجاوزتك ما يكفيك فقر لا منتهى له.

٢٤٢ - قيل له: أي الأمور أعجل عقوبة وأسرع لصاحبها صرعة؟ فقال: ظلم من لا ناصر له إلا الله ومجازاة النعم بالتقصير واستطالة الغني على الفقير.

٢٤٣ - ما شيء أهون من ورع وإذا رابك أمر فدعه.

٢٤٤ - أشرف الأشياء العلم والله تعالى عالم يجب كل عالم.

٢٤٥ - ليت شعري أي شيء أدرك من فاته العلم، بل أي شيء فات من أدرك العلم.

٢٤٦ - من صفة العاقل ألا يتحدث بما يستطاع تكذيبه فيه.

٢٤٧ - السعيد من وعظ بغيره والشقي من اتعظ به غيره.

٢٤٨ - ذو الهمة وإن حط نفسه يأبى إلا علواً كالشعلة من النار يخفيها صاحبها وتأبى إلا ارتفاعاً.

٢٤٩ - الدين غل الله في أرضه إذا أراد أن يذل عبداً جعله في عنقه.

٢٥٠ - العاقل إذا تكلم بكلمة أتبعها حكمة ومثلاً والأحمق إذا تكلم بكلمة أتبعها حلفاً.

٢٥١ - الحركة لقاح الجد العظيم.

٢٥٢ - ثلاثة لا يُستحيا من الختم عليها: المال لنفي التهمة والجوهر لنفاسته والدواء للاحتياط من العدو.

٢٥٣ - إذا أيسرت فكل الرجال رجالك وإذا أعسرت أنكرك أهلك.

٢٥٤ - من الحكمة جعل المال في أيدي الجهال فإنه لو خص به العقلاء لمات الجهال جوعاً، ولكنه جعل في أيدي الجهال، ثم استنزهم عنه العقلاء بلطفهم وفطنتهم.

- ٢٥٥ - ما رد أحد أحداً عن حاجة إلا وتبين العز في قفاه والذل في وجهه.
- ٢٥٦ - ابتداء الصنيعة نافلة وربها فريضة.
- ٢٥٧ - الحاسد المبطن للحسد كالنحل يمج الدواء ويبطن الداء.
- ٢٥٨ - الحاسد يرى زوال نعمتك نعمة عليه.
- ٢٩ - التواضع إحدى مصايد الشرف.
- ٢٦٠ - تواضع الرجل في مرتبته ذب للشهامة عنه عند سقطته.
- ٢٦١ - رب صلف أدى إلى تلف.
- ٢٦٢ - سوء الخلق يعدي وذاك أنه يدعو صاحبك إلى أن يقابلك بمثله.
- ٢٦٣ - المروءة التامة مباينة العامة.
- ٢٦٤ - أسوأ ما في الكريم أن يمتنع نداءه وأحسن ما في اللئيم أن يكف عنك أذاه.
- ٢٦٥ - السفلة إذا تعلموا تكبروا وإذا تمولوا استطالوا والعلية إذا تعلموا تواضعوا وإذا افتقروا صالوا.
- ٢٦٦ - ثلاث لا يستصلح فسادهن بحيلة أصلاً: العداوة بين الأقارب وتحاسد الأكفاء وركاكة الملوك.
- ٢٦٧ - السخي شجاع القلب والبخيل شجاع الوجه.
- ٢٦٨ - العزلة توفر العرض وتستتر الفاقة وترفع ثقل المكافأة.
- ٢٦٩ - ما احتنك أحد قط إلا أحب الخلوة والعزلة.
- ٢٧٠ - خير الناس من لم تجربه.
- ٢٧١ - الكريم لا يلين على قسر ولا يقسو على يسر.
- ٢٧٢ - المرأة إذا أحببتك آذتك وإذا أبغضتكَ خانتك وربما قتلتك، فحبها أذى وبغضها داء بلا دواء.
- ٢٧٣ - المرأة تكتم الحب أربعين سنة ولا تكتم البغض ساعة واحدة.

- ٢٧٤ - الممتحن كالمختنق كلما ازداد اضطراباً ازداد اختناقاً.
- ٢٧٥ - كل ما لا يتقل بانتقالك من مالك فهو كفيل بك.
- ٢٧٦ - أجل ما ينزل من السماء التوفيق وأجل ما يصعد من الأرض الإخلاص.
- ٢٧٧ - اثنان يهون عليهما كل شيء عالم عرف العواقب وجاهل يجهل ما هو فيه.
- ٢٧٨ - شر من الموت ما إذا نزل تمنيت بنزوله الموت وخير من الحياة ما إذا فقدته أبغضت لفقده الحياة.
- ٢٧٩ - ما وضع أحد يده في طعام أحد إلا ذل له.
- ٢٨٠ - أبصر الناس لعوار الناس المعور.
- ٢٨١ - العجب ممن يخاف عقوبة السلطان وهي منقطعة ولا يخاف عقوبة الديان وهي دائمة.
- ٢٨٢ - من عرف نفسه فقد عرف ربه.
- ٢٨٣ - من عجز عن معرفة نفسه فهو عن معرفة خالقه أعجز.
- ٢٨٤ - لو تكاشفتكم لما تدافتم.
- ٢٨٥ - شيطان كل إنسان نفسه.
- ٢٨٦ - إن لم تعلم من أين جئت لم تعلم إلى أين تذهب.
- ٢٨٧ - غاية كل متعمق في معرفة الخالق سبحانه الاعتراف بالقصور عن إدراكها.
- ٢٨٨ - الكمال في خمس: ألا يعيب الرجل أحداً يعيب فيه مثله حتى يصلح ذلك العيب من نفسه فإنه لا يفرغ من إصلاح عيب من عيوبه حتى يهجم على آخر فتشغله عيوبه عن عيوب الناس وألا يطلق لسانه ويده حتى يعلم أفي طاعة ذلك أم في معصية وألا يلتمس من الناس إلا ما يعطيهم من نفسه مثله وأن يسلم من الناس باستشعار مداراتهم وتوفيتهم حقوقهم وأن ينفق الفضل من ماله ويمسك الفضل من قوله.
- ٢٨٩ - صديق البخيل من لم يجربه.

٢٩٠ - من الخيط الضعيف يفتل الحبل الحصيف ومن مقدحة صغيرة تحترق مدينة كبيرة
ومن لبنة لبنة تبنى قرية حصينة.

٢٩١ - محب الدراهم معذور وإن أدنته من الدنيا؛ لأنها صانته عن أبناء الدنيا.

٢٩٢ - عجباً لمن قيل فيه الخير وليس فيه كيف يفرح وعجباً لمن قيل فيه الشر وليس فيه
كيف يغضب.

٢٩٣ - ثلاث موبقات: الكبر فإنه حط إبليس عن مرتبته والحرص فإنه أخرج آدم من
الجنة والحسد فإنه دعا ابن آدم إلى قتل أخيه.

٢٩٤ - الفطام عن الحطام شديد.

٢٩٥ - إذا أقبلت الدنيا أقبلت على حمار قطوف وإذا أدبرت أدبرت على البراق.

٢٩٦ - أصاب متأمل أو كاد وأخطأ مستعجل أو كاد.

٢٩٧ - ستة لا تخطئهم الكآبة: فقير حديث عهد بغنى ومكثر يخاف على ماله وطالب
مرتبة فوق قدره والحسود والحقود ومخالط أهل الأدب وليس بأديب.

٢٩٨ - طلبت الراحة لنفسي فلم أجد شيئاً أروح من ترك ما لا يعنيني، وتوحشت في
القفر البلقع فلم أر وحشة أشد من قرين السوء، وشهدت الزحوف ولقيت الأقران فلم أر
قرناً أغلب من المرأة ونظرت إلى كل ما يذل العزيز ويكسره فلم أر شيئاً أذل له ولا أكسر من
الفاقة.

٢٩٩ - أول رأي العاقل آخر رأي الجاهل.

٣٠٠ - المسترشد موقى والمحترس ملقى.

٣٠١ - الحر عبد ما طمع والعبد حر ما قنع.

٣٠٢ - ما أحسن حسن الظن إلا أن فيه العجز وما أقبح سوء الظن إلا أن فيه الحزم.

٣٠٣ - ما الحيلة فيما أعنى إلا الكف عنه ولا الرأي فيما ينال إلا اليأس منه.

٣٠٤ - الأحمق إذا حدّث ذهل وإذا حدّث عجل وإذا حُمل على القبيح فعل.

- ٣٠٥ - إثبات الحجة على الجاهل سهل ولكن إقراره بها صعب.
- ٣٠٦ - كما تُعرف أواني الفخار بامتحانها بأصواتها فيعلم الصحيح منها من المكسور كذلك يمتحن الإنسان بمنطقه فيُعرف ما عنده.
- ٣٠٧ - احتمال الفقر أحسن من احتمال الذل؛ لأن الصبر على الفقر قناعة والصبر على الذل ضراعة.
- ٣٠٨ - الدنيا حمقاء لا تميل إلا إلى أشباهها.
- ٣٠٩ - السفر ميزان الأخلاق.
- ٣١٠ - العقل ملك والخصال رعيته فإذا ضعف عن القيام عليها وصل الخلل إليها.
- ٣١١ - الكذاب يخيف نفسه وهو آمن.
- ٣١٢ - لولا ثلاث لم يسئل سيف: سلك أدق من سلك ووجه أصبح من وجه ولقمة أسوخ من لقمة.
- ٣١٣ - قد يحسن الامتتان بالنعمة وذلك عند كفرانها ولولا أن بني إسرائيل كفروا بالنعمة لما قال الله لهم: (أذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ).
- ٣١٤ - إذا تناهى الغم انقطع الدمع.
- ٣١٥ - إذا ولي صديقك ولاية فأصبته على العشر من صداقته فليس بصاحب سوء.
- ٣١٦ - أعجب الأشياء بديهة أمن وردت في مقام خوف.
- ٣١٧ - الحرص محرمة والجبن مقتلة وإلا فانظر فيمن رأيت وسمعت أمن قتل في الحرب مقبلاً أكثر أم من قتل مدبراً؟ وانظر: أمن يطلب بالإجمال والتكرم أحق أن تسخو نفسك له أم من يطلب بالشره والحرص؟
- ٣١٨ - إذا كان العقل تسعة أجزاء احتاج إلى جزء من جهل ليقدم به صاحبه على الأمور فإن العاقل أبداً متوان مترقب متخوف.

٣١٩ - عمل الرجل بما يعلم أنه خطأ هوى، والهوى آفة العفاف وترك العمل بما يعلم أنه صواب تهاون، والتهاون آفة الدين، وإقدامه على ما لا يدري أصواب هو أم خطأ لججاج واللجاج آفة العقل؟

٣٢٠ - ضعف العقل أمان من النعم.

٣٢١ - لا ينبغي للعاقل أن يمدح امرأة حتى تموت ولا طعاماً حتى يستمرئه ولا صديقاً حتى يستقرضه وليس من حسن الجوار ترك الأذى ولكن حسن الجوار الصبر على الأذى.

٣٢٢ - لا يتأدب العبد بالكلام إذا وثق بأنه لا يضرب.

٣٢٣ - الفرق بين المؤمن والكافر الصلاة فمن تركها وادعى الإيمان كذبه فعله وكان عليه شاهد من نفسه.

٣٢٤ - من خاف الله خافه كل شيء.

٣٢٥ - من النقص أن يكون شفيعك شيئاً خارجاً عن ذاتك وصفاتك.

٣٢٦ - ويلى على العبد اللئيم عبد بني ربيعة نزع به عرق الشرك العبشمي إلى مساعتي وتذكر دم الوليد وعتبة وشيبة أولى له والله ليريني في موقف يسوءه، ثم لا يجد هناك فلاناً وفلاناً يعني سالماً مولى حذيفة.

٣٢٧ - الصوم عبادة بين العبد وخالقه لا يطلع عليها غيره وكذلك لا يجازي عنها غيره.

٣٢٨ - ما السيف المصارم في كف الشجاع بأعز له من الصدق.

٣٢٩ - لا يكن فقرك كفراً وغناك طغياناً.

٣٣٠ - ثمرة القناعة الراحة وثمره التواضع المحبة.

٣٣١ - الكريم يلين إذا استعطف واللئيم يقسو إذا لوطف.

٣٣٢ - عذابان لا يأبه الناس لهما السفر البعيد والبناء الكثير.

٣٣٣ - ثلاثة يؤثرون المال على أنفسهم: تاجر البحر وصاحب السلطان والمرثي في

الحكم.

- ٣٣٤ - أعجز الناس من قصر في طلب الصديق وأعجز منه من وجده فضيعة.
- ٣٥٣ - أشد المشاق وعد كذاب لحريص.
- ٣٣٦ - العادات قاهرات فمن اعتاد شيئاً في سره وخلوته فضحه في جهره وعلايته.
- ٣٣٧ - الأخ البار مغيض الأسرار.
- ٣٣٨ - عدم المعرفة بالكتابة زمانة خفية.
- ٣٣٩ - قديم الحرمة وحديث التوبة يمحقان ما بينهما من الإساءة.
- ٣٤٠ - ركوب الخيل عز وركوب البراذين لذة وركوب البغال مهزمة وركوب الحمير مذلة.
- ٣٤١ - العقل يظهر بالمعاملة وشيم الرجال تعرف بالولاية.
- ٣٤٢ - قال له قائل: علمني الحلم فقال: هو الذل فاصطبر عليه إن استطعت.
- ٣٤٣ - قلت إن فلاناً أفاد مالاً عظيماً فهل أفاد أياماً ينفقه فيها.
- ٣٤٤ - عيادة النَّوْكي أشد على المريض من وجعه.
- ٣٤٥ - المريض يعاد والصحيح يزار.
- ٣٤٦ - الشيء الذي لا يحسن أن يقال وإن كان حقاً مدح الإنسان نفسه.
- ٣٤٧ - الشيء الذي لا يستغنى عنه بحال من الأحوال التوفيق.
- ٣٤٨ - أوسع ما يكون الكريم مغفرة إذا ضاقت بالذنب المعذرة.
- ٣٤٩ - ستر ما عاينت أحسن من إشاعة ما ظننت.
- ٣٥٠ - التكبر على المتكبرين هو التواضع بعينه.
- ٣٥١ - إذا رفعت أحداً فوق قدره فتوقَّع منه أن يحط منك بقدر ما رفعت منه.
- ٣٥٢ - إساءة المحسن أن يمنعك جدواه وإحسان المسيء أن يكف عنك أذاه.
- ٣٥٣ - البر ما سكنت إليه نفسك واطمأن إليه قلبك والإثم ما جال في نفسك وتردد في صدرك.

- ٣٥٤ - الزكاة نقص في الصورة وزيادة في المعنى.
- ٣٥٥ - ليس الصوم الإمساك عن المأكَل والمشرب الصوم الإمساك عن كل ما يكرهه الله سبحانه.
- ٣٥٦ - إذا كان الراعي ذئباً فالشاة من يحفظها.
- ٣٥٧ - كل شيء يعصيك إذا أغضبتك إلا الدنيا فإنها تطيعك إذا أغضبتها.
- ٣٥٨ - رب مغبوط بنعمة هي داؤه ومرحوم من سقم هو شفاؤه.
- ٣٥٩ - إذا أراد الله أن يسلط على عبد عدواً لا يرحمه سلط عليه حاسداً.
- ٣٦٠ - شرب الدواء للجسد كالصابون للثوب ينقيه ولكن يخلقه.
- ٣٦١ - الحسد خلق دنيء ومن دناءته أنه موكل بالأقرب فالأقرب.
- ٣٦٢ - لو كان أحد مكتفياً من العلم لاكتفى نبي الله موسى وقد سمعتم قوله: (هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا).
- ٣٦٣ - أستغفر الله مما أملك وأستصلحه فيما لا أملك.
- ٣٦٤ - إذا قعدت وأنت صغير حيث تحب قعدت وأنت كبير حيث تكره.
- ٣٦٥ - الولد العاق كالإصبع الزائدة إن تركت شانت وإن قطعت آلت.
- ٣٦٦ - خرج العز والغنى يجولان فلقيا القناعة فاستقرا.
- ٣٦٧ - الصديق نسيب الروح والأخ نسيب الجسم.
- ٣٦٨ - جزية المؤمن كراء منزله وعذابه سوء خلق زوجته.
- ٣٦٩ - الوعد وجه والإنجاز محاسنة.
- ٣٧٠ - أنعم الناس عيشاً من عاش في عيشة غيره.
- ٣٧١ - لا تشاخن أحداً ولا تردن سائلاً إما هو كريم تسد خلته أو لئيم تشتري عرضك منه.
- ٣٧٢ - النمام سهم قاتل.

- ٣٧٣ - ثلاثة أشياء لا دوام لها: المال في يد المبذر وسحابة الصيف وغضب العاشق.
- ٣٧٤ - الزاهد في الدينار والدرهم أعز من الدينار والدرهم.
- ٣٧٥ - رب حرب أحييت بلفظة ورب ود غرس بلحظة.
- ٣٧٦ - إذا تزوج الرجل فقد ركب البحر فإن ولد له فقد كسر به.
- ٣٧٧ - صلاح كل ذي نعمة في خلاف ما فسد عليه.
- ٣٧٨ - أنعم الناس عيشة من تحلى بالعفاف ورضي بالكفاف وتجاوز ما يخاف إلى ما لا يخاف.
- ٣٧٩ - التواضع نعمة لا يفتن لها الحاسد.
- ٣٨٠ - ينبغي للعاقل أن يمنع معرفه الجاهل واللئيم والسفيه أما الجاهل فلا يعرف المعروف ولا يشكر عليه، وأما اللئيم فأرض سبخة لا تنبت، وأما السفيه فيقول إنما أعطاني فرقاً من لساني.
- ٣٨١ - خير العيش ما لا يطغيك ولا يلهيك.
- ٣٨٢ - ما ضرب الله العباد بسوط أوجع من الفقر.
- ٣٨٣ - إذا أراد الله أن يزيل عن عبد نعمة كان أول ما يغيّر منه عقله.
- ٣٨٤ - خير الدنيا والآخرة في خصلتين الغنى والتقوى وشر الدنيا والآخرة في خصلتين الفقر والفجور.
- ٣٨٥ - ثمانية إذا أهينوا فلا يلوموا إلا أنفسهم: الآتي طعاماً لم يدع إليه، والمتأمر على رب البيت في بيته، وطالب المعروف من غير أهله، والداخل بين اثنين لم يدخله، والمستخف بالسلطان، والجالس مجلساً ليس له بأهل، والمقبل بحديثه على من لا يسمعه، ومن جرب المحرب.
- ٣٨٦ - أنفس الأعلام عقل قرن إليه حظ.
- ٣٨٧ - اللطافة في الحاجة أجدى من الوسيلة.

٣٨٨ - احتمال نخوة الشرف أشد من احتمال بطر الغنى، وذلة الفقر مانعة من الصبر كما أن عز الغنى مانع من كرم الإنصاف إلا لمن كان في غريزته فضل قوة وأعراق تنازعه إلى بعد الهمة.

٣٨٩ - أبعده الناس سفراً من كان في طلب صديق يرضاه.

٣٩٠ - استشارة الأعداء من باب الخذلان.

٣٩١ - سوء العادة كمين لا يؤمن.

٣٩٢ - العادة طبيعة ثانية غالبية.

٣٩٣ - التجني وافد القطيعة.

٣٩٤ - صديقك من نهك وعدوك من أغراك.

٣٩٥ - يا عجباً من غفلة الحساد عن سلامة الأجساد.

٣٩٦ - من سعادة المرء أن يطول عمره ويرى في أعدائه ما يسره.

٣٩٧ - الضغائن تورث كما تورث الأموال.

٣٩٨ - رب عزيز أذله خرقة وذليل أعزه خلقه.

٣٩٩ - لا يصلح اللئيم لأحد ولا يستقيم إلا من فرق أو حاجة فإذا استغنى أو ذهب

خوفه عاد إليه جوهره.

٤٠٠ - ثلاثة في المجلس وليسوا فيه الحاقن والضيق الخف والسيئ الظن بأهله.

٤٠١ - وسئل: ما أبقى الأشياء في نفوس الناس فقال: أما في أنفس العلماء فالندامة على

الذنوب، وأما في نفوس السفهاء فالحقد.

٤٠٢ - إذا انقضى ملك قوم خيبروا في آرائهم.

٤٠٣ - الضعيف المحترس من العدو القوي أقرب إلى السلامة من القوي المغتر بالعدو

الضعيف.

٤٠٤ - الحزن سوء استكانة والغضب لؤم قدرة.

- ٤٠٥ - كل ما يؤكل ينتن وكل ما يوهب يأرج.
- ٤٠٦ - الطرش في الكرام والهوج في الطوال والكيس في القصار والتبل في الربعة وحسن الخلق في الحول والكبر في العور والبهت في العميان والذكاء في الخرس.
- ٤٠٧ - ألام الناس من سعى بإنسان ضعيف إلى سلطان جائر.
- ٤٠٨ - أعسر الحيل تصوير الباطل في صورة الحق عند العاقل المميز.
- ٤٠٩ - الغدر ذل حاضر والغيبة لؤم باطن.
- ٤١٠ - القلب الفارغ يبحث عن السوء واليد الفارغة تنازع إلى الإثم.
- ٤١١ - لا كثير مع إسراف ولا قليل مع احتراف ولا ذنب مع اعتراف.
- ٤١٢ - المتعبد على غير فقه كحمار الرحي يدور ولا يبرح.
- ٤١٣ - المحروم من طال نصبه وكان لغيره مكسبه.
- ٤١٤ - في الاعتبار غنى عن الاختبار.
- ٤١٥ - غيظ البخيل على الجواد أعجب من بخله.
- ٤١٦ - أذل الناس معتذر إلى اللئيم.
- ٤١٧ - أشجع الناس أثبتهم عقلاً في بداهة الخوف.
- ٤١٨ - المعتذر منتصر والمعاتب مغاضب.
- ٤١٩ - المروءة بلا مال كالأسد الذي يهاب ولم يفترس وكالسيف الذي يخاف وهو مغمد، والمال بلا مروءة كالكلب الذي يجتنب عقراً ولم يعقر.
- ٤٢٠ - عليكم بالأدب فإن كنتم ملوكاً برزتم وإن كنتم وسطاً فقتم وإن أعوزتكم المعيشة عشتم بأدبكم.
- ٤٢١ - الملوك حكام على الناس والعلماء حكام على الملوك.
- ٤٢٢ - لا ينبغي للعاقل أن يكون إلا في إحدى منزلتين إما في الغاية القصوى من مطالب الدنيا، وإما في الغاية القصوى من الترك لها.

- ٤٢٣ - من أفضل أعمال البر الجود في العسر والصدق في الغضب والعفو عند القدرة.
- ٤٢٤ - إن الله أنعم على العباد بقدر قدرته وكلفهم من الشكر بقدر قدرتهم.
- ٤٢٥ - العيش في ثلاث صديق لا يعد عليك في أيام صداقتك ما يرضى به أيام عداوتك وزوجة تسرك إذا دخلت عليها وتحفظ غيبك إذا غبت عنها و غلام يأتي على ما في نفسك كأنه قد علم ما تريد.
- ٤٢٦ - تحتاج القرابة إلى مودة ولا تحتاج المودة إلى قرابة.
- ٤٢٧ - الصابر على مخالطة الأشرار وصحبتهم كراكب البحر إن سلم بيدنه من التلف لم يسلم بقلبه من الحذر.
- ٤٢٨ - لأخيك عليك إذا حزبه أمر أن تشير عليه بالرأي ما أطاعك وتبذل له النصر إذا عصاك.
- ٤٢٩ - الغيبة ربيع اللثام.
- ٤٣٠ - أطول الناس نصباً الحريص إذا طمع والحقود إذا منع.
- ٤٣١ - الشريف دون حقه يقتل ويعطي نافلة فوق الحق عليه.
- ٤٣٢ - اجعل عمرك كنفقة دفعت إليك فكما لا تحب أن يذهب ما تنفق ضياعاً فلا تذهب عمرك ضياعاً.
- ٤٣٣ - من أظهر شكرك فيما لم تأت إليه فاحذر أن يكفرك فيما أسديت إليه.
- ٤٣٤ - لا تستعن في حاجتك بمن هو للمطلوب إليه أنصح منه لك.
- ٤٣٥ - لا يؤمنك من شر جاهل قرابة ولا جوار فإن أخوف ما تكون لحريق النار أقرب ما تكون إليها.
- ٤٣٦ - كن في الحرص على تفقد عيوبك كعدوك.
- ٤٣٧ - عليك بسوء الظن فإن أصاب فالحزم وإلا فالسلامة.
- ٤٣٨ - رضا الناس غاية لا تدرك فتحراً الخير بجهدك ولا تبال بسخط من يرضيه الباطل.

- ٤٣٩ - لا تماكس في البيع والشراء فما يضيع من عرضك أكثر مما تنال من عرضك.
- ٤٤٠ - الدين رق فلا تبذل رقل لمن لا يعرف حقك.
- ٤٤١ - لا تصحب في السفر غنياً فإنك إن ساويته في الإنفاق أضربك وإن تفضل عليك استذلك.
- ٤٤٢ - إذا سألت كريماً حاجة فدعه يفكر فإنه لا يفكر إلا في خير وإذا سألت لثيماً حاجة فغافسه فإنه إذا فكر عاد إلى طبعه.
- ٤٤٣ - ما أقبح بالصبيح الوجه أن يكون جاهلاً كدار حسنة البناء وساكنها شر وكجنة يعمرها بوم أو صرمة يحرسها ذئب.
- ٤٤٤ - قبيح بذى العقل أن يكون بهيمة وقد أمكنه أن يكون إنساناً وقد أمكنه أن يكون ملكاً وأن يرضى لنفسه بقنية معارة وحية مستردة وله أن يتخذ قنية مخلدة وحية مؤبدة.
- ٤٤٥ - الذي يستحق اسم السعادة على الحقيقة سعادة الآخرة وهي أربعة أنواع: بقاء بلا فناء وعلم بلا جهل وقدرة بلا عجز وغنى بلا فقر.
- ٤٤٦ - ما خاب من استخار.
- ٤٤٧ - الدين قد كشف عن غطاء قلبه يرى مطلوبه قد طبق الخافقين فلا يقع بصره على شيء إلا رآه فيه.
- ٤٤٨ - من غرس النخل أكل الرطب ومن غرس الصفصاف والعليق عدم ثمرته وذهبت ضياعاً خدمته.
- ٤٤٩ - إذا أردت العلم والخير فانفض عن يدك أداة الجهل والشر فإن الصائغ لا يتهيأ له الصياغة إلا إذا ألقى أداة الفلاحة عن يده.
- ٤٥٠ - الصبر مفتاح الفرج.
- ٤٥١ - غاية كل متعمق في علمنا أن يجهل.
- ٤٥٢ - ستعرف الحال على حقيقتها ولكن حيث لا تستطيع أن تذاكر أحداً بها.

٤٥٣ - السعادة التامة بالعلم والسعادة الناقصة بالزهد والعبادة من غير علم ولا زهادة
تعب الجسد.

٤٥٤ - الآمال مطايا وربها حسرت ونقبت أخفافها.

٤٥٥ - حب الرئاسة شاغل عن حب الله سبحانه.

٤٥٦ - الخير كله في السيف وما قام هذا الدين إلا بالسيف أتعلمون ما معنى قوله تعالى:
{وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ} هذا هو السيف.

٤٥٧ - لم يفت من لم يمت.

٤٥٨ - من فسدت بطانته كان كمن غص بالماء فإنه لو غص بغيره لأساغ الماء غصته.

٤٥٩ - من ضمن بعرضه فليدع المرء.

٤٦٠ - من أيقظ فتنة فهو آكلها.

٤٦١ - من أثرى كرم على أهله ومن أملق هان على ولده.

٤٦٢ - من أمل أحداً هابه ومن جهل شيئاً عابه.

٤٦٣ - أسوأ الناس حالاً من لا يثق بأحد لسوء ظنه ولا يثق به أحد لسوء أثره.

٤٦٤ - أحب الناس إليك من كثرت أياديه عندك فإن لم يكن فمن كثرت أياديك عنده.

٣٦٥ - من طال صمته اجتلب من الهيبة ما ينفعه ومن الوحشة ما لا يضر.

٤٦٦ - من زاد عقله نقص حظه وما جعل الله لأحد عقلاً وافراً إلا احتسب به عليه من
رزقه.

٤٦٧ - من عمل بالعدل فيمن دونه رزق العدل ممن فوّه.

٤٦٨ - من طلب عزاً بظلم وباطل أورثه الله ذلاً بإنصاف وحق.

٤٦٩ - من وطئته الأعين وطئته الأرجل.

٤٧٠ - ينادي مناد يوم القيامة: من كان له أجر على الله فليقم فيقوم العافون عن الناس،

ثم تلا: {فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ}.

- ٤٧١ - اصحب الناس بأي خلق شئت يصحبوك بمثله.
- ٤٧٢ - كأنتك بالدنيا لم تكن وكأنتك بالآخرة لم تنزل.
- ٤٧٣ - قال لمريض أبل من مرضه: إن الله ذكرك فاذكروه وأقالك فاشكروه.
- ٤٧٤ - الدار دار من لا دار له وبها يفرح من لا عقل له فأنزلوها منزلتها.
- ٤٧٥ - لا تستصغرن أمر عدوك إذا حاربتته فإنك إن ظفرت به لم تحمد وإن ظفر بك لم تعذر والضعيف المحترس من العدو القوي أقرب إلى السلامة من القوي المغتر بالضعيف.
- ٤٧٦ - لا تصحب من تحتاج إلى أن تكتمه ما يعرف الله منك.
- ٤٧٧ - لا تسأل غير الله فإنه إن أعطاك أغناك.
- ٤٧٨ - الصاحب كالرقعة في الثوب فاتخذه مشاكلاً.
- ٤٧٩ - إياك وكثرة الإخوان فإنه لا يؤذيك إلا من يعرفك.
- ٤٨٠ - دع اليمين لله إجلالاً وللناس إجمالاً.
- ٤٨١ - إذا كان لك صديق ولم تحمد إخاءه ومودته فلا تظهر ذلك للناس فإنها هو بمنزلة السيف الكليل في منزل الرجل يرهب به عدوه ولا يعلم العدو أصارم هو أم كليل.
- ٤٨٢ - دع الذنوب قبل أن تدعك.
- ٤٨٣ - إذا نزل بك مكروه فانظر فإن كان لك حيلة فلا تعجز وإن لم يكن فيه حيلة فلا تجزع.
- ٤٨٤ - تعلموا العلم فإنه زين للغني وعون للفقير ولست أقول إنه يطلب به ولكن يدعوه إلى القناعة.
- ٤٨٥ - لا ترضين قول أحد حتى ترضى فعله ولا ترض فعله حتى ترضى عقله ولا ترض عقله حتى ترضى حياءه فإن الإنسان مطبوع على كرم ولؤم فإن قوي الحياء عنده قوي الكرم وإن ضعف الحياء قوي اللؤم.
- ٤٨٦ - تعلموا العلم وإن لم تنالوا به حظاً فلأن يذم الزمان لكم أحسن من أن يذم بكم.

- ٤٨٧ - اجعل شرك إلى واحد ومشورتك إلى ألف.
- ٤٨٨ - إن الله خلق النساء من عي وعورة فداووا عيهن بالسكوت واستروا العورة بالبيوت.
- ٤٨٩ - لا تعدن عدة لا تثق من نفسك بإنجازها ولا يغرنك المرتقى السهل إذا كان المنحدر وعمراً واعلم أن للأعمال جزاء فاتق العواقب وأن للأمور بغتات فكن على حذر.
- ٤٩٠ - لا تجاهد الطلب جهاد المغالب ولا تتكل على القدر اتكال المستسلم فإن ابتغاء الفضل من السنة والإجمال في الطلب من العفة وليست العفة برافعة رزقاً ولا الحرص بجالب فضلاً.
- ٤٩١ - من لم تستقم له نفسه فلا يلو من من لم يستقم له.
- ٤٩٢ - من رجي الرزق لديه صرفت أعناق الرجال إليه.
- ٤٩٣ - من انتجعك مؤملاً فقد أسلفك حسن الظن.
- ٤٩٤ - إذا شئت أن تطاع فاسأل ما يستطيع.
- ٤٩٥ - من أعذر كمن أنجح.
- ٤٩٦ - من كانت الدنيا همه كثر في القيامة غمه.
- ٤٩٧ - من أجمل في الطلب أتاه رزقه من حيث لا يحتسب.
- ٤٩٨ - من ركب العجلة لم يأمن الكبوة.
- ٤٩٩ - من لم يثق لم يوثق به.
- ٥٠٠ - من أفاده الدهر أفاد منه.
- ٥٠١ - من أكثر ذكر الضغائن اكتسب العداوة.
- ٥٠٢ - من لم يحمد صاحبه على حسن النية لم يحمده على حسن الصنعة.
- ٥٠٣ - تأمل ما تتحدث به فإنما تملي على كاتبك صحيفة يوصلانها إلى ربك فانظر على من تملي وإلى من تكتب.

- ٥٠٤ - أقم الرغبة إليك مقام الحرمة بك وعظم نفسك عن التعظم وتطول ولا تتناول.
- ٥٠٥ - عاملوا الأحرار بالكرامة المحضه والأوساط بالرغبة والرهبه والسفلة بالهوان.
- ٥٠٦ - كن للعدو المكاتم أشد حذراً منك للعدو المبارز.
- ٥٠٧ - احفظ شيتك ممن تستحيي أن تسأله عن مثل ذلك الشيء إذا ضاع لك.
- ٥٠٨ - إذا كنت في مجلس ولم تكن المحدث ولا المحدث فقم.
- ٥٠٩ - لا تدخل في مشورتك بخيلاً فيقصر بفعلك ولا جباناً فيخوفك ما لا تخاف ولا حريصاً فيعدك ما لا يرجى فإن الجبن والبخل والحرص طبيعة واحدة يجمعها سوء الظن بالله تعالى.
- ٥١٠ - لا تكن ممن تغلبه نفسه على ما يظن ولا يغلبها على ما يستيقن.
- ٥١١ - أعص هواك والنساء وافعل ما بدا لك.
- ٥١٢ - ما كنت كاتمه من عدوك فلا تظهر عليه صديقك.
- ٥١٣ - كل من الطعام ما تشتهي والبس من الثياب ما يشتهي الناس.
- ٥١٤ - ولتكن دارك أول ما يبتاع وآخر ما يباع.
- ٥١٥ - من كان في يده شيء من رزق الله سبحانه فليصلحه فإنكم في زمان إذا احتاج المرء فيه إلى الناس كان أول ما يبذله لهم دينه.
- ٥١٦ - ابذل لصديقك مالك ولمعرفتك رفدك ومحضرك وللعامه بشرك وتحنك ولعدوك عدلك وإنصافك واضنن بدينك وعرضك عن كل أحد.
- ٥١٧ - جالس العقلاء أعداء كانوا أو أصدقاء فإن العقل يقع على العقل.
- ٥١٨ - كن في الحرب بحيلتك أوثق منك بشدتك وبحدرك أفرح منك بنجدتك فإن الحرب حرب المتهور وغنيمه المتحذر.
- ٥١٩ - النعم وحشية فقيدوها بالمعروف.
- ٥٢٠ - إذا أخطأتك الصنيعه إلى من يتقي الله فاصنعها إلى من يتقي العار.

- ٥٢١ - لا تشتغل بالرزق المضمون عن العمل المفروض.
- ٥١١ - إذا أكرمك الناس لمال أو سلطان فلا يعجبك ذلك فإن زوال الكرامة بزوالها، ولكن ليعجبك إن أكرمك الناس لدين أو أدب.
- ٥٢٣ - ينبغي لمن لم يكرم وجهه عن مسألتك أن تكرم وجهك عن رده.
- ٥٢٤ - إذا أردت أن تختم على كتاب فأعد النظر فيه فإنها تختم على عقلك.
- ٥٢٥ - إن يوماً أسكر الكبار وشيب الصغار لشديد.
- ٥٢٦ - كم من مبرد له الماء والحميم يغلى له.
- ٥٢٧ - الصلاة صابون الخطايا.
- ٥٢٨ - إن امرأ عرف حقيقة الأمر وزهد فيه لأحمق وإن امرأ جهل حقيقة الأمر مع وضوحه لجاهل
- ٥٢٩ - إذا قال أحدكم: والله، فلينظر ما يضيف إليها.
- ٥٣٠ - رأيك لا يتسع لكل شيء ففرغه للمهم من أمورك ومالك لا يغني الناس كلهم فاخصص به أهل الحق وكرامتك لا تطيق بذلها في العامة فتوخ بها أهل الفضل، وليك ونهارك لا يستوعبان حوائجك فأحسن القسمة بين عمالك ودعتك.
- ٥٣١ - أحي المعروف بإماتته.
- ٥٣٢ - اصحبوا من يذكر إحسانكم إليه وينسى أياديه عنكم.
- ٥٣٣ - جاهدوا أهواءكم كما تجاهدون أعداءكم.
- ٥٣٤ - إذا رغبت في المكارم فاجتنب المحارم.
- ٥٣٥ - لا تثقن كل الثقة بأخيك فإن سرعة الاسترسال لا تقال.
- ٥٣٦ - انتقم من الحرص بالقناعة كما تنتقم من العدو بالقصاص.
- ٥٣٧ - إذا قصرت يدك عن المكافأة فليطل لسانك بالشكر.
- ٥٣٨ - من لم ينشط لحديثك فارفع عنه مؤنة الاستماع منك.

- ٥٣٩ - الزمان ذو ألوان ومن يصحب الزمان ير الهوان.
- ٥٤٠ - لا تزهدن في معروف فإن الدهر ذو صروف كم من راغب أصبح مرغوباً إليه ومتبوع أمسى تابعاً
- ٥٤١ - إن غلبت يوماً على المال فلا تغلبن على الحيلة على كل حال.
- ٥٤٢ - كن أحسن ما تكون في الظاهر حالاً أقل ما تكون في الباطن مالم.
- ٥٤٣ - لا تكونن المحدث من لا يسمع منه والداخل في سر اثنين لم يدخله فيه ولا الآتي وليمة لم يدع إليها ولا الجالس في مجلس لا يستحقه ولا طالب الفضل من أيدي اللثام ولا المتحمق في الدالة ولا المتعرض للخير من عند العدو.
- ٥٤٤ - اطبع الطين ما دام رطباً واغرس العود ما دام لدناً.
- ٥٤٥ - خف الله حتى كأنك لم تطعه وارج الله حتى كأنك لم تعصه.
- ٥٤٦ - لا تبلغ في سلامك على الإخوان حد النفاق ولا تقصرهم عن درجة الاستحقاق.
- ٥٤٧ - انصح لكل مستشير ولا تستشير إلا الناصح اللبيب.
- ٥٤٨ - ما أقبح بك أن ينادي غداً يا أهل خطيئة كذا فتقوم معهم، ثم ينادي ثانياً يا أهل خطيئة كذا فتقوم معهم ما أراك يا مسكين إلا تقوم مع أهل كل خطيئة.
- ٥٤٩ - ما أصاب أحد ذنباً ليلاً إلا أصبح وعليه مذلته.
- ٥٥٠ - الاستغفار يمتح الذنوب حت الورق، ثم تلا قوله تعالى: (وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءاً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُوراً رَحِيماً).
- ٥٥١ - أيها المستكثر من الذنوب إن أباك أخرج من الجنة بذنب واحد.
- ٥٥٢ - إذا عصى الرب من يعرفه سلط عليه من لا يعرفه.
- ٥٥٣ - لقاء أهل الخير عمارة القلوب.
- ٥٥٤ - والله ما قلعت باب خير ودكدكت حصن يهود بقوة جسمانية، بل بقوة إلهية.
- ٥٥٥ - يا ابن عوف كيف رأيت صنيعك مع عثمان رب واثق خجل ومن لم يتوخ بعمله وجه الله عاد مادحه من الناس له ذاماً.

- ٥٥٦ - لو رأيت ما في ميزانك لختمت على لسانك.
- ٥٥٧ - ليس الحلم ما كان حال الرضا، بل الحلم ما كان حال الغضب.
- ٥٥٨ - ليس شيء أقطع لظهر إبليس من قول لا إله إلا الله كلمة التقوى.
- ٥٥٩ - لا تحملوا ذنوبكم وخطاياكم على الله وتذروا أنفسكم والشيطان.
- ٥٦٠ - إن أخوف ما أخاف على هذه الأمة من الدجال أئمة مظلون وهم رؤساء أهل البدع.

- ٥٦١ - إذا زلت فارجع وإذا ندمت فاقلع وإذا أسأت فاندم وإذا مننت فاکتم وإذا منعت فأجمل ومن يسلف المعروف يكن ربحه الحمد.
- ٥٦٢ - استشر عدوك تجربة لتعلم مقدار عداوته.
- ٥٦٣ - لا تطلبن من نفسك العام ما وعدتك عاماً أول.
- ٥٦٤ - أطول الناس عمراً من كثر علمه فتأدب به من بعده أو كثر معرفته فشرف به عقبه.

- ٥٦٥ - استهينوا بالموت فإن مرارته في خوفه.
- ٥٦٦ - لا دين لمن لا نية له ولا مال لمن لا تدبير له ولا عيش لمن لا رفق له.
- ٥٦٧ - من اشتغل بتفقد اللفظة وطلب السجعة نسي الحجة.
- ٥٦٨ - الدنيا مطية المؤمن عليها يرتحل إلى ربه فأصلحوا مطاياكم تبلغكم إلى ربكم.
- ٥٦٩ - من رأى أنه مسيء فهو محسن ومن رأى أنه محسن فهو مسيء.
- ٥٧٠ - سيئة تسوءك خير من حسنة تعجبك.
- ٥٧١ - اطلبوا الحاجات بعزة الأنفس فإن بيد الله قضاءها.
- ٥٧٢ - عذب حسادك بالإحسان إليهم.
- ٥٧٣ - إظهار الفاقة من خمول الهمة.
- ٥٧٤ - يا عالم قد قام عليك حجة العلم فاستيقظ من رقدتك.

- ٥٧٥ - الرفق يفل حد المخالفة.
- ٥٧٦ - أرجح الناس عقلاً وأكملهم فضلاً من صحب أيامه بالموادعة وإخوانه بالمسالمة وقبل من الزمان عفوه.
- ٥٧٧ - الوجوه إذا كثر تقابلها اعتصر بعضها ماء بعض.
- ٥٧٨ - أداء الأمانة مفتاح الرزق.
- ٥٧٩ - لا تجد للموتور المحقود أماناً من أذاه أوثق من البعد عنه والاحتراس منه.
- ٥٨٠ - من سره الغنى بلا سلطان والكثرة بلا عشيرة فليخرج من ذل معصية الله إلى عز طاعته فإنه واجد ذلك كله.
- ٥٨١ - الشيب إعدار الموت.
- ٥٨٢ - من ساس نفسه بالصبر على جهل الناس صلح أن يكون سائساً.
- ٥٨٣ - حيث تكون الحكمة تكون خشية الله وحيث تكون خشيته تكون رحمته.
- ٥٨٤ - من كان همته ما يدخل جوفه كانت قيمته ما يخرج منه.
- ٥٨٥ - الرجاء للخالف سبحانه أقوى من الخوف؛ لأنك تخافه لذنبك وترجوه لجوده فالخوف لك، والرجاء له.
- ٥٨٦ - لا تطلبين إلى أحد حاجة ليلاً فإن الحياء في العينين.
- ٥٨٧ - من ازداد علماً فليحذر من توكيد الحجة عليه.
- ٥٨٨ - الأنس بالعلم من نبل المهمة.
- ٥٨٩ - من شبع عوقب في الحال ثلاث عقوبات يلقي الغطاء على قلبه والنعاس على عينه والكسل على بدنه.
- ٥٩٠ - ذم العقلاء أشد من عقوبة السلطان.
- ٥٩١ - يقطع البليغ عن المسألة أمران ذل الطلب وخوف الرد.
- ٥٩٢ - المؤمن محدث.

- ٥٩٣ - قل أن ينطق لسان الدعوى إلا ويخرسه كعام الامتحان.
- ٥٩٤ - انظر ما عندك فلا تضعه إلا في حقه وما عند غيرك فلا تأخذه إلا بحقه.
- ٥٩٥ - إذا صافاك عدوك رياء منه فتلق ذلك بأوكد مودة فإنه إن ألف ذلك واعتاده خلصت لك مودته.
- ٥٩٦ - لا تألف المسألة فيألفك المنع.
- ٥٩٧ - لا تسأل الحوائج غير أهلها ولا تسألها في غير حينها ولا تسأل ما لست له مستحقاً فتكون للحرمان مستوجباً.
- ٥٩٨ - إذا غشك صديقك فاجعله مع عدوك.
- ٥٩٩ - لا تعدن من إخوانك من آخاك في أيام مقدرتك للمقدرة، واعلم أنه ينتقل عنك في أحوال ثلاث يكون صديقاً يوم حاجته إليك ومعرضاً يوم غناه عنك وعدواً يوم حاجتك إليه.
- ٦٠٠ - لا تسرن بكثرة الإخوان ما لم يكونوا أحياناً فإن الإخوان بمنزلة النار التي قليلها متاع وكثيرها بوار.
- ٥٩٦ - كفاك خيانة أن تكون أميناً للخونة.
- ٦٠١ - لا تحقرن شيئاً من الخير وإن صغر فإنك إذا رأيتك شرك مكانه ولا تحقرن شيئاً من الشر وإن صغر فإنك إذا رأيتك ساءك مكانه.
- ٦٠٢ - يا ابن آدم ليس بك غناء عن نصيبك من الدنيا وأنت إلى نصيبك من الآخرة أفقر.
- ٦٠٣ - معصية العالم إذا خفيت لم تضر إلا صاحبها وإذا ظهرت ضرت صاحبها والعامّة.
- ٦٠٤ - يجب على العاقل أن يكون بما أحيا عقله من الحكمة أكلف منه بما أحيا جسمه من الغذاء.
- ٦٠٥ - أعسر العيوب صلاحاً العجب واللجاجة.
- ٦٠٦ - لكل نعمة مفتاح ومغلاق فمفتاحها الصبر ومغلاقها الكسل.
- ٦٠٧ - الحزن والغضب أميران تابعان لوقوع الأمر بخلاف ما تحب إلا أن المكروه إذا أتاك ممن فوقك نتج عليك حزناً وإن أتاك ممن دونك نتج عليك غضباً.

- ٦٠٨ - أول المعروف مستخف وآخره مستثقل تكاد أوائله تكون للهوى دون الرأي وأواخره للرأي دون الهوى، ولذلك قيل: رب الصنعة أشد من الابتداء بها.
- ٦٠٩ - لا تدع الله أن يغنيك عن الناس فإن حاجات الناس بعضهم إلى بعض متصلة كاتصال الأعضاء فمتى يستغني المرء عن يده أو رجله ولكن ادع الله أن يغنيك عن شرارهم.
- ٦١٠ - احترس من ذكر العلم عند من لا يرغب فيه ومن ذكر قديم الشرف عند من لا قديم له فإن ذلك مما يحقدهما عليك.
- ٦١١ - ينبغي لذوي القربات أن يتزاوروا ولا يتجاوروا.
- ٦١٢ - لا تواخ شاعراً فإنه يمدحك بثمان ويهجوك مجاناً.
- ٦١٣ - لا تنزل حوائجك بجيد اللسان ولا بمتسع إلى الضمان.
- ٦١٤ - كل شيء طلبته في وقته فقد فات وقته.
- ٦١٥ - إذا شككت في مودة إنسان فاسأل قلبك عنه.
- ٦١٦ - العقل لم يجن على صاحبه قط والعلم من غير عقل يجني على صاحبه.
- ٦١٧ - يا ابن آدم هل تنتظر إلا هراً حائلاً أو مرضاً شاغلاً أو موتاً نازلاً.
- ٦١٨ - ابنك يأكلك صغيراً ويرثك كبيراً وابنتك تأكل من وعائك وترث من أعدائك وابن عمك عدوك وعدو عدوك وزوجتك إذا قلت لها قومي قامت.
- ٦١٩ - إذا ظفرتم فأكرموا الغلبة وعليكم بالتغافل فإنه فعل الكرام وإياكم والمن فإنه مهدمة للصنعة منبهة للضعينة.
- ٦٢٠ - من لم يرج إلا ما يستوجه أدرك حاجته.
- ٦٢١ - بلغ من خدع الناس أن جعلوا شكر الموتى تجارة عند الأحياء والثناء على الغائب استمالة للشاهد
- ٦٢٢ - من احتاج إليك ثقل عليك ومن لم يصلحه الخير أصلحه الشر ومن لم يصلحه الطالي أصلحه الكاوي.

٦٢٣ - من أكثر من شيء عرف به، ومن زنى زني به، ومن طلب عظيمًا خاطر بعظمته
ومن أحب أن يصرم أخاه فليقرضه، ثم ليتقاضه ومن أحبك لشيء ملك عند انقضائه، ومن
عرف بالحكمة لاحظته العيون بالوقار.

٦٢٤ - من بلغ السبعين اشتكى من غير علة.

٦٢٥ - في المال ثلاث خصال مذمومة: إما أن يكتسب من غير حله أو يمنع إنفاقه في حقه
أو يشغل بإصلاحه عن عبادة الله تعالى.

٦٢٦ - يباعدك من غضب الله ألا تغضب.

٦٢٧ - لا تستبدلن بأخ لك قديم أخاً مستفاداً ما استقام لك فإنك إن فعلت فقد غيرت
وإن غيرت تغيرت نعم الله عليك.

٦٢٨ - أشد من البلاء شماتة الأعداء.

٦٢٩ - ليس يزني فرجك إن غضضت طرفك.

٦٣٠ - كما ترك لكم الملوك الحكمة والعلم فاتركوا لهم الدنيا.

٦٣١ - الهدية تفقأ عين الحكيم.

٦٣٢ - ليكن أصدقاؤك كثيراً واجعل شرك منهم إلى واحد.

٦٣٣ - الدنيا مزرعة إبليس وأهلها أكرة حراثون له فيها.

٦٣٤ - واعجبا ممن يعمل للدنيا وهو يرزق فيها بغير عمل ولا يعمل للآخرة وهو لا
يرزق فيها إلا بالعمل.

٦٣٥ - لا تجالسوا إلا من يذكركم الله رؤيته ويزيد في عملكم منطقه ويرغبكم في الآخرة
عمله.

٦٣٦ - كثرة الطعام تमित القلب كما تमित كثرة الماء الزرع.

٦٣٧ - ضرب الوالد الولد كالسباد للزرع.

٦٣٨ - إذا أردت أن تصادق رجلاً فأغضبه فإن أنصفك في غضبه وإلا فدعه.

- ٦٣٩ - إذا أتيت مجلس قوم فارمهم بسهم الإسلام، ثم اجلس يعني السلام فإن أفاضوا في ذكر الله فأجل سهمك مع سهامهم وإن أفاضوا في غيره فخلهم وانفض.
- ٦٤٠ - الأوطار تكسب الأوزار فارفض وطرك واغضض بصرك.
- ٦٤١ - إذا قعدت عند سلطان فليكن بينك وبينه مقعد رجل فلعله أن يأتيه من هو أثر عنده منك فيريد أن تتنحى عن مجلسك فيكون ذلك نقصاً عليك وشيناً.
- ٦٤٢ - ارحم الفقراء لقلّة صبرهم والأغنياء لقلّة شكرهم وارحم الجميع لطول غفلتهم.
- ٦٤٣ - العالم مصباح الله في الأرض فمن أراد الله به خيراً اقتبس منه.
- ٦٤٤ - لا يهونن عليك من قبح منظره ورث لباسه فإن الله تعالى ينظر إلى القلوب ويجازي بالأعمال.
- ٦٤٥ - من كذب ذهب بباء وجهه ومن ساء خلقه كثر غمه، ونقل الصخور من مواضعها أهون من تفهيم من لا يفهم.
- ٦٤٦ - الدنيا حلم والآخرة يقظة ونحن بينها أضغاث أحلام.
- ٦٤٧ - لما عرف أهل النقص حالهم عند أهل الكمال استعانوا بالكبر ليعظم صغيراً ويرفع حقيراً وليس بفاعل.
- ٦٤٨ - لو تميزت الأشياء كان الكذب مع الجبن والصدق مع الشجاعة والراحة مع اليأس والتعب مع الطمع والحرمان مع الحرص والذل مع الدين.
- ٦٤٩ - المعروف غل لا يفكه إلا شكر أو مكافأة.
- ٦٥٠ - كثرة مال الميت تسلي ورثته عنه.
- ٦٥١ - من كرمت عليه نفسه هان عليه ماله.
- ٦٥٢ - من كثر مزاحه لم يسلم من استخفاف به أو حقد عليه.
- ٦٥٣ - كثرة الدين تضطر الصادق إلى الكذب والواعد إلى الإخلاف.
- ٦٥٤ - عار النصيحة يكدر لذتها.

- ٦٥٥ - أول الغضب جنون وآخره ندم.
- ٦٥٦ - انفرد بسرك ولا تودعه حازماً فيزل ولا جاهلاً فيخون.
- ٦٥٧ - لا تقطع أخاك إلا بعد عجز الحيلة عن استصلاحه ولا تتبعه بعد القطيعة وقيعة فيه فتسد طريقه عن الرجوع إليك ولعل التجارب أن ترده عليك وتصلحه لك.
- ٦٥٨ - من أحس بضعف حيلته عن الاكتساب بخل.
- ٦٥٩ - الجاهل صغير وإن كان شيخاً والعالم كبير وإن كان حدثاً.
- ٦٦٠ - الميت يقل الحسد له ويكثر الكذب عليه.
- ٦٦١ - إذا نزلت بك النعمة فاجعل قراها الشكر.
- ٦٦٢ - الحرص ينقص من قدر الإنسان ولا يزيد في حظه.
- ٦٦٣ - الفرصة سريعة الفوت بطيئة العود.
- ٦٦٤ - أبخل الناس بهاله أجودهم بعرضه.
- ٦٦٥ - لا تتبع الذنب العقوبة واجعل بينها وقتاً للاعتذار.
- ٦٦٦ - اذكر عند الظلم عدل الله فيك وعند القدرة قدرة الله عليك.
- ٦٦٧ - لا يحملنك الحق على اقرار الإثم فتشفي غيظك وتسقم دينك.
- ٦٦٨ - الملك بالدين يبقى والدين بالملك يقوى.
- ٦٦٩ - كأن الحاسد إنما خلق ليغتاظ.
- ٦٧٠ - عقل الكاتب في قلمه.
- ٦٧١ - اقتصر من شهوة خالفت عقلك بالخلاف عليها.
- ٦٧٢ - لا تسبن إبليس في العلانية وأنت صديقه في السر.
- ٦٧٣ - من لم يأخذ أهبة الصلاة قبل وقتها فما قرها.
- ٦٧٤ - لا تطمع في كل ما تسمع.
- ٦٧٥ - من عاتب ووبخ فقد استوفى حقه.

- ٦٧٦ - الجود الذي استطاع أن يتناول به كل أحد هو أن ينوي الخير لكل أحد.
- ٦٧٧ - من صحب السلطان بالصحة والنصيحة كان أكثر عدواً ممن صحبه بالغش والخيانة.
- ٦٧٨ - من عاب سفلة فقد رفعه ومن عاب كريماً فقد وضع نفسه.
- ٦٧٩ - الموالي ينصرون وبنو العم يحسدون.
- ٦٨٠ - الصدق عز والكذب مذلة ومن عرف بالصدق جاز كذبه ومن عرف بالكذب لم يجز صدقه.
- ٦٨١ - إذا سمعت الكلمة تؤذيك فطأطئ لها فإنها تتخطاك.
- ٦٨٢ - نحن نريد ألا نموت حتى نتوب ونحن لا نتوب حتى نموت.
- ٦٨٣ - أنزل الصديق منزلة العدو في رفع المؤونة عنه وأنزل العدو منزلة الصديق في تحمل المؤونة له.
- ٦٨٤ - أول عقوبة الكاذب أن صدقه يرد عليه.
- ٦٨٥ - الأدب عند الأحمق كالماء العذب في أصول الحنظل كلما ازداد رياً ازداد مرارة.
- ٦٨٦ - إياكم وحمية الأوغاد فإنهم يرون العفو ضيماً.
- ٦٨٧ - الكريم لا يستقصي في محاجة المعتذر خوفاً أن يجزي من لا يجد مخرجاً من ذنبه.
- ٦٨٨ - العفو عن المقر لا عن المصر.
- ٦٨٩ - ما استغنى أحد بالله إلا افتقر الناس إليه.
- ٦٩٠ - من جاد بهاله فقد جاد بنفسه فإن لم يكن جاد بها بعينها فقد جاد بقوامها.
- ٦٩١ - الدين ميسم الكرام وطالما وقر الكرام بالدين.
- ٦٩٢ - الماضي قبلك هو الباقي بعدك والتهنتة بآجل الثواب أولى من التعزية بعاجل المصاب.
- ٦٩٣ - مما تكتسب به المحبة أن تكون عالماً كجاهل وواعظاً كموعوظ.

٦٩٤ - لا تحمدن الصبي إذا كان سخياً فإنه لا يعرف فضيلة السخاء وإنما يعطي ما في يده ضعفاً.

٦٩٥ - خير الإخوان من إذا استغنيت عنه لم يزدك في المودة وإن احتجت إليه لم ينقصك منها.

٦٩٦ - عجباً للسلطان كيف يحسن وهو إذا أساء وجد من يزيه ويمدحه.

٦٩٧ - إذا صادقت إنساناً وجب عليك أن تكون صديق صديقه، وليس يجب عليك أن تكون عدو عدوه؛ لأن هذا إنما يجب على خادمه وليس يجب على مماثل له.

٦٩٨ - ليس تكمل فضيلة الرجل حتى يكون صديقاً لمتعادين.

وكذلك من حكم علي رضي الله عنه:

٦٩٩ - الناس أعداء ما جهلوا.

٧٠٠ - الناس من خوف الذل في الذل.

٧٠١ - الصبر مطيه لا تكبو وسيف لا ينبو.

٧٠٢ - قيمة كل امرئ ما يحسن.

٧٠٣ - المرء مخبوء تحت لسانه.

٧٠٤ - من عدب لسانه كثر إخوانه.

٧٠٥ - بشر مال البخيل بحادث أو وارث.

٧٠٦ - خير أموالك ما كفاك وخير إخوانك من واساك.

ترجمة صاحب الموسوعة حسين علي الهنداوي

- أ - أديب وشاعر وقاص ومسرحي وناقد وصحفي
- ب - له العديد من الدراسات الأدبية والفكرية
- ج - نشر في العديد من الصحف العربية
- د - مدرس في جامعة دمشق - كلية التربية - فرع درعا
- هـ - ولد الأديب في سوريا - درعا عام ١٩٥٥ م
- و - تلقى تعليمه الابتدائي والإعدادي والثانوي في مدينة درعا
- ح - انتقل إلى جامعة دمشق كلية الآداب - قسم اللغة العربية وتخرج فيها عام ١٩٨٣
- ك - حائز على إجازة في اللغة العربية
- ص - حائز على دبلوم تأهيل تربوي جامعة دمشق
- ع - عمل محاضراً لمادة اللغة العربية في معهد إعداد المدرسين - قسم اللغة العربية في مدينة درعا
- ف - انتقل إلى التدريس في المملكة العربية السعودية عام (١٩٩٤ / ٢٠٠٠) في مدينتي عنيزة وتبوك.
- عضو اتحاد الصحفيين العرب
- عضو اتحاد كتاب الانترنت العرب
- عضو تجمع القصة السورية
- عضو النادي الأدبي بتبوك

الصحف الورقية التي نشر فيها أعماله:

- ١ - الكويت (الرأي العام - الهدف - الوطن)
- ٢ - الإمارات العربية (الخليج)
- ٣ - السعودية (الرياض - المدينة - البلاد - عكاظ)
- ٤ - سوريا (تشرين - الثورة - البعث - الأسبوع الأدبي)

المجلات الورقية التي نشر فيها أعماله:

- ١ - مجلة المنتدى الإماراتية
- ٢ - مجلة الفيصل السعودية
- ٣ - المجلة العربية السعودية
- ٤ - مجلة المنهل السعودية
- ٥ - مجلة الفرسان السعودية
- ٦ - مجلة أفنان السعودية
- ٧ - مجلة السفير المصرية
- ٨ - مجلة إلى الأمام الفلسطينية

مؤلفاته:

أ - الشعر:

- ١ - هنا كان صوتي وعيناك يلتقيان / ١٩٩٠
- ٢ - هل كان علينا أن تشرق شمس ثبير / ١٩٩٤
- ٣ - أغنيات على أطلال الزمن المقهور / ١٩٩٤
- ٤ - سأغسل روعي بنفط الخليج / ١٩٩٦
- ٥ - المنشئ يسلم مفاتيح ايلياء / ١٩٩٦
- ٦ - هذه الشام لا تقولي كفانا / مخطوط

ب - القصة القصيرة:

شجرة التوت / ١٩٩٥

ج - المسرح:

١ - محاكمة طيار / ١٩٩٦

٢ - درس في اللغة العربية / ١٩٩٧

٣ - عودة المتنبي / مخطوط

٤ - أمام المؤسسة الاستهلاكية / مخطوط

د - النقد الأدبي:

١ - محاور الدراسة الأدبية ١٩٩٣

٢ - النقد والأدب / ١٩٩٤

٣ - مقدمتان لنظريتي النقد والشعر / مخطوط

٤ - أسلمة النقد الأدب

هـ - الدراسات الدينية:

١ - الإسلام منهج وخلاص - الجزء الأول

٢ - الإسلام منهج وخلاص - الجزء الثاني

٣ - الإسلام منهج وخلاص - الجزء الثالث

٤ - فتاوى واجتهادات / جمع وتبويب

٥ - هل أنجز الله وعده؟

الصحف الالكترونية التي نشرها:

١ - قناديل الفكر والأدب

٢ - أنهار الأدب

٣ - شروق

- ٤ - دنيا الوطن
- ٥ - ملتقى الواحة الثقافي
- ٦ - تجمع القصة السورية
- ٧ - روض القصيد
- ٨ - منابع الدهشة
- ٩ - أقلام
- ١٠ - نور الأدب